

عبد الرحمن شكرى

نارت نائرة الأدباء والنقاد حول أدب عبد الرحمن شكرى لمناسبة صدور كتابين أحدهما (رسائل النقد) للدكتور الشاعر رمزى مفتاح والآخر (رؤاد الشعر الحديث فى مصر) للشاعر مخنار الوكيل . وكان بين من تهرقوا للكتابة الشاعران ابراهيم عبد القادر المازنى وعباس محمود العقاد ، وأما شكرى نفسه فعاذف كل المزوف عن الحياة الأدبية العامة ولا يهمه من هذه الجلبة شىء ويأبى أن يتورط فيها . وقد رأى المازنى أنه أساء فى حق شكرى سابقاً فكتب أكثر من مرة معلناً استنكاره لتعامله عليه من قبل ، معترفاً بأستاذية شكرى وفضله عليه ، وآخر ما كتبه كان فى جريدة (البلاغ) الصادرة يوم أول سبتمبر القاتت تعليقاً على الفصل المكتوب عن شكرى فى (رؤاد الشعر الحديث) فكان تصرفه نبيلاً إذا ما عز النبل بين حملة الأقلام فى هذا الزمن .

وكتب العقاد مقالاً فى (الجهاد) الصادر يوم ٤ سبتمبر فكان المنتظر منه كمادته أن يعلن أنه صاحب الفضل على كل انسان وليس لأحد فضل عليه ، وقد كان ذلك والعقاد موفق فى مثل هذا الادعاء لأنه وجد من كل من شكرى والمازنى محبة خالصة ونجراً صوفياً وإشاراً من قبل والى الآن ، وله أن يعتمد على عزوف شكرى عن كل هذا العبث ، كما له أن يعتمد على نواضع المازنى وتجرده نفسه من كل موهبة ولكن الحقيقة التى يعرفها كل من اشتغل بالصحافة فى الجيل الماضى وأتبع له الاحتكاك بهذا الثالوث تتجلى فيما يأتى :

(١) ان العقاد كان دائماً نشيطاً مفكراً ، وانه حاول الاشتغال بالترجمة ولخص تاليفات بدائية ولكن معرفته باللغة الانجليزية ودرجة ثقافته بقيت محدودة زمنياً طويلاً . وإذا كان التفت نحو الأدباء والمفكرين الألمانين كترجم وملخص فإن انتاجه الشخصى الممتاز لم يحن إلا بعد ذلك بزمان طويل . وكم من مترجم وملخص فى شتى

المجلات الراقية كالمقتطف والملاح وفي الصحف السيارة المشهورة في ذلك الوقت أسدى جهوده في غير هذه الدعاوى الطويلة العريضة التي يدعيها العقاد الآن . فإذا كان المازني مثلاً قد التفت معه الى ما كس نوردوا فحسب المازني أنه وجه العقاد توجيهاً قوياً الى ابن الرومي ، ومع هذا فلم نسمع من العقاد أي اعتراف بهذا الجليل وإنما نسمعنا عن توارىخ قديمة عجيبة هي في صف المعجزات وشبيهة بصلته المزعومة بجمال الدين الأفغاني !

(٢) اذا صح أن شكري والمازني قد سائرا العقاد فترة في التفاني الى الأدب الفكري الألماني ، فقد باعدها واقتصر على الأدب الخالص بعد ذلك ، وكأنه تجاوزها معه من هذه الناحية معدوم ، بعكس العقاد والمازني اللذين انطبع شعرهما بطابع عبدالرحمن شكري انطباعاً قوياً الى الآن . وهذا وحده ما يعنى نقاد الشعر ، وعلى دلالته يبنون أحكامهم ، وعلى نتائجهم المأموسة تسكلموا عن شخصية شكري وعن مدرسته الشعرية وزعامته الأدبية لتلك المدرسة الثلاثية زمناً طويلاً .

(٣) بغض النظر عن الحديثة في بعض كتابة الدكتور رمزي مفتاح وعن تصويره الخيالي في جانب من المواقف وهو ما لا نقره شخصياً ، وبغض النظر عن الاختلاف في التفاسير التي أدلى بها مختار الوكيل ، لا شك في أن كتابيهما من مآثور النقد المصري ، فحالة العقاد أن يفتقصهما ليست مثلاً للترفع ولكنهما مثالاً لعادة معروفة عنده : وهي إصغار كل من لا يؤلهه - ولو كان كبيراً ، والتنويه بمن يقدره ولو كان من الصغار ! على أن جبهة الأدباء لا يعينهم إلا المنطق والحقائق الأدبية وحدها ، وهم يطلبونها أينما كانت ، وهم يعرفون أن العقاد كان ولا يزال متجنباً على هذه الحقائق . وليس للعقاد حساد ولا خصوم سوى قلمه الذي يزل به زلات لا تحصى ، وهو لو تدبر ذلك لأنصف نفسه وزملاءه .

(٤) بعد كل هذا وقبله لا يعنى الأدباء المخلصين للأدب وحده إلا إنصاف ذلك الشاعر الممتاز الذي كان سكوت العقاد إن لم تقل عمالاً أنه لتجنى المازني عليه في كتابيهما (الديوان) داعياً الى تطبيقه الشعر بتأناً وخسارة الأدب المصري أي خسارة لجهوده . فعمل العقاد يفعل ما فعله المازني من تهذية أعصاب شكري وتضميد نفسه الجريحة ودفعه ثانية الى ميدان الأدب ، فهذا هو البر والجد الصحيح وأما ما عدا ذلك من دعاوى مفرضة وحكايات فلا قيمة لها أكثر من أنها من صوري الزهو الباطل والاثانية على ما لا يستحق الزهو والاثانية !



اسماعيل صبرى

ببانه وذكرى

كان أول ما قرأت من شعر صبرى أبيات وجدتها في مجموعة بخط والدى والذى دون فيها ما تلقته من شعر أدياء عصره في رحلاته الى القاهرة وكان رحمه الله يخاطبهم ويشهد مجالسهم ، ومن هؤلاء الأدياء جماعة من الشعراء الذين جمع العنصر التركى الكريم بينهم وبين والدى ، وأشهرهم حسن حسنى الطويرانى ، وسليم رحى . فاذا عاد من إحدى هذه الرحلات كان أول ما يتحفظ به من الهدايا ما اشترى من الكتب ، وما حمل من هذه الأشعار . وكنت يومئذ صبيكاً يولعنى والذى بالأدب ويميزنى عليه ، وهذه هى الأبيات مسندة الى (اسماعيل بك صبرى رئيس محكمة الاسكندرية) وهى في تهئة الخديو توفيق بعيد الأضحى عام ١٣٠٦ من التاريخ الهجرى كما يؤخذ من ختامها :

| | |
|----------------------------------|------------------------------|
| إن هيَّمت الشعراء الثغرُ والريقُ | وشاقهم كأمُ صباء وابريقُ |
| فلى بمدحك (توفيق العلى) كلفُ | لم يثنى عنه هيفاً ومعشوقُ |
| حققت آمال مصر حيث كان لها | الى علاك مدى الأيام تحديقُ |
| وشيدت في مصر فخراً لا خفاء له | فليس يُنكره فى الكون زنديقُ |
| فالعين ما طمعت إلا رأت أثراً | له بتاجك ترصيعٌ ونسيقُ |
| وهذا حُكك ركن الظالمين ، وقد | عدلت حتى أحب العدلَ محقوقُ |
| مولائى اوافاك بالاقبال عيدُ فدى | بالبشر واليمن مصحوبُ ومرفوقُ |
| فعش لأمنا له طول المدى فرحاً | واسعد فانت بعين الله مرموقُ |

واهناً به فصفاء الوقت أرسخه : عيد الفداء ببشر جاء (توفيق)
وأول ما لقيتُ اسماعيل صبرى الذى أصبح بعد ذلك من ملوك الشعر وأمرأه
البيان ، يوم جاءنى رسوله يدعونى لموافاته بدار الحكم فى مدينة دمنهور ، وحاكم
الأقليم يومئذ محمد محمود باشا . فلما لقيت صبرى فى منصرفه من حضرة الحاكم
وكنيت على شوق دائم إليه ، صافحته لأول مرة وفى نفسى من التهيّب والانقباض
ما انطوى وشيكاً فى ذلك البشر المتدفق الذى بدأنى به ، وما انقضت التحية حتى أخذ
بذراعى يديّ تحت إبطه ويقول : ويحك يا محرم ، ماذا فعلت بالرجل ! ؟ انه لشديد
الحلق عليك ، لقد روضته فما ازداد الا شراسة وغلظة !

كان بينى وبين محمد محمود باشا أمر لم يأخذ فيه بالحزم ولا أجراه على نظر أو
روية ، وكان حوله من مشيرى السوء فئة أعانت على الشطط والنسرع ، وجاءت جولة
العباس أمير مصر فى إقليم البحيرة قبل رحلته التى انقضت بها عهده فى الحكم والامارة
فبعث المدير المتحرق الصدر الى حافظ ابراهيم ببعض هؤلاء المشيرين يسألونه أن
ينظم تحية للأمير تلقى بين يديه فى دار المدرسة الصناعية بدمنهور . فقال لهم :
وأين أنتم من محرم ؟ قالوا : انا معه على جفاه وفرقة ، فقال : ارجعوا الى صاحبكم فنبشروه
انه قد ركب أمراً عظيماً ، وإنى ابراء منكم حتى يرضى - وعلمتها من حافظ
فشكرته وأبحته أن يكون عند رجائهم فيه ، فنظم لهم قصيدة عصماء قال فى مطلعها :
أشرق عباس على شعبة كأنه المأمون فى ركه

ونظمت أنا تحية للأمير ثم بعثت بها الى جريدة (المؤيد) ، فظهرت فيها وركب
الأمير يودع دمنهور ، ولم تظهر قصيدة حافظ الا بعد ذلك بيومين ، ومطلع
قصيدتى :

أو كلما سكن المشوق فأقصرا حاجته أسرابُ المها فتذكرا ؟
ومنها فى الغزل وقد علمت أن السنة الوشاة تناولتى لدى الأمير فرعموا أنى فى
عقيدتى الوطنية على المحراف :

مشيت الخائئ بيننا فعرفتها وعرفت من لحظات عينك ما جرى
ومنها ، والخطاب للأمير :

سدىّ الولاء أمانة لك فى دمي يأبى لها الايمان أن تتغيرا

أنا من طيورك ، إن دعوت مفرداً عاد الجديبُ المحلُ روضاً أنضرا
 (النَّيْلُ) يشهدُ أنني لم آلهُ برآء ، ولستُ بصادقٍ إن أنكرنا
 لستُ الذي يرضى العقوقَ سجيّةً ويرى التقلبَ في المذاهب متجراً
 لو كنتُ طالبَ حاجةٍ رأيتني أسمى إليها في ذراكٍ مشمراً
 ولو أنني ممن يتوق إلى الغنى لوجدته بِنَدَى يديك مبدراً
 ما في الحياة على تعاطف شأنها ما يستخفُّ العاقل المتبصراً

علم اسماعيل صبرى من الصديق حافظ ما كان من أمرى مع محمد محمود باشا فوجد
 إلى دمنهور يؤدّي ما فرضه على نفسه من حقّ السفارة بين أديب عرف للأدب
 قيمته فصانه عن مجال الملق ومعرض الدهان ، وبين حاكم إقليم يعتز بمنصبه وبيته
 ويرى لنفسه أن يكون السيد النافذ الأمر في جميع الأمور ، ولم أكن على علم من
 قبل بأمر هذه السفارة التي لم أكن لأشير بها لو أنني خوطبت فيها ، ولكنها حمية
 حافظ ، ومروءة صبرى ، رحمهما الله ، وقضى عنى حقهما العظيم نعيماً وطيباً .
 قال لى صبرى وهو يصف شراسة محمد محمود باشا : دعه عنك فقد أصبح أمرك
 بيد الأمير ، وآنك عنده لبالمحلّ الذى تريد ، وقد قرأت عليه فصيدتك فأعجب بها
 وسترى اقلت له : دعه عنك الحاكم والأمير ، وقل لى متى يطلع علينا الرئيس
 بصبرية جديدة ؟ فتأوّه وقال : لقد كبرت وضعفت نفسى ، وأنا الشعر أخو القوة
 وصاحب الشباب ، قلت له فما بال :

لو أنّ أطلال المنازل تنطقُ ما ارتدّ حرّان الجوانح شيقُ ؟
 انها وحقق لكما يقول أبو تمام :
 قد أوتيت من كل شيء نعمةً ودَدَا ، وحُسْنًا فى الصبا مغموسا
 فابتسم رحمه الله ، ثم نعب القطار فودعته ، وكان هذا أول عهدى به وآخره .

صلنى الشعرية بصبرى

لم يجر بينى وبين صبرى قبل هذا الحادث ولا بعده شيء من المطارحات الشعرية
 بل ولا الكتب أو الرسائل ، غير أنه شاع بعد هذا اللقاء أنه أصيب برعاف شديد
 فقلت فيه ، وإخال أنى أذعتها فى إحدى الصحف :

أشفقتُ من نبال الرئيس ، وأشفقتُ
 سالَ الدَّمُ المسفوحُ منه معانيًا
 ما كنتُ أعلمُ ، والحياةُ محاربٌ
 رُغيفَ اليراعُ ، وقد جرى برعافه
 حافاكِ ربِّك ، إنَّ مِنْ آياتِهِ
 سُؤْلُ أُمِّدْ بِهِ اليدين ، ودعوةٌ
 للقومِ مِنْ نُغْفَلِ القوافي ما ترى
 إنَّ الصحائفَ ما تزالُ سرُوعةً
 وعزَّى صبرى صديق الشاعر الأديب ولَّى الدين يسكن رحمه الله في وفاة والدته
 بأبيات قال فيها :

إني أعزِّيك وأبكي معك

فقلتُ في تعزيتي لهذا الصديق الكريم ، ولا أعلم ما ذا كانت موقعها في
 نفس الرئيس :

لقد وجدت نفسي لوجد (محمد)
 أخى ، والموادى ما تزالُ مُغيرةً
 أعيدُكَ أن تلتقى الخطوبَ مُروِّماً
 رميتُ صفوفَ الحادثاتِ بعنلها
 يُعزِّيك شيخُ العبقريين باكياً
 وسبَّرتُ إلى الصديق حافظ قصيدة أطارحه فيها وهو معتقل بدار الكتب
 مطلعها :

رؤيتُ الهوى بالليل ، لويقنحُ الهوى
 بما نالَ من دمعى ، وما نلتُ من دمعى
 ومنها في ذكر الرئيس :

إذا جئتُ شيخَ العبقريين زائراً
 أخذُ لقريضى الإذن قبل التهجُّمِ

وإن أنت شارفت الستور مذبذبة
فستح ، وقبل ، ثم حتى ، وسلم
وصفت من بنات الشوق كل شجيرة
زن رنين الطائر المترنم
تطلع من حول النواذر ، وترني
إلى العين من حر الغليل بسلم
وتنساب تلقى كل ركب ، وما بها
سوى أن ترى ركب (الرئيس المعظم)
إذا هجمت ذكرى صديق لديكما
فذودوا عن التهجاع ذكرى (محرم)
ولى فى الرئيس صبرى مرئية بقيت مطوية ال اليوم لسرى لم أكن أعلمه ، فلما
أهاب فى صديقى الشاعر الهائم ، شاعر الحب والجمال الدكتور زكى أبو شادى ، أن
أكتب كلتى هذه عنه علمت أن الأيام قد أذخرتها لتذاع فى ختام هذه الكلمة
وستأتى فى مكانها .

شعر صبرى

لم يكن شعر صبرى أول عهد بالأدب يدشر بشاعر مقتدر يحدث أثراً يذكر
فى عالم الشعر ويوقع باسمه فى سجل الخلود وجريدة الذكر ، وقد جئتكم بمثال من
شعره فى ذلك العهد الذى كان كل شاعر فيه خيراً منه ، وقد مرّ بك ذكر سليم رحى
فأنا أذكر لك بعض ما دوّن له فى تلك المجموعة الخطية التى نقلت عنها ذلك المثال
السمى لتعلم أن الرئيس صبرى باشا شاعر آخر غير اسماعيل صبرى بك رئيس محكمة
الاسكندرية . قال سليم رحى من قصيدة يمدح بها الخديو توفيق ويهينه بالعيد :

فى خيرة الدهر ما يُغنى عن الخبر
وفى الحوادث تذكاري لمدكر
والناس كالنبت منه ما له ثمر
بغير شوك ، وذو شوك بلا ثمر
والمرء مهما ممت فى الناس رتبته
فليس إلا بما يبيد من أثر
ما شئت فاعمل ، فهما كنت مُستترا
تُعلم سجاياك بين البدور والحضر
ومنها :

وارحمنا لعلوم ما بلغت بها
نفعاً ، وقد ضاع متى أفسد العمر
هذى العلوم التى لم تُجنى ثمراً
مالى أذود الردى عن عودها النظر ؟

وأى فائدة في النحو أطلبها
وما النتيجة من وزن العروض إذا
لم يحور معنأى تبت غير منكسر ؟
ومنها :

أسنغفر الله إني في حمى ملك
عزيز مصر الذي سارت مآثره
لن يستطيع زماني عنده ضررى
في الخافقين مسير الشمس والقمر
إن جال بالفكر قلت الشهب فاقبة
أو قال ، قلت خضم جاء بالدر
وقال في الختام :

عيد بساحتك العلياء حل فإن
تأمره بالود وإفانا على قدر
ماذا يقول (سليم) في المدح وقد
علوت عن كل منظوم ومنثور

لا أقول إن هذا شعر ، ولكنى أقول إنه أشبه بالشعر وأقرب إليه مما كان يقول
صبرى في ذلك العهد ، وصبرى منذ القديم شاعر مقل ، فهو لا يستطيع المطولات
ولا يكاد يجيدها ، وقد فضجت شاعريته فأبدع في مواضع كثيرة ، ومواطن شتى ،
ولكنه بقى الشاعر المحدود ، والفنان الذى يأخذ من الفن ما يعجبه ، ويأبى أن
يعطيه ما يحبه هو ويرضاه .

ينظم صبرى في بعض الأغراض العامة فينسكر لك في كثير من شعره ، ثم
يفاجئك على بأس باللمحة الفنية الرائعة فتعرفه ، وتحس أن نفساً جديدة حارة تشعل
نواحيك وتشعل جوانبك : ذلك أن صبرى لم يوهب قوة التحكم في هذه الأغراض
أو هو لم يرض نفسه عليها منذ النشأة الأولى ، فهي غير مستقرة الصور عنده ،
ولا متمكنة الأصول والأسباب من شاعريته وطبعه . هو شاعر يهزّ الغرض النفسى
فيقبل عليه ، ويشوقه المعنى البديع بعينه فيطلبه في مكانه من الشعر النطيق ،
ويستكثر من الشباك والحبائل يبنها حوله ، ثم يتلطف في اجتذابه إليها ، فتراه وقد
وقع في يده قنيصاً غير موقوذ ولا جريح ، وهو إذ يمد إلى هذا تراه في قلق فكرى
دائم ، واضطراب فنى مستمر ، تراه متنافراً إلى أقصى حدود التنافر في القطعة
الواحدة من شعره ، فهو يعطيك من مجموع هذه القطعة صورة آلية جافة ، تنصاح
حولها وبين ثناياها صور أخرى مضطربة أو ملغاة لغير ما سبب سوى أنه لا يريد
وانك حين تظلم الفن والذوق والماعظة لتظفر بمعنى بديع أو صورة حسنة تغرم بها

وتحرص في نفسك عليها لجدير أن تعرف مكانك من ذوى النصفة وأولى المصلحة ،
وتبين كم بينك وبينهم من آحاد طويلة ومسافات واسعة .

من مطولات صبرى قصيدة (فرعون وقومه) وقصيدة في رثاء أمين فكرى
باشا ، وأخرى في (مذهب هالى) وقصيدة في تنزيح السلطان حسين ، وقصيدته المشهورة
(لو أن أطلال المنازل تنطق) وأنا لبادئون بقصيدة فرعون وقومه ، قال :

لا القوم قومى ، ولا الأعوان أعوانى اذا وفى يوم تحصيل العسل وانـ
ولستُ إن لم تؤيدنى فراغت منكم بفرعون على العرش والشانـ
لا تقربوا النيل إن لم تعملوا عملاً فآؤه العذب لم يخلق لكسلانـ
ردوا الهجرة كدّاً دون تمورده أو فاطلبوا غيره ريثاً لظمانـ
وابنوا كما بنت الأجيال قبلكمو لا تتركوا بعدكم فخراً لانسانـ
أمرنكم فاطيعوا أمر ربكمو لا يثن مستمعاً عن طاعة ثانـ
فالملك أمر وطاعات تسابقه جنباً لجنب الى غايات احسانـ
لا تتركوا مستحيلاً في استحالتـ حتى يعيط لكم عن وجه إسانـ

يسوق صبرى هذه الأبيات على لسان فرعون الى قومه يستحثهم بها على بناء
الأهرام وإقامة الآثار العظيمة التى نشاهد اليوم بقاياها أو نقرأ أخبارها ، وهى كما
ترى من الشعر القصصى المطلق أى الذى لا يرجع الى أصل معروف . ولا يتقيد فيه
الشاعر بفرض خاص أو صورة بعينها ، ومع هذا فانت لا تجد أثراً لمبقرية صبرى
في هذه الأبيات بل أنت تراه شاعراً متواضعاً يتناول أغراضه من أقرب مكان ،
ويسوق شعره في غير ما تائق ولا افتنان ، وانك لتراه الى ذلك قليل التحفظ ، بعيداً
عن الاحتراز . وهذا قوله (تحصيل الملا) أنجد فيه تلك الروعة التى تحب أن تراها في
شعر أمثاله من المبرزين ؟ إن كلمة تحصيل لا عهد لها بهذا النوع من الشعر ، وهى
وإن كانت سليمة من جهة اللغة ، فإن للشعر لغة خاصة ، ولو أنصف صبرى
لترك الكلمة لكتاب الدواوين وعمالها من جماعة الجباة والمحصيلين ، ولا بقاعا
شركة بينهم وبين طلبة العلم وتلاميذ المدارس ، فاهو إلا تحصيل المال أو العلم ،
ومتى غلب الاستعمال على كلمة تغير حكمها أو كاد يكون كذلك . ولشاعر قديم في
الباب الثانى :

أكرموا العلم ووصلوا أهله عن جهول حاد عن تبجيله
 إنما يعرف قدر العلم من سهرت عيناه في تحصيله
 حصل الشيء لغة جمع ومميز ، واليك أمثلة من أشعار المتقدمين تبين لك
 كيف ، وفي أي الأعراس ، كانوا يستعملون هذه الكلمة : قال البحتري في
 المعتز بالله :

إذا حصلت عليا فريش تصاصرت مآثره في غفرهم ومناقبه
 وقال أبو تمام :

لقد دنت من شيم كائن سيورها يقدن من شيم السحاب المرزم
 لو قلت حصل كلها في حاتم أو بعضها ، لدعيت دافع قهرهم
 وقال الأبيوردي :

وإذا معدت حصلت أسبابها فهم الذرى والجوهر المتخير

ليس في هذه الأمثلة شيء من تلك الصورة النافرة التي وقعت في شعر صبرى ،
 واثلك حين تنتقل معي إلى البيت الثاني من قصيدته لتري أنه لم يقل شيئاً ، فإن العامة
 من الناس ليعرفون أن الملوك بالشعوب ، فليس لواحد منهم في ذاته حول ولا طول ،
 وهل قال صبرى على لسان فرعون إلا ما قال ذو القرنين في قصة بناء السد
 (فأعينوني بقوة) ؟ وما ذا ترك الشاعر لفرعون بعد قوله في هذا البيت — إن لم
 تؤيد فراعنة مكم — ؟ لقد تم التماثل بهذا الوصف بين فرعون وقومه ، أو بينه
 وبين رعاياه ، وما كان فرعون ليقول مثل هذا ، فأما قول الشاعر في البيت الثالث
 إن ماء النيل لم يخلق لكسلان ، فوصف عام لا معنى لأن يقصر على النيل
 أو على سواه ، وهل في هذا الكون من شيء صغيراً كان أو كبيراً إلا وقد حاق
 لدوى الهمة والمقدرة من هؤلاء العالمين ؟

يقول صبرى في البيت الرابع على لسان فرعون لقومه : إن كنتم من الكمال
 العاجزين فدعوا ماء النيل لا تقربوه ، وهموا فاصعدوا إلى المجرة تتخذونها مورداً
 لكم ، أو اطلبوا لكم مورداً آخر سواه . هذا ما يقوله صبرى في البيت الرابع
 فهل ترى هذا مما يستقيم في العقول ، أو يتألف حتى في موضع التباين من النفوس
 والطباع ؟

أما والله لو قالها شاعر آخر غير صبرى لخلعنا صادقين أنه يجهل أن مكان الجيرة
في السماء ، وهل في الجيرة ماء ، أم كان فرعون من الشعراء ١٩ قال في البيت الخامس :
وابنوا كما بنت الأجيال قبلكم لا تتركوا بعدكم فخراً لإنسان
الشرط الأول من قول الشاعر

نبني كما كانت أوائلنا تبني ، وتعمل مثل ما فعلوا
والثاني من قول الشريف الرضى :
من معشر أخذوا الفضلى فتركوا منها لمن يطلب العلياء مُمتركا
وللشريف في هذا المعنى :
لهده كان الزمان ينتظر لم يبقَ من بعدك للعجدِ وطر
وقال صبرى :

أمرتكم فأطيعوا أمرَ ربكم لا يثن مستمعا عن طاعة ثان
بين هذا البيت والبيت الثاني تناقض بين وتخاذل معيب ، فهناك يقول فرعون
لقومه إنه ليس بفرعون العظيم السلطان ، العالى العرش والشان ، إن لم يطيعوه
ويؤيدوه ، وهو يقول هنا ، أمرتكم فأطيعوا . . . وليس هذا فحسب ، أنه
ليقول : فأطيعوا أمر ربكم ، ثم يحذرهم بعنف ، ويتوعدهم في سلف وكبرياء
(لا يثن مستمعا عن طاعة ثان) أن هذا لفرعون آخر غير ذلك ، بل أن صبرى
عن هذه الأبيات لغائب ، قال :

فالملك أمره وطاعاته تسابقة جنبا لجنب إلى غايات إحسان
لم يقل شيئا ، فهذا هو نظام الملك منذ كان الملوك وكان الناس ، وهذا أبو تمام
فانظر ما دا يقول في الواقع بالله :
تُدعى بطاعتك الوحوش فترعوى والاسد في عريشها فتدبر
فأمّا قوله في البيت الأخير ، لا تتركوا مستحيلا إلى آخره ، فن الصور
الضخمة في ذاتها ، ولكنه لا شيء من جهة الفن ، ومن آثار عبقريته في هذه
القصيدة قوله :

مقالة قد هوت من عرش قائمها على مناكب أبطال وشجعان

غير أنك إذا نظرت إلى هذا البيت على حدة ، ولم يكن لك علم بالغرض الذي نظم فيه ، كان لك منه صورة أخرى ، فأنت حينئذ لا تشك في أن هذه المقالة كانت حضّاً على الحرب والقتال ، وليست (المناكب) هنا بمانعة . فهي كما تحمل الحجارة للبناء تحمل السيوف إلى حومة النزول وساحة الهيجاء ، قال :

مادت لها الأرض من ذعر ودان لها ما في المقطم من سخر وصوان
لو غير فرعون ألقاها على ملأ في غير مصر لعدت حلم يقظان
لكن فرعون إن نادى بها جبلاً لبنت حجارته في قبض الباني
في هذه الأبيات قوة الشعر ، وبراعة الشاعر ، ولكن قوله (حلم يقظان) في البيت الثاني مما يمتشى عليه حكم النقد ، وإن خيل اليك أنه توسعة في اللغة ، إنها لصورة شاذة تحاول أن تعطيك معنى الأمانى المستحيلة ووصفها فتفصح نفسها ، وتريك من ذاتها لونا عجيباً من ألوان الخيال ، وفي هذه الصورة شيء آخر ، هو أن الأحلام على إطلاقها ليست من نوع هذه الأمانى الكاذبة ، فقد ورد في الأثر أن الرؤيا الصالحة جزء من الوحي ، ولك مما أثبتته العلامة ابن خلدون في مقدمته وعرفه الناس من أمر هذه الأحلام غناء ، وهذا شيخ المعرفة يقول :

إلى الله أشكو أننى كل ليلة إذا نمت ، لم أعدم خواطر أوهام
فإن كان شرّاً ، فهو لا بد واقع وإن كان خيراً ، فهو أضغاث أحلام
ودع قوله (خواطر أوهام) فتلك سحابة ، وهذا وأبو تمام على ما نعلم من شأنه وعلى أنه جعل للملام ماء فقال :

لا تسقى ماء الملام ، فأنى صب قد استعدت ماء بكائي
لم يجترى على الأدب فيقول (حلم يقظان) وهو يذكر طلوع الشمس والليل راغم ، قال :

أما إنه لولا الخليط المودع
لرُدّت على أعقابها أريحمة
لحقنا بأخراهم ، وقد حوّم الهوى
فرُدّت علينا الشمس ، والليل راغم
وربع خلا منة مصيف ومربع
من الشوق ، وأديها من الدمع مترع
قلوباً عهدنا طيرها وهي وقّع
بشمس لهم من جانب الغدر تطلع

نضاضة ماسبغ الدجني، وانطوى ليهجتها ثوب الظلام المبرقع
فوالله ما أدري، أحلام نائم. الملتبنة، أم كان في الركب (يوشع)؟
وصدق أبو تمام إذ يقول في غير هذه القصيدة (وأخو الكري لو لم ينم لم يحلم)
وليس يصح الاحتجاج بقوله :

أيقظت هاجمهم، وهن يفهم سهر الدواظر، والعقول نيام؟
وبعد، فقد أخذ صبرى هذه الصورة من قول أبي جعفر الأعمى، قال :
كم مقلد ذهب في النى مذهبها بنظره هي شأن، أو لها شأن
رهن بأضغاث أحلام، إذا هجمت وربما خلست، والمرء يقظان
أما محصل المعنى في البيت الأول والثالث، فينطوى في قول المعري :
وأقسم لو غضبت على ثبير لأزعم عن محله ارتحالا
قال شاعرنا :

وآزرتة جماهير تسيل بها بطاح وإد بماضى القوم ملاذ
صرف جماهير للضرورة، وأخذ من قول الأول (وسالت بأعناق المطى الاناطح)
وقال :

ويشبهون إذا طادوا إلى حمل جنّا نظير بأمر من سليمان
برأ بذى الأمر، لا خوفاً ولا طمعاً لكنهم خلّقوا طلاباً إقنان
يشبه قوم فرعون بالجن، وليس هذا بالجديد، فقد تنازع الشعراء هذا التشبيه،
واستفاضت أقوالهم فيه، فمن ذلك قول عنتره :

لا أبعد الله عن عبي غطرفة إنساً إذا زلوا، جنّا إذا ركبوا
أما قوله في البيت الثانى (برأ بذى الأمر... الى آخره) فيمحو كل المحو تلك
الصورة التي صدر بها قصيدته، فقد جعل فرعون يفرق في استغزاز القوم وإخراجهم
حتى لقد كاد يطردهم من مصر ويحول بينهم وبين ماء النيل، فإدا جرى حتى حردهم
من الخوف والطمع، ووضعهم في هذه المنزلة من البر والطاعة؟ لنا بسبل
الحقائق التاريخية التي اضطرها الشاعر في قصيدته، وإنما نحن في مقام الإلانة عن
هذا العيب القبيح الكبير، وفي هذا البيت المهادم لصدر القصيدة تعسف شديد

من حيث الصاعقة ، فقد تم المعنى في الشطر الأول منه ، إذ قال الشاعر (برأ بذى
الامر الى آخره) ولم يبق من مكان لقوله في الشطر الثانى (لكهم) . ومم عيب آخر
هو ذكر الاتقان في البيت وما هو بسبيل منه ، إنه لكما تراه لامطمئن الموضع ،
ولا متصل السبب ، قال :

أهرامهم تلك ، حيّ الفن مستحذ
لم يأخذ النيل منها والنهار سوى
من الصخور رُوجاً فوق كيوان
ما يأخذ النمل من أركان شعلان
كانها ، والموادى في جوانبها
صرعى ، بناء شياطين لشيطان
فصغرت كل موجود ضفافها
وغمر بيانها من كل بنيان
كأنما هي ، والأقوام خاشعة
أمامها ، صحف من عالم ثان
إننا نحى الفن مع الرئيس المكرّم ، ونستأذنه في إيراد بعض الشواهد على أن ما
وصف به بناء الأهرام ، وإنها كالبروج المنيعة على كيوان ، ليس من المبالغات المخترعة ،
وإن الشعراء لم يفادروا كما يقول عنتره من متردّم في هذا الباب ، وهذا ما يقوله
الشريف الرضى :

بنوا في يفاع الحمد ، وهو ممنع
ربى طيرها بين النجوم وقوع
وأشد من هذا إغراقاً قول السموأل في الأباقي الفرد :
لنا جبل يحتله من تحجيره
منبع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الترى وسما به
ال نجم فرع لا ينال طويل
بل هذا هو الفرزدق يجرى في هذا المضمار الى أبعد غاية فيقول :
ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول
يقول صدى في البيت الثانى ان الليل والنهار لا يأخذان من الأهرام إلا ما يأخذ
النمل من جوانب شعلان ، وهو أحد الجبال العظام ، وهذا ولا ريب نمل المتفنى الذى
يقول فيه :

أحبك ، أو يقولوا جرّ نمل
ثبيراً ، وابن إبراهيم وريما
في البيت لثالث صورتان : الأولى سقوط الموادى صرعى في جوانب الأهرام ،
والثانية أنها تشبه بناء الشياطين لبعض اخوانهم الشياطين ، وليس بين الصودتين من
صلة ، ومن شأن اداة التشبيه التى توهم وجود هذه الصلة أن تردها تنائياً وبعداً .
وفي معنى الصورة الاولى يقول البحترى :

رَدَّ الحوادث ملقاة أوائلها على أواخرها ردعاً وإيقافاً
 وفي معنى الصورة الثانية يقول ابن المعتز في قصر ، وفيه زيادة ظاهرة :
 فليس له فيما بنى الناس مُشَبِّهٌ ولا ما بناه الجنُّ في سالف الدهر
 بل لقد قال شاعر قديم في وصف بعض الأبنية ، ولعله الغاية في هذا الباب :
 عالٍ كأنَّ الجنَّ إذ مردت جعلته مِرْقَافَةً إلى النسر
 فأما البيت الرابع فقد قال عبيد بن الأبرص في معناه :

لا يبلغ البني ولو رَفَعَ الدعام ما بنينا
 وقال جرير :

ورأيت أبنية خرت وتهدمت وناث عرشك خالد لم يهدم
 يصف شاعرنا ما يأخذ النفوس من الخشوع أمام عظمة الأهرام وجلالها ، حتى
 لكأنها ضعف من عالم آخر غير عالمنا هذا ، وهو وصف بليغ يجعل كل خشوع
 في هذا الباب أو سواء مما يقاربه أو يتصل به مجرداً عن هذه الصورة الفخمة ، واليك
 صورة من هذا الخشوع المجرد لتعرف ما بين الصورتين من التفاضل ، قال
 الشريف الرضي :

قد مررنا على الديار خُشوعاً ورأينا البني ، فأبى الباني ١٢
 هذا شيء آخر وإن كان المقام واحداً ، وإنك لتلمح نوعاً من الشبه بين بيت
 صبري وقول بعضهم :

هم يهلكون ، ويبقى بعض ما صنعوا كأن آثارهم خُطَّتْ بأفلام
 قال :

أين الألى سجّلوا في الصخر سيرتهم وصَفَرُوا كل ذي مُلكٍ وسلطانٍ ؟
 بادوا وبادت على آثارهم دُولٌ وأدرجوا على أخبار وأكفانٍ
 وختفوا بعدم حرباً مخلة في السكون ما بين أحجار وأزمانٍ
 وزحزحوا عن بقايا مجدهم وسطاً عليهم العلم ، ذاك الجاهل الجاني
 وبُلَّ له ، هتكت الاستار مفتوحاً جلال أكرم آثاره وأعيان

للجهل أرجح منه في جهالته إذا هما وُزنا يوماً بميزان.
 في هذه الآيات البليغة من العظة الكونية العامة ما يذهب في الممس البشرية
 إلى أعمق غور وأبعد قرار، وفيها من تصوير مجد الفراعنة والتنويه بأقمارهم،
 وذم العلم وهو يتهجم على تلك البقايا الغالية والذخائر الثمينة وينتهك محارمها في غير
 تعفف ولا وقار، ما يُريك صورة المن الشعري في تسلطه قضايا التاريخ وأحكامه،
 وحقائق الحياة وأوهامها، أن لك في هذه القطعة وحدها أعلا غير محدود من
 المبر والمغطات، وانك حين تتأملها ترى الرئيس صبرى وقد برزت لك في تاجها
 الرفيع، وعلى عرشها الذهبي المسكين، تكتب للدولة الفراعنة ولغيرها من الدول العظيمة
 كلمة الرثاء في جبين الدهر، ونصع في فم أنشودة الحياة الكبيرة، وتحية العظمة
 البالغة، يرددها فرعون وقومه، ولمصر العظيمة ونيلها، أمّا العلم — ذاك
 الجاهل الجاني — فانظر اليه وهو يحتقره ويحرض التاريخ عليه، ثم انظر في ناحية
 أخرى ترّ الجهل البرى يرفع رأسه، ويشير إلى خصمه العلم، والشجاعة ملء عينيه
 وفه، إشارة الذي يقول: هل فهمت؟

وبعد، فقد بالغ صبرى كثيراً وهو يقول في البيت الأول عن الفراعنة (وصغروا
 كلّ دى ملك وسلطان)، وانّ للدول الإسلامية لحقاً كبيراً في ذمة التاريخ
 والأدب، وخير ما يفسر به هذا القول أنّه خاصّ بالدول المعاصرة للفراعنة،
 أو ما كان منها بعد ذلك إلى العصر الإسلامى لعظيم، فأما ما ورد في البيت الثانى
 عن زوال الدولة الفرعونية وما بعدها من الدول تبعاً لتقلب الدهر وجرياً على سيرة
 الوجود فما لا يكاد يستوفى كثرة وانتشاراً، ومنه قول الشريف الرضى:

درجوا كما درج القرون وعلمهم أن سوف يُخبر آخره عن أوّل
 وقال المتنبي:

أين الذى الحرمان من بنيان
 ما قومته، ما يومته، ما المصرع؟
 وهى الدنيا التى يقول فيها الممرى:

ما نال فرعون بها نعمة ولا صفا عيش لموسى الكليم

وكقول صبرى في هذا البيت (وُدّرجوا ملّى أحبار وأكفان) قول الممرى:

جمال ذى الأرض كانوا في الحياة، وم بعد المات جمال الكنبر والسّير

وفي معنى ما يقوله عن العلم والجهل يقول أبو العلاء :
 إذا علمى الأشياء جرّ مضرّة إلى فإنّ الجهل أن أطلب العلما
 ومما يتصل بهذا الباب قول بهاء الدين العاملى في من يجمع الكتب ولا يستفيد
 من قراءتها :

لعمري قد أضلّتك الهداية ضلالاً ما له أبداً نهاية
 فما تنجى النجاة من الضلالة ولا يشفى الشفاء من الجهالة
 وبالارشاد لم يحصل رشاد وبالتبيان ما بين السداد
 يقول صبرى في البيت الأخير من هذه القطعة :

وبلّ له هنك الاستار مقتحماً جلال أكرم آثار وأعبان
 وليس هذا بصحيح على إطلاقه فما كانت ذخائر الفراعة وأحسادهم في مثل هذه
 المنزلة التي تفوق كل منزلة أخرى ، ولسنا ننكر مع كل هذا أن قصيدة (فرعون
 وقومه) ستبقى من الآثار البديعة والذخائر الغالية في عالم الشعر والأدب .

رثاء أميه فكرى باشا

وهبتك يادهر من نطلب أبعد أمين أخ يحب !
 طويت المودة في شخصه فأى وداير امرى أخطب ؟
 وأى بديل له أرتضى وأى شمائله أندب ؟
 أمين اتشد في النوى ، وادعى فبينى وبينك ما يوجب
 أتذكر إذ أنت منى الشياطين من القلب ، أو أنت لى أقرب ؟
 وإذ نحن هذا لهذا أخ وهذا لنا ابن ، وهذا أب ؟
 ومن قال عنا من الناظرين ندما جُذيمة ، لا يكذب
 حسبك بأنك لى خالد فكان الذى لم أكن أحسب

ليس في هذا الشعر من دلائل الفحولة وشواهد العبقرية ما يأخذ النفس ، أو
 يزيد شيئاً جديداً في الفن : فأنت ترى صبرى في هذه القطعة يرسل القول على هينة
 وكأنه يقص عليك حديثاً أو يطلعك على ذات نفسه في صورة مرددة من قديم

الرثاء وجديده ، وأريد هذا الجديد الذى تراه ممسوخاً وعمر به مهدماً لا يعنيك منه سوى أن تجاوزه وأنت فى مافية من بلائه . يقول صبرى فى مطلع قصيدته (وهبتك يادهرُ من تطلب) فهل لهذا من معنى فى مقام الرثاء ؟ وهل ترى بين هذه الصورة الجامدة وبين ما بعدها من الصور لباكية التى تتمثل لك فى هذه القطعة من تعاون أو التئام ؟ يهب صبرى للموت من بحب فى هدوء شامل وسخاء عميم وهذا الشريف الرضى يقول فى رثاء أمه :

لو كان يدفعُ ذا الحامُ بقوقٍ لتكدست عُصَبُ وراثٍ لوأى
بمدرئينَ على القراعِ تقيأوا ظلُّ الرماحِ لسكلُ يومٍ لقاء
وانظر الى المتنبي وهو يتحدث بأخذ النار من الحى فى موت أمه فيقول :
هيبنى أخذتَ لنارِ فيك من العدى فسكيف بأخذ النارِ فيك من الحى !
ولعلَّ الأصل فى هذه الهبة المعدول بها عن وجهها قول أبى تمام :
قصدتُ نحوه المنيَّةُ حتى وهبتُ حُسنَ وجهي للترابِ
فأما قوله فى البيت الثانى (طويت المودَّة فى شغصه) فشبيهه بقول البحتري فى وصيف التركي :

فيالك من حزمٍ وعزمٍ طواهما جديده الردى تحت الصفا والصفائحِ
ومنه قول الشريف الرضى يخاطب القبر :
لم يواروا فيك ميتاً ، إنما أفرغوا فيك ذنوباً من نوالِ
وقوله وهو أقصم :
اليومَ أغمدتُ المهنتَ فى الترى ودفنتُ هضبةَ متاعٍ ويَلُمُ
وليس أقوله فى الشطر الثانى من البيت (فأى وداد امرئ أخطب ؟) أى شحال
فىء بل هو يكاد يعدُّ اليوم من كلام العامة وأشباههم ، ورحم الله الشريف الرضى إذ يقول :

فى كلِّ يومٍ مودَّاتٌ مطلقةٌ قد كان زوجنيها الدهرُ مغرورا
يقول صبرى فى البيت الثالث (وأى شمائله أندب) ويقول الشريف الرضى :
أبكي نداهُ العريضَ أم بشرهُ اللا معَ للمعتفين ، أم ودعة ؟

ويقول صبرى فى البيت الرابع (أمين اتشد الى آخره) وهو معنى من قول
الشرىف الرضى فى رثاء بعض أصدقائه :

ولقد حفظتُ له ، فأين حفاضة ؟ ولقد وفيتُ له ، فأين وفاؤه ؟
فأما قوله :

أتذكر إذ أنت منى النياط من القلب أو أنت لى أقرب ؟
فن قول الشرىف الرضى فى رثاء :
أعزُّ على عىنى من العىن موصعاً والطف فى قلبى من القلب موقعا
وقوله فى رثاء آخر :

يا ثابساً للنفس بل يا ثالث العىن عزاً

فأما قول الرئىس فى البيت السابع ، فه كان وصاحبه كنىدى جنىمة فآخوذ من
قول الشاعر :

وكنا كندمانى جنىمة حقة من الدهر حتى قىل لن يتصدعا
قال الرئىس :

حسبتُ بأنك لى خالد فكان الذى لم أكن أحسبُ
ىقال حسبتُ وحسبتُ أنه ، فلا محل للباء فى قوله (بأنك) ، وغرىب أن ىظن
صبرى أو ىحسب أن صدىقه ىنجوق من الموت فلمعه أراد أن ىقول كما قال الأول :

لقد كنتُ أرحو أن أملاك حقة فحال قضاء الله دوت رجائى
أو لعله نظر الى قول الشرىف الرضى فى رثاء الملك قوام الدين :

وما كنت أدرى أن فوقك أمراً من الدهر ىدعو بغة فتطىع
وأعجب من هذا قول المتنى :

'لا اعا كانت وفاة محمد دلىلا على أن لىس قو غالب'

قال صبرى :

أفى ذا الشىاب وهذا الاهاب بموت الفتى الطاهر الطىب ؟
وىودى الذكاء ، وىقضى الوفاء وتردى الفضىلة أو تعطب ؟

عجيبٌ من الموت أفعاله وعتي على فعله أعجبٌ
 بهذا حكم الله في خلقه لكل امرئ أجلٌ يُكتبُ
 يتفجع الرئيس لموت الفقيد في شبابه ، ويبكي فيه الذكاء والوفاء والفضيلة ،
 وما هي بشيء آخر فيكون لنا من ذكرها صورة جديدة قائمة بذاتها ، وأما في
 المعنى الأول فيقول أبو تمام :

إنَّ الفجيرة بالرياح نواضراً لأشدُّ منها بالرياح ذوابلاً
 ويقول الشريف الرضي :

طوبتك طيَّ البرْد لم يُنضَ من بيكي وقد يُغمدُ المطرورُ وهو صنيعُ
 ولنا نتكلف إيراد الشواهد على كثرة ما قيل في الباب الثاني ، فهو كل ما يقال
 في الرثاء ، فأما قوله في البيت الثالث إنه يعجب من (أفعال) الموت ، ويرى أن
 عتبه على (فعله) "عجب" ، فأنت أدنى من أن ندلك على ما في (أفعاله وفعله) من
 العجب ، والمعنى مأخوذ من قول الفطيمشي رضي :

أحلائي لو غير الحمار أصابكم عتبتُ ، ولكن ما على الموت معتبُ
 بهذا حكم الله في خلقه لكل امرئ أجلٌ يُكتبُ
 صدق صبري وصدق الشيخ أبو العتاهية إذ يقول (وإن لكل ذي أجل كتاباً)
 وإذ يقول :

كلُّ نفسٍ ستوافي سعيها ولها ميقاتٌ يومٍ قد وجبُ
 ولم تضنَّ على الخنساء بالتحية وقد قالت :
 أبكي فتي الحى فالتة منبته وكلُّ نفسٍ إلى وقتٍ ومقدارٍ
 إرعوى الرئيس بعد طول التفجع إلى حكم الله وسنة الحياة فأشبهه مسلم بن الوليد
 إذ يقول في يزيد بن يزيد :

أحقاً أنه أودى يزيدُ ؟ تأمل أيها النساغي المشيدُ
 أحامي المجد والاسلام أودى فما للأرض وبحك لا تميدُ ؟
 أما والله ما تنفكُ عني عليك بدمعها أبداً تجودُ

أبعد يزيد تختزن البواكي دموعاً ، أو تصان لها خدود ؟
 لتبكك قبة الاسلام لما وهت أطناها ، وهوى العمود
 فان يهلك يزيد ؛ فكل حتى فريس للمنية ، أو طريد
 قال صبري :

وجدت الحياة طريق المات وكل الى حتفه يسرب
 ويعثر فيه الفتى بالشباب ويدلف بالعله الاشيب
 فأما ان الحياة طريق المات ، فقد قال السموال :

ميتاً خلقت ، ولم أكن من قبلها شيئاً يموت ، فمت حين حيت
 وقال الشريف الرضى :

بقاه الفتى مستأنف من فنائمه وما الحى الا كالغيب في الرمس
 وأشد من هذا إبانة عن لمعنى قول البحترى :

أجارتنا من مجتمع يتفرق ومن يك رهناً للحوادث يغلق
 وأوضح منه قول المعري :

إن شئت أن تكفى الحام ، فلا تلعش أن الحياة الى المنية ملهم

بل نحن ندع هذا السلم لملتق وشاعرنا الكبير في طريق واحد ، قال المعري
 يخاطب الدنيا :

وجدناك الطريق الى المنايا وقد طال المدى ، فتي مجوز ؟

وأما موت الشباب ، وبقاؤ الشيب فكثير ما قيل فيه ومنه :

يرجو الأب الطفل الصغير وطالما هلك الوليد ، وعاش فيما الوالد

وقال بعضهم :

كم عوجلت عادة كعاب وغودرت أمها العجوز

والأصل في هذا الباب قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :

رأيت المنايا حبط عشواء من نصب تمته ، ومن تخطىة يعمر فيهم

قال صبري :

ألمنا تكامل نور الأمين وناء به الشرق والمغرب

ووفى المكارم ما أملت وأعطى الفضائل ما نطلب
ودان له أمل في الحياة ونم له في العلى مأرب
طواه الردى علماً فانطوى به أمل مقبل رقب ؟

عاد الشاعر الى التفتح بعد ذلك الارعواء ، وفي هذه القطعة تقليد مطلق لقول
أبي تمام في أحمد بن هارون القرشى :

أعلنا تتربل المجدة واجتا ب من الحمد أيما محتاب
وترأته أعين الساطريه قرأ باهراً ورئبال غاب
وعلى عارضيه ماء الدى الحما رى زومة الحصى وماء الشباب
أرسلت نحوه المنية عيناً قطعت منه أوثق الأسباب ؟
قال صبرى :

فيا نائياً والهوى ما نأى وذكره فى لبال لا تعرب
هيناً لدار تيممتها لقد زارها الملك الأطيب
وجاورها كثر من خللك خلوة مع الخلد مستعذب
تنعت فيها ، وخليتي لى منزل برقة خلب
وداد الصديق به حول وقلب الصديق به قلب
وصعب على الحر فيه المقام ولكن هجرانه أصعب

نأى أمين فكرى ، وما نأى هواء عن صبرى ولا عزبت ذكره عن باله ولوشنا
أن نسوق إليك أسراباً متلاحقة من أشباه هذه الصورة ونظائرها لنعلمنا ، فحسبك
منها قول أبي تمام :

لها منزل تحت الثرى وعهدتها لها منزل بين الجوامح والقلب
وقوله (قالوا وشوقك لم يظمن ولم يبين) وقول الشريف الرضى :

شوق أقام وأنت غير مقيمة والشوق بالكيف المعنى أعلق

فأما قول صبرى (هيناً لدار تيممتها) فلا طائل تحته وهو معنى من قول

أبي تمام :

بات الترى بأخى جذلان مبهجاً وبنت محكم في أجفاني الشهيد
وانك لى غنى عن إيدانك بما فى البيت الثالث من الاضطراب وشدة الفلق ،
وأما قوله (تنعمت فيها وخلعتنى ، إلى آخر البيت) فمن الصور التى تناولها
الشرىف الرضى فى قوله :

يفوز بالراحة الفقيد ولقا قدر طول المنام والتعب
نتخطى البيت الخامس الى ما بعده ، وهو الذى يقول صبرى فيه إن الحياة فى
هذه الدنيا ثقيلة على الحر ، ولكن الموت عليه أثقل ، وهذا وصف عام يتمشى
على الناس كافة ، فلا معنى هنا للتخصيص والحصر ، (تعب كل الحياة ...) . قال
صمران بن حطان فى الدنيا :

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها على أنهم فيها عراة وجوع
لا ، فذلك قضية لا تؤخذ إلا من فم المرمى ، ومنه أخذ صبرى ، قال :
وجدنا أذى الدنيا للذيذا كأنما جنى النحل أصناف الشقاء الذى نجى
فأرغبت فى الموت كدثرة مسيرها الى الوردة خمس ثم يشرى من أجور
ولا فلقات الليل باتت كأنها من الأين والادلاج بعض القنا اللدن
وخوف الردى أوى الى الكهف أهله وعلم نوحاً وابنه حمل السفن
قال صبرى :

ويا ثربة حل فيها الأمين لانت الفرايس أو أخصب
حُبمت على رحمت الرحيم وجادك رضوانه الصائب
ولا زالت السحب منهلة وأنت لا ذيلها متعجب
وروتك منى دموع تسيل تخامرها مهبج تسكب
ليس فى تشبيه القبر بالروضة شيء جديد ، فلما رأى حافلة بهذا ومنه قول الشرىف
الرضى :

وان ضرائكم فى الصعيد لتكسو الخبيث من الأرض طيبا
وقوله فى قبر ابن الطائع لله ، وفيه صورة أخرى ولون مزيد :
منهل الجنات نضحك أرضه فكأن بين فروجها الجوزاء

ويقول أبو تمام :

مضى طاهر الأثواب ، لم تبق روضة غداة ثوى الا اشتبهت أنها قبراً
والغاية في هذا الباب قول المتنبي :

وما ربحُ الرياض لها ، ولكن كساها دفنهم في الأرض طيباً
يدعو صبرى لثربة الأمين بسقيا السحب ، فمن يصدق أن هذا من قوله ؟ وماذا
تصنع السحب بالقبور ؟ ياله من تقليد جاهل لا يكاد يرحم الأدب ، ولا أدري كيف
تقيد الشريف الرضى في القرن الخامس من التأريخ المحرى بهذا المذهب فاكتر
من طلب السقيا للقبور ، ومنه قوله :

سماك وإن كنت في شغلٍ عن الرى داني الندى صائب
وقوله :

أخلاق لا زال جمُّ البروق أجشُّ الرعود يطعمُ الجنوا
يشقُّ المزاة على مُربكم ويمرّ على كلِّ قبر ذنوا
وقوله :

أرسي النسبم بواديكم ، ولا برحت حواملُ المزن في أجداثكم تصمُ

نرى أن محكم حكماً عاماً على هذه القصيدة فنقول في غير مداراة ولا ممانعة إنها
ليست من الشعر الماثور ، وأنها قصيرة العمر قريبة مدى البقاء في عالم الأدب الحى ،
ومن عيوبها أنها لا تعطى القارئ صورة واضحة عن الفقيه ، فهو مأتم يفرعك
ما تسمع فيه من شدة الصخب والضجيج ، وكذلك لا تعرف عن البيت الا انه
صديق عزيز ، وانه كان ذكياً وفياً ، تكامل نوره ، فتاه به اشرق والغرب ، وفي
المكارم حقها وأعطى الفضائل طابعتها ، كان علماً فانطوى ، وانطوى فيه أمل : هذا
هو أمين فكبرى في قصيدة الرئيس . وقد يردّ كل ما عزي إليه من الفضائل في
ظلمة هذا النموذج الى المبالغات الشعرية فلا يبقى الا انه صديق عزيز وأخ للشاعر
كريم ، وما أشجى ما يقول الشريف الرضى في فقد الاخوان والاصدقاء :

أحبائي الأدين كم ألقى بكم داء يمرض فلا أدورى الداء
إلا يكن جسدى أصيب ، فاني فرقته ، فدفنته أعضاء ا

مذهب هالي

فزع العالم كله لما كان متوقع من جسام الحوادث حين زعم المهولون المزاعم
عن هذا المذهب العظيم فلم يكن عجبا أن يتناول صبرى بانها هذا الحادث الكبير
فيخلد ذكره في قصيدته من شعره الجزل . وانما السبيل هذه القصيدة التي تريا
صبرى الشاعر الكبير ، وصبرى العالم الفيلسوف ، وصبرى الزعيم الداعية ،
وصبرى الخالق المنفيع ، وانك لترى صبرى الأخير في هذه القصيدة وقد اتفقت
عيانه بارأ ، وتدقق الغضب من فمه متدافعا زحاراً ، فتذكر به نوحاً وقوله : (رب
لا تذره على الأرض من الكافرين ذرياً) ، إنك إن تذكرهم يصلوا عبادك ولا
يلدوا إلا فاجراً كفاراً) .

يغضب صبرى في هذه القصيدة غضبه الكبرى ، لا متعجبياً على العالم وناسه ،
ويستنزل الموت والعذاب على هذه الأرض لا لقسوة في طبعه ، ولا لتراحم في
في احساسه ، ولكنه رأى الأمم تتخذ من أهوائها الظالة وشهواتها الوحشية
الدينية أو ثنائاً تعبدتها ، وأصناماً تعكف عليها ، ووجد مظالم البشر ومما كرم
تُسقل ظهر الأرض وتعلأ جوانب العلم ، فلا حنان ولا حُب ولا نور ولا جمال ،
وهذا ما يصفه في قصيدته ، قال :

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| غاض ما الحياة من كل وجه | فقد كالح الجوانب قفرا |
| وتفتى العفوق في الناس حتى | كاد رد السلام بحسب بوا |
| أوجه مثل ما نثرت على الأجة | دات وزدا إن هن أدين بشرا |
| وشفاه يتقلن أهلاً ولو أدي | ن ما في الحشا لما قلن خيرا |
| همرك الله هل سلام ودار | ذاك ، أم حاول المسلم أصرا ؟ |
| نميت عن طريقها أم تعامت | أمم في مفاوز الجهل حيرى ؟ |
| غرها سعدتها ومن طادف السعد | يد يأتى يوماً ويخذل دهرا |
| فتجنت على الشعوب وشتت | غارة في البلاد من بعد أخرى |
| نسيبت في العمود يوم التذلى | والثدلى بصاعد الجدد مغرى |
| قعب الفيلسوف في الناس عصراً | ونولى السراير الدين عصرا |

والورى طاردٌ اذاع طريد
عبرٌ كلها الليالى ، ولكن
أنت نعم النذيرُ يا نجم هال
ظنٌ قومٌ فيك الظنون وقالوا
إن يكن فى عينك الموت فاقدر
أغداً تستوى الانوفُ فلا يد
أغداً يصبحُ الصراعُ عنافاً
إن يكن كل ما يقولون ، فاصدع

ظهر صبرى فى مواضع كثيرة من هذه القصيدة التى بقيت منها أبيات آخر لم
تناولها ظهوراً واضح الأثر ، ناطق الدلالة . ولما نزع أنه قصى حاجة الفن كل
القصاء ، وأتى من سعة التصوير ودقة الوصف بكل ما يتطلبه الأديب ، فقد كف
نفسه عن كثير من أطعمها الفنية ، وفنع بالزرر البعير من تمثيل آلام الانسانية
وأحزانها ، فلو ما اشتملت عليه القصيدة من جودة النظم ، ولولا ما وعت من
الحكمة وبراعة الوصف فى الجانب الواضح الاشرار منها ، لفقدت جمالها ، ووقعت
فى مكان آخر غير مكانها ، وقد يكون هذا حكمها لو لم نجىء فى هذه الصورة الجملة
فقد عرفنا ان صبرى يعيا بالمطولات ولا يستطيعها ، وليس لما أكره عليه الطبع
من جمال .

لم نخل هذه القصيدة من عيوب فنية ، يتمثل بعضها فى الرجوع الى الشعر القديم
والاستماتة به على تأدية بعض الأغراض ، ويقوم بعضها الآخر فى اغفال ما لا بد
منه لاصابة الوجه واقامة المذهب . فن الباب الأول قوله :

غاض ماء الحياة من كل وجه ففسدا كالح الجوانب قفرا

وقد تداول الشعراء ماء الحياة فى حالتيه فهو يفيض على ألسنتهم تارة ويغيب
تارة أخرى ، وكذلك هم قد تناولوا خصب الوجوه وجدها ، فأطالوا فى ذلك
وأكثرها . فما قالوا فى ماء الحياة :

كثيرٌ حيام الوجه يقطر مائده على أنه من بأسه النار تلتفح

ومن قولهم فى الوجوه الخصبية وهو للخزيمى :

وما الخصب إلا صياف أن يكثر القرى ولكننا وجه الكرم خصيب

وقال ابن أبي الهيثم في نقبض هذا المعنى :

لي صديق هو عندي عوز من سداير ، لا سداد من عوز

وجهه يذكرك في دار البلى كلما أقبل بحوى وضمز

ومن هذا قول الآخر :

لا يعمل الميرد في وجهه ويعمل في الميرد !

ومن قول صبري في باب الرجوع إلى القديم :

وتفشي العتوق في الناس حتى كاد رد السلام يحسب بر

فان ذلك قول ابن صمار :

تناهيتهم في برنا لو سمحتهم بوجوه صديق في اللقاء وسيم

ويقول صبري .

وتنهاه يقرن أهلاً ولو أدرك ... من ما في الحشا لما قلن حيرة

وهو من قبيل قولهم :

يقولون لي أهلاً وسهلاً ومرحباً ولو ظفروا بي سامة قتلوني

والبيان من قوله (خيراً) في هذا البيت من عيوب القافية ، وقد تكرر هذا

العييب في قوله :

تميت عن طريقها ، أم تعامت أمم في مفاز الجمل حيرى ؟

وقوله (مفاز الجمل) في هذا البيت لا يخلو من مطمن ، ففي اللغة على وجه

راجح ان المفاز صفة عكسية للفلاة المهلكة يراد بها التناؤل بالجماعة ، وليس المقام

بمحتمل هذا ، ومرد الأمر إلى فقه اللغة وأدبها ، ومن التمسك بالقوى قوله :

غرها سمعها ، ومن عادة السعد لم يوثى يوماً ويخذل دهر

يقال من عادته أن يفعل كذا ، فلا وجه لاسقاط (أن) . قال الشاعر :

أعادتها أن لا يعاد مريضها وسيرتها أن لا ينفك أسيرها

والمواتاة لغة الموافقة ، فإهي الخذلان بضد ، والمعنى في هذا البيت وقوله :

نسيت في الصمود يوم التلدي والتلدي بصاعدي الجسد مغري

مأخوذ من قول الشاعر :

ما طار طيرٌ وارتفعُ إلا كما طارَ ونفعُ

ومن قول الآخر :

لا يأمنُ قوًى نفضَ رمرتو إلى أرى الدهرَ ذا نقضٍ وإمرارِ

ومن الخيل الوصفى قوله (والورى طارد إراء طريد) فالوجه أن يقال وراء
لنصفين الصورة ، وفي هذا المعنى يقول الشريف الرضى :

والناسُ أُمْدٌ تَحْمِلُ عَن فرائسها إمّا عقرت ، وإما كنت معقورا
وللمعري في الناس :

همُ السباعُ إذا عسنت فرائسها فإن دموعَ طيرٍ حوّلوا محمرا ۱۱
وله :

إذا أنت لم تهرب من الألسنة فاعترف بطئس تعاوى ، أو تعالبت تفتيح
وقال :

والعيقُ حربٌ ، لم ينعُ أوزارها إلا الجمام ، وكلثنا أوزارُ
فأما قول صبرى :

عبرَ كُثُها الحياة ، ولكن أين من يفتحُ الكتابَ ويقرأ ؟
فن الصور القديمة التي يراها الأديب كداساً متراكمة في أفنية المدرسة
الشعرية الأولى ، قال عدى بن زيد :

كفى زاجراً للمرء أيامُ دهره نوحٌ عليه بالعظامِ وتفتدى
وقال المعري :

إنهم عن الأيام ، فهم نواطق ما زال يضربُ صرْفُها الأمثالا
وقال :

والدهرُ شاعرٌ آفاتٍ يفوهُ بها للناسِ ، يفكرُ أحياناً ويرنجلُ
ومن قوله في هذا الباب :

أو تما قرأتَ سجلَ دهرِكُ ناطقاً بالهكَلِ ، يُشكَلُ بالخطوبِ ويُنْقَطُ ۱۲
وقال أبو المتاهية :

إنَّ الرُّمَّانَ لِشَاعِرٍ وَخَطِيبٍ

قال صبرى :

إن يكن في يمينك الموتُ فأقْدِفْهُ هُ شَوَاطِئاً عَلَى الْخَلَائِقِ طُرّاً
أَغْدَاً تَسْتَوِي لَا نَوْفُ فَلَا يَنْفُ ظَرُّ قَوْمٍ قَوْمًا عَلَى الْأَرْضِ شَرّاً !
كان الخطر المتوقع من ذنوب نجم هالى ، فلا معنى لذكر يمينه أو شماله ، وليس
في البيت الثانى أكثر مما قيل قديماً :
ولقد مررتُ على القبورِ فها تَمَيَّزَتْ بَيْنَ الْعَبِيدِ وَالْمَوْلَى
ومثله قول المحرّسى :
والموتُ يسلبُ ما فى الأنف من شَمِّهِ تحت الترابِ ، وما فى الخدِّ من صَمَرِهِ
وقال الشريف الرضى فى الموتى :
نزلوا بقارعةِ تَشَابَهٍ عِنْدَهَا ذُلُّ الْعَبِيدِ ، وَعِزَّةُ الْأَحْرَارِ
ومن الصور الرائعة فى قول صبرى فى هذه القصيدة :

تعبَ الفيلسوفُ فى الناسِ عَصراً وتولى السرائرَ الدينُ عَصراً
ولكنك اذا عرصت هذه القصيدة الضخمة على عقلك وأنت تنظر الى تأريخ
البشر وأديانهم وفلسفاتهم لم تجد لها من أثر أمام الحقيقة ، فان الانسان الأول لم
يهبط الى هذه الأرض الاّ برسالة الدين فى عقله ، فالولاية العمامة إذاً على هؤلاء
البشر لم تكن لشيء آخر سوى الدين فى أى عصر من العصور ، ولا يطمع فى ذلك
ما كان من تلك الفترات التى تخللت بحجى الرسل والانبياء عليهم السلام ، ولست
بمكر عمل الفلاسفة وثر الفلاسفة فى حياة الأمم ولكنى أنكر تلك الصورة المحرفة
التي توهم التعاقب فى الولاية بين الفلاسفة والدين ، وهو ما لا وجود له . وأبدع ما فى
هذه القصيدة قوله :

أَوْجُهُ مِثْلَهَا نَتَرْتُ عَلَى الْأَجْرِ . . . لَدَاتٍ وَرُدَّاءُ إِنَّ هُنَّ أَبْدِينُ بَشَرًا !
وقوله :

أَغْدَاً يَصْبِيحُ الصَّرَاعُ عِنَاقًا فى الهيمولى ، ويصبحُ العبدُ حُرّاً !
وأنا أرحو أن تكون الصورة التشبيهية فى البيت الأول من مبتكرات صبرى .

ولعل قوله في البيت الثاني (ويصبح العبد حراً) مما يدخل في باب الملحقات التي لا صلة بينها وبين ما هي إليه من الكلام ، وقد اندمج هذا المعنى في قوله (أغدأ تستوى الأتوف ، الى آخره) فلم يبق له من محل ، وقد كان من حق هذا البيت البديع الذي يعدّ من الشعر المعلى ، وهو قليل في آثارنا الشعرية ، أن يأخذ بجراه على هذا النسق الى النهاية ، ولكن عين الكمال يقول الأقدمون أصابت شاعرنا فأنتم هذه الرقعة التي حجبته وراها جمالاً كثيراً ، وانت حين تتخيّل هذا الصراع البشري العنيف وقد استحال بعد الموت وآثاره عاقباً وضماً والتزاماً بين بقايا البشرية وأنقاضها ، أو بين مادتها المنحلة وجوهرها الدائب المتناثر ، إنك حين تتخيّل هذه الصورة الرائعة لتريد أن تلتهمها كاملة ، وانتك لتراها ناقصة في البيت ، والكمال لله وحده ، فأعذر صبرى ، وانظر ما يقول المعري في المرتبة الأولى من مراتب هذا العناق وهو يصف المنايا وأحداثها :

فكم قارن من رأس برجله وكم الحقن من قدم براسه

قصيدة في نهضة السلطان حسين

ليس لهذه القصيدة من شأن يذكر ، ولعل هذا لأنها نظمت لضرورة سياسية ، ونحن نرى بهذه القصيدة لمأماً . قال في مطلعها :

اليوم أن لشاكره أنت يجهر بالشكر ، مرتفع العقيرة في الودي ومنها :

هذا ابن اسماعيل : نجم طالع الهداية السارى ، فحى على الشرى وقد ختمها بقوله :

حال إذا نظر الأدب جاهلها شكر الاله ، وحقه أن يشكرا في البيت الأول اضطراب ظاهر ، وفي الثاني معنى مكرر من أشعار المتقدمين ، ومنه قول كعب الأشعري في آل الملوك :

نجوم يهتدى بهموا إذا ما أخو الغمرات في الظلماء حاراً فأما البيت الثالث فشبيه قول البهاء زهير في الأمير محمد الدين محمد بن اسماعيل :

وغفرتُ ذنبَ الدهر يومَ لقائه وشكرتُهُ ، ويحقُّ لي أن أشكرا
وأحسن ما في هذه القصيدة قوله :
والنيل لم يبرح على العهد الذي أخذته قبلُ عليه ناضرةُ القرى
منهادياً بين البقاع ، مناجياً أرجاءها بالغصب يكتنفُ الثرى

لو أنه اطّول المنازل تنطق

هذه هي القصيدة الرنانة التي احتلت مكاناً رفيعاً ومنزلة سامية في مملكة الشعر وكانت لصبري آية باقة وحجة ناهضة على أنه من مهرة الشعراء وجمابفتهم ، وهي عمالة بالكثير من بدائع الفن ومحاسنه وقد أبسطت فيها نفسه وتدفق طبعه ، على غير عادته في المطولات فظهرت فيها قوة الباعث ونشاط الروح الشعرى وجاءت من المأثورات التي تستطيع الاحتفاظ بمجدها وحرارتها مدة طويلة وفي معتقدنا أن هذا النشاط المتجدد في القصيدة مردود الى تجديد الأغراض وتراذفها فقد اشتملت على سبعة وثلاثين بيتاً : منها خمسة في ذكر الاطلال والمسارل ومساواة الأحباب والشكوى من الفراق ، وأربعة في عيد الفداء وسدة الملك وما يقتظم في هذا السلك ، وأما عشر بيتاً في مدح الأمير وذكر الشورى ونحو ذلك ، وثلاثة عشر في فاجعة دنشواي وآثارها ، وثلاثة وهي ختام القصيدة في مدح العباس والدعاء له - هذا ما نعتقده ولعلنا فيه على صواب .

قال صبري في هذه القصيدة :

لو أن اطلال المنازل تنطق ما ارتدت حرائر الجوى نوح شيق

لا ننكر على صبري ذكر الاطلال إنكار من يرى أن هذا يعد من مهجورات الزمن القديم والحياة الاولى فان للشاعر أن يتناول كل شيء ، وليست اطلال الديار وذكرى الأحباب مما يدخل في ذلك الباب فما تزال يد الزمن تمفو الآثار وتبلى الجديد .

لا ننكر هذا على صبري ولا سواء من شعراء عصرنا ، بل نحن نرى أن يكون وصف الطلل من الصور الفنية التي ينبغي لكبار الشعراء أن يتناولوها ، ويتباروا فيها ، ولكن لا على تلك الطريقة القديمة التي لا تتمدد في ذكر القدم ووصف البلى

ذلك الوصف الجاف الذي لا يفيد من الوجهة الفنية ولا يفنى ، وهذا موضع العيب في قصيدة صبرى ، وثم موضع آخر مُقدّم على هذا ، وهو فساد الذوق وسره الاستعمال ، فإن كل مقام لا يحتمل ولا يقبل إلا ما يناسبه من الصور والألوان ، وصبرى في هذه القصيدة بسبيل النهضة وفي مقامها ، فليس من أدب الفن ونظامه أن يبدأها بتلك الصورة الممزقة ، ولا أن يلطخ وجهها بتل ذلك اللون القاتم ، واليك أمثلة من الشعر القديم تريك تقليد صبرى في ذكر الاطلال واصحاً ، وتدل على قصوره وضعف قوّته حتى في هذا التقليد . قال امرؤ القيس :

بقنا نيك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته مُسندُ أزمان
أنت رجيجٌ بعدى عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان
ذكرت بها الحى الجميع فهِيجت عقابيل سُقم من ضمير ، وأشجان
فسحت دموعى في الرءاء كأنها كلّى من شعيب ذات سحر وتهان

وصف امرؤ القيس الاطلال في هذه الأبيات فشتتها في دثورها وخفاء معالمها بأساطير الكتب القديمة ، وذكر ما أصابه وهو يقف فيها فيراها مقفرة من ساكنيها ، وهو إذ تغلبه الذكرى على صبره في هذا الموقف فيبكي ، يصور لك كيف بكى ، ويصف دموعه وهى تجري سحّاً على ردائه ، فيقول لها إنها كانت كالماء يتدفق من الرقعة الواهية في السقاء البالى ، وهذه صورة تشبيهية أخرى ، لها شأنها في باب التصوير الفنى ولها مكانها ، قال زهير بن سلمى :

أمن أم أوقى دمنة لم نكلم بحومانة الدراج ظلت سلم
ودار لها بالقتين كأنها مراجع وشمر في نواشر معصم
بها العين والآدم يمشين خلفه وأطلاؤهم ينهضن من كل نجم
وقفت بها من بعد عشرين حجة فلا تياً عرفت الدار بعد توهم
فلما عرفت الدار قلت لبعها : ألا انعم صباحاً أيها الربيع واسلم

هذا وما قبله من الشعر الوصفى الذى يزيد في ثروة الفن ويوسع أفقه ، وما يُنسب الى عنتره . وفي البيت الثانى موضع كبير للشك لبعد العرب عما يرى فيه من آثار الصناعة :

لمن طلل بالرقتين شجاني وعانت به أيدي البلى فحكاني
 وقفت به ، والشوق يكتب سطرأ بأفلام دمعى فى رسوم جناني
 كان هذا شأن القوم فى العصر الأول ، وقد بقى لهذا المذهب أثره حتى فى
 العصر الأموى الذى ألبس الشعر ثوباً جديداً من الحضارة . وهذا ما يقوله
 الأخطل :

لمن الديار بحايل فوعالر درست وغيّر ها سنون خوالر
 درج البوارح فوقها فتسكرت بعد الأيسر معارف الأطلالر
 فكأنما هى من تقدم عهدا ورق نشرن من الكتاب بوالر
 دار تبدلت النعام بأهلها وصوار كل مدح ديالر
 أما جرير فيقول :

ما للمنازل لا يحببن حزيننا أصممن أم قدّم المدى قبلينا ؟
 على أن جريراً خير من الأخطل ، فقد أخرج نفسه وفنه من هذا المضيق بمض
 الشئ فقال :

حتى الديار كوحى الكاف والميم ما حفظك اليوم منها غير نسيم
 بل هو قد استحدث للشعر لغة جديدة فى وصف الديار ، فانظر الى البيت الثانى
 من قوله :

لمن الديار كأنها لم تحكلى بين الكناس وبين طلع الأعزل ؟
 ولقد أرى بك ، والجديد الى بلى موت الهوى وشفاء عين المجتلى
 ليس هذا هو التجديد بعينه ولكنه أهم به والتزوع اليه ، فدعنى أنتقل بك
 الى العصر العباسى لأريك ما جدد الحسن بن هانى وأبو نعام والبحترى فى هذا
 الباب . قال الأول :

لمن يمن تزداد حسن رسوم على طول ما أقوت ، رطيب نسيم ؟
 أنرى لو أن صبرى إذ لم يجد من ذكر الاطلال بدأ قال مثل هذا فى مطلع قصيدته
 أكت نصيبه بكثير من اللوم ؟ ان الصديق أبانواى قد خلع على الاطلال من هذا

الوصف الشائق ما تشتهي الرياض الضاحكة أن يكون لها ، وانك لذو بصر وفطنة ،
واليك ما يقوله في قصيدة أخرى :

ألا أرى مثلي امتري اليوم في رسم تُغصن به عيني ويلفظه وهي
أنت صُورُ الأشياء بيني وبينه فظني كلا ظنٍّ ، وعسى كلا علم
ان في هذا لونا جديداً من ألوان الفن النواصي البديع ، وانه لتجديد بعينه ،
وهذا أبو تمام وفنه ، قال :

من سجايا الطول أن لا نجيبا قصواب من مقلتي أن تصوبا
فاسألها ، واجعل بكك جواباً تجمد الذمّح سائلاً وتُجيبا
قد عهدنا الرسوم ، وهي عكاظ للصبي تزدهيك حسناً وطيبا
أكثر الأرض زائراً ومزوراً وصعوداً من الهوى وصوباً
هكذا يقول حبيب في الطول وسجايها وسؤالها وجواب سائلها ،
وهكذا يصور أيامها الأولى وحياتها البائدة فتراه وكأنما هو يصف لك دولة كانت
بالأمس في أوج مجدها وسوددها ، ثم عصفت بها حوادث الزمن فلم تترك منها
سوى آثار طامسة ، ورسوم صماء ، وان أبو تمام لشاعر خصيب الفكر غني البيان ،
وهذا صوت آخر له ، قال :

على مثلها من أدبٍ وملاعب أذيلت معونات الذمّح السواكب
أמידان طوى من أتاح لك البلى فأصبحت ميدان الصبّ والجناكب
أصابتك أبكار الخطوب فشتت هواي بأبكار الظباء الكواكب

صورة جديدة لا شك فيها ، ومع أنا لسنا من أنصار البديع في الشعر فإن براعة
الشاعر في هذه الصورة تكاد تشغلنا عنه وعن رأينا فيه ، ومعنى هذا أن ما ورد فيها
من أنواع البديع قد جاء متمكناً ، ووقع هادئاً مستقرّاً ، حتى لقد يصيق بنا المذهب
إذا زعمنا أن الشاعر أراد أو قصد إليه وإن كان هذا هو الشأن ، فإن أبو تمام مولع
بهذا المذهب الذي وضع مسلم بن الوليد أساسه في شعر العربي وجرى فيه أبو تمام
على أثره ، حتى لقد قال بعض المقاد من الأقدمين إن أبو تمام يُقرم بالبديع
فيدفعه إلى المحال ، وقد يكون قوله (أبكار الخطوب) من هذا النوع عندهم ولكني
لا أرى فيه شيئاً :

يا منزلاً أعقت فيه الجُوبُ على رسم محبل وشعب غير مُلتم
 حرمت بعدى ، والرُبْع الذى أفلت منه بُدُورُكَ مَعْدُورٌ على الهرم
 عهدى بمغناك حسان المعالم من حسنة الجيد والبردى والعتم

* * *

يا موسم اللذات فالتك النوى بعدى ، فربك للصبيبة موسم
 ولقد أدرك من الكواعب كاسياً فاليوم أنت من الكواعب محرم

* * *

أدار البؤس حبيبك التصاى إلى ، فصرت جنات النعيم
 لئن أصبحت ميدان السوافى لقد أصبحت ميدان الهموم
 أظن الدمع فى خدّى سيقى رسوماً من بكائى فى الرسوم

* * *

لا تكثرن ملامى إن عسفت على رُبْع الحبيب ، فلم أعكف على وتن
 كل هذه الصور الغمسة والألوان الحلوة الملتمة لأنى تمام ، فانظر كيف اختتمت
 الطول ، فيها من همود ووحشة حلف هذا الجمال الفنى وتوارت وراءه كما تتوارى
 القبور البالية وراء اقصور الأنيقة والحدائق النظرة ، فأنت لا تعافى ، ولا تمل
 النظر إليها ، وحسبنا هذا من أبى تمام ، فالكلمة الآن للبحترى ، قال :

أرُسوم دار أم سطور كتيب درست بشاشتها على الأحقاب ؟
 يجتاز زائرها بغير لبانة ويرد سائلها بغير جواب
 علق البحترى بالقديم فى البيت الأول والم به فى الثانى ، ولكن نديباجة
 جديدته ولغة أخرى ، وخير من هذا قوله :

لولا نعتنى ، لقلت المنزل معنى نبيضة ، ومعنى مُشكَلُ
 يا دار لا زالت ربك تجودة من كل غادية تعل وتهل
 فتمتينا ذوى الزمان وصرفته ورئدنا كيف الخطوب المنزل
 أصابة برسوم رامة بعد ما عرفت معارفها الصبا والشمال ؟

حتى هذه الأبيات لا نعدّ من الصور الفنية التي هي من حق الفن على شاعر كبير كالبحترى ، ولعله أقرب الى الرجاء في قوله :

يادمنة جاذبتها الريحُ بهجتها تبثتُ نشرها طوراً وتطويها
لا زلت في حُللٍ للغيث ضافية يُنيرُها البرقُ أحياناً ويُسدّيها
تروحُ بالوابلِ الداني روائحها على ربوعك ، أو تغدو غوادبها
ومن الجديد في هذا الباب قوله :

هَبْ الدَّارَ رَدَّتْ رَجَعَ ما أنت قائلة وأبدي الجوابَ الرَّبْعُ هَما تسائلة
أى ذاك بُرَّةٌ من جوى أهب الحشا توفدُهُ ، واستغزَرَ الدَّمْعُ جائلة ؟
على أن فنّ البحتري لا يبدو لك واضحاً كما تشاء إلا حيث يقول :

أصبّا الأصائل ، إنَّ برقة شمدر تشكو اختلافك بالهبوب السمردر
لا نسعي عرصاتِها ، إنَّ الموى ملقى على تلك الرُّسوم المُمدر
دَمَنَ مَوَائِلُ كالنجوم ، فإن عفت فثأى نجمٍ في الصبابة نمتدى ؟

نستفيد من كلّ هذا أن أئمة الشعر ما برحوا على توالي العصور يعالجون هذا المذهب ويستحدثون فيه من مختلف الصور والمعاني ما يؤدّي رسالة الفن ، ويكشف لنا عن محاسنه ، ومن العجز البالغ المدي أن يقوم شاعر كبير كمبدي باشا فيقول في القرن العشرين :

لو أنَّ أطلالَ المنازل تطلقُ ما ارتدّت حرّانَ الجوانح شيقُ

ودع عنك قوله بعد هذا :

أمطالع الأقدار أهلك أسرفوا في النسي إسرافة الفنى ، وأغرقوا
لو أنهم (قد) أنصفوك (منارلاً) ما حازم في السكون بعدك تشرقُ
عجزٌ وأبيك ظاهر ، ونقليدٌ بتر لا معنى له ، ولا فائدة فيه ، وإنّ المتنبي وهو أقرب هؤلاء الأئمة عهداً بنا وبهذا العصر الذي تتعاطى الأدب فيه ليصوّب اليأس من نظراته الجارحة ولحن على عهدنا من التصور ما يستفيدة كلّ أديب من قوله :

بكيتُ ياربُ حق كدتُ أبكيك وَجَدْتُ بي وبدمعي في مغانيك
بأيّ حكم زمانٍ صرتَ متخذاً ريمَ الفلا بدلاً من ريمِ أهليكَ ؟

أيام فيك شموس ، ما اتبعن لنا إلا اتبعن دماً بالاحظر مسفوكا

لك يا منازل في القلوب منازل أفقرت أنت ، وهن منك أوائل

لا تحسبوا ربكم ، ولا طلائع أول حمى فراقكم قتلة

فدينك من ربح ، وإن زدنا كربا فانك كنت الشرق للشمس ، والغربا

وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا فؤاداً لعرفان الرسوم ، ولا لبنا

نزلنا عن الأكواد تمشى كرامة لمن بان عنه ، أن نلم به ركباً

أثنت ، فانا أيها الطال نبي ، وتررم تحتنا الإبل

أو لا ، فلا عتب على طلل إن الطول مثلها فعل

لو كنت تنطق ، قلت معتزاً : في غير ما بك أيها الرجل

أبكاك أنك بعض من شفوا لم أبك في بعض من قتلوا

إن الدين أقت وارمحوا أيتامهم لديارهم دول

الحسن يرسل كلما رحلوا معهم وينزل حيثما نزلوا

هذا هو المتن فرعون الأدب ، وجبار الشعر ، يغزو مملكة الفكر فيستبيح

مما قلها وينتهب ما يريد وفوق ما يريد من ذخائرها ، فالك لثراء في كل سورة من

هذه الصور خالقاً مبتدعاً ، يبكي الربح حتى يكاد يبكيه ، ويجود بنفسه ودمعه في

منايه ، ثم يقول لك يا منازل فيجابه الفن هكذا فليكن كل قائل ، الى غير هذا من

معاني مولدة وطرائق هي له وحده مبهمة ، فإذا قال صبرى :

لو أنهم (قد) ألصقوك (منازلاً) ما حازم في السكون بعدك مشرق

إذا قال صبرى هذا قال فرعوننا العظيم وجبارنا الأكبر : ان الذين ... الى آخر

البيتين . قال شاعرنا :

هل عند ذاك المرب أنا بعده في الحى ومن آمأنا تسدق

أثر العبقرية في البيت قوله (من أَمَاقِما تَنَدَفِقُ) ، وصبري من هذا الأثر بين حالتين : حالة البصر بمرار الفن ودقائقه ، وحالة الانشغال على القديم وإعادة في لباس جديد من اللفظ المصقول والكلام المنمق ، وهذا نوع من القوة وضرب من الافتدار ، ولكنه قليل الفائدة على كل حال . ولقد درج المتنبي على هذا في طائفة غير قليلة من شعره ، فأغضب كثيراً من الصُّور المعنوية الرائعة وكساها من حسن الديباجة وجودة السبك ما يحجز أصحابها عنه فنسبت إليه وعرفت به ، وقد أجاز هذا علماء النقد ، ولكن لا أراه حقاً . قال الشريف الرضي في معنى بيت صبري :

لقد جلّ قدرُ الرزء أن يبلغ البكي مَدَاهُ ، ولو أنَّ القلوبَ دُمُوعُ

وقال البهاء زهير ، وهو في حدة من المقاربة :

وأقسمُ ما ضاعت دموعي عليكم ولو أنَّ رُوحِي في الدُمُوعِ تسيلُ

أمَّا الصورة بعينها فظاهرة في قول الشاعر :

الله في منغم حُشاشته مُنْهَلَةٌ في الأدمع الدُرْفِ

وقد تناول المتنبي هذا المعنى فقال :

شاروا بتسليم ، فجدنا بأنفسنا تسيلُ من الأماقِ والسَّمُ أدمعُ

السَّمُ لغة في الاسم ، وله في هذا المعنى من قصيدة أخرى :

ليس القِيَابُ على الركابِ ، وإنما هُنَّ الحياةُ ترحلت بِسلامِ

لبت الذي خلق الوى جمل الحصى تخفاهن مفاصلى وعظامي

متلاحظين نسجُ ماء شؤوننا حذراً من الرقباء في الأكامِ

أرواحنا انهملت وعشنا بعدها من بعدما قطرت على الأقدام !

وقال غيره في هذا المعنى :

ترفَّق فما هذى دموعي التي ترى ولكنها نفسى تذوبُ فتقطرُ

وهذه صورة أخرى تريك شاعراً يتدفق من فيه وعينه ! وهذا الممكن هو محمد

ابن قاسم النحوى قال :

لو طابت عيناك قَدَفِي من فمي كبدي ، ودمعي مع دمي مسفوحُ

لأبت مقتولاً ، ولم تر قاتلاً وعلمت آني من فمي مذبوحُ !

كعبدي على صدرى جرت ، والى متى أغسو أعدبُ في الهوى وأروحُ ؟
وهذه صورة عكسية للمعنى تدل على براعة صاحبها وانجازه الى التجديد . قال :
مَلَكْتُ دموعَ العين ، ثم رددتها إلى باخري ، فالعينُ في القلب تدمعُ
قال صبرى :

أمازلَ الأقدارَ ، أهلكَ أمرفوا في السأى إسرافَ الغنى وأفرقوا
لو أنهم قد أنصروك (منازل) ما حازم في الكون بعدك مشرقُ
كثر القول في الشموس والأقدار ، وتمشى كذلك في هذه الكثرة الى مطالعها
ومغاربها ، فن ذلك قول البحترى :
صدق الغراب ، لقد رأيتُ شمسهم بالأمس تغربُ عن جوانبِ غُربِ
ولابن هاني :

بانوا سراءاً ، لهم وادج زفرةٌ ممّا رأينَ ، وللمطى حنينُ
لا الجوّ جوٌّ مشرقٌ ، ولو اكتمى زهراً ، ولا الملة المسمينُ ممّينُ
لا يبعدنَ اذا العبيرُ له رضى والبانُ دوحٌ والشموسُ قطينُ
وله من قصيدة أخرى :

ما للمهادى الناجياتِ كأنّها حنمٌ عليها البينُ والعدواة
يدنو منالُ يدِ الحبِّ ، وفوقها شمسُ الظهيرةِ ، خدّتها الجوزاءُ
وله :

أبحسب سارى الليلةِ البدرَ واحداً وفي كلِّ الأظمانِ ثلثَ وثلاثُ
وقال الأبيوردي في هذا المعنى :
لله ما صنعت أيدى الركابِ بما عشيّة اختفتْ الأقدارُ في الكلالِ
وله من قصيدة أخرى :

منطقُ الدارِ من رَحْلٍ عنها طلما أخرجتْ الديارَ الرحيـلُ
قلك أطلع الكواكبَ صُبْحاً وطلوعُ النجومِ صُبْحاً أقولُ

فأما قول صبرى أمر فوا فى النأى اصراف الغنى ، فليس من الصوّر الشعرية التى يتقبّلها الذوق الفنى بكثير أو قليل من الاستحسان ، وهذا مثل من أقوال المتقدمين فى هذا الباب :

ألفَ النوى ، حتى كأنّ رحيله للبين رَحَلَتُهُ إلى الأوطانِ
وقال الأبيوردى ، وفيه مزيد من ذكر الأقدار ومنازلها :

بمنازل القمر اقتدى فى بُعدِ قمر المنازل بين رامة والحي
وفى قوله — لو أنهم قد أنصفوك منازلًا — إكراهٌ عنيف لكلمة (قد) إذ لا محلّ لها فى الكلام . وقد جاءت كلمة (منازل) من الزوائد الملمعة فى داتها ولو أحسن الشاعر الصياغة لاستغنى عن هاتين الكلمتين ، ولكان له الخيار فى قوله (أنهم) ففى كذلك بما يقع فى طرفه من هذا الحكم ، وما عليك من بأس إذا قلت إنّ الجزء الحى و شطر البيت كله هو قوله (لو أنصفوك) وفى معنى انصاف الديار وظاهرها ، وأحبائها وقتلها ، يقول المتنبي وهو مما ذكرناه له :

لا تحسبوا ربكم ولا طلائع أولى سعى فراقكم قتلة
وقد أخذ أبو الحسن التهامى هذا المعنى فقال :

ماتت لفقد الظاعنين ديارهم فكأنما كانوا لها أرواحا
ولالأبيوردى فى هذا الباب :

متبدلين لوى العقيق من الحى أن تبدل للصوت تبدل
قال صبرى :

عيدة القداء ، ألا سعدت بسدق أمسى يحيط بها الجلال ويحرق
هلا ريت بعابدين مع الملا ملسا خلافة توضع وتعيق
وجعت من تلك الشائل طاقة نردان أياما بها وتخلق
ورجعت من نور الأمير مزودا حتى تعود وأنت زاه مشرق

الطاقة الحزمة ، وهى هنا بحكم القرينة طاقة الربحان ، وتخلق الرجل تطيب بالخلوق ، وهو نوع من الطيب السائل يخالطه ماء الزعفران ، وبين هذا وطاقة الربحان أو ما يشابهه ويدخل فى معناه بون بعيد ، وفى قوله عن الطاقة — نردان

أياماً بها ونحاطق — انتفاص من قدر الممدوح لأن ذلك يفيد أن ما في شمهائه من
النضارة والطيب لا يدوم طويلاً ، وقد بما قيل :
« يَبْنَى القميصُ وفيه عَرَفُ المندل »

وكل ما ذكره شاعرنا الكبير عن العيد وما يستفيدة من طيب سجايا الأمير
ونوره إنما هو من القديم المعاد ، وما قبل في هذا الباب :

تسعى المواسمُ كلها رحاباً إذ لا بهاء لها بغير بهائه
ومن هذا القبيل قوله في البيت الثاني (مذكراً خلافة نضوع وتعبق) .
وللبحر في هذا المعنى :

العارضُ النجاسُ في خلقة والروضة الزهراء في آداب
وقال محمد بن يزيد في روضة :

كأن ما مجتني من زخارفها أخلاق مستحسن الإحلاق محبوب
ولبعضهم :

وما روضة حلّ الربيع نطافتها وجرت بها الأنواء حاشية البرد
إذا سدرت فيها النعماني لثامها ثنى عطفه الحوذان والتف بالرائد
بأطيب نشراً من حلائقه التي تنم برقاها على العنبر الورد
قال صبري :

أحرزت يا عباس كل فضيلة وبلغت شأواً في العلى لا يُلحق
من ذابحاري أخصيتك إلى مدى وهو الكسباق ، وعزمك أسبق

إحراز الفضائل ، والاستئثار بالجماد ، وبلغ الشأواً الأبعد ، والأمد الأقصى ،
كل هذا مما حفلت به فصائد المدح ، وحقت من طول تردده ألسنة الشعراء ،
وحسبك أن تقول ميمار الديلمي :

لا أدعى لأبي العلاء فضيلة حتى يسلمها إليه عداؤه

وما أشبه الشطر الثاني من البيت الأول بقول أبي تمام : (هيئات تطلب شأواً
من لا يُلحق) وفي السبق إلى الغايات يقول البحرى :

ولقد جريت الى المعالي سابقا فأخذت حظاً الأول المتقدم
وله في هذا المعنى :

تطلبته لأقصى غاية بعد غاية إذا قيل يوماً قد تنأى تزيّداً
ومن الخطأ في هذا الباب قول صبرى : (من ذا يجارى أخصيك ؟) فإن الملوك
لا تمدح بمنزل هذا ، وأولى بهذه المجازاة أن تكون بين المدح وبين كالتسليك بن
التسليك ، والشغرى وأمثالها ، فليس المجد مما يُبال بالعدو على الأقدام فيكون
للأخصمين صملها فيه أقال البحري :

إذا سودد داني له ، مدّة همّة إلى سودد نائي الحل يزاوله
لم يقل مدّة قدمه ، أو طار بأخصيه ، وهذا هو المتن يريك محل الأخصمين
من المدح . قال :

وما تنقم الأيام بمن وجوهها لأخصر في كلّ نائبة نعل ١٢
وله ، وفي الشطر الأول من البيت نظر :

فإنما قدّم سميت الى الملا أدّم الهلال لأخصيك هذا
وقال :

وكيف لا يحسد امرؤ عكم له على كلّ هامق قدّم ؟
وفصل الخطاب في هذا الباب لشيخنا أبي الملا المعري إذ يقول :
قاله يقعد بالمكان قائماً ويقوم في طلب المعالي قائداً
على أننا لا نظلم المتنّي فقد قال من قبل :

وحق له أن يسبق الناس جالساً ويترك ما لم يتركوا غير طالب
ويحمدى عرائن الملوك ، وإنّها لمن قدميه في أجلّ المراتب

يقى من البيت قول صبرى : (وهو سباق وعزمك أسبق) . يقول إنه إذا أراد
أمراً سبق عزمه إرادته فكان ما يريد ، وهذا من المعاني المطروقة التي كثيراً
تداولها لما فيها من غلو شديد ، وإغراق لا يستقيم في القول ، وعندى أن هذا
الدوع من أكبر عيوب الشعر وأظهر مساويه ، وقد يشفع فيه شيء واحد هو أن

يجيء في باب الوصف المطابق ، فأما في باب المدح فلا . ومن الدوع المقبول عندي
قول ابن هاني في وصف الخيل :

عُرِّقَتْ بِسَاحَةِ مَبَقِهَا ، لَا أَنْتَهَا عُلِقَتْ بِهَا يَوْمَ الرَّهَابِ عِيُونُ
وَأَجَلُ عِلْمِ الْبَرْقِ فِيهَا أَنْهَا مَرَّتْ بِجَا حَتَّيْنِهِ ، وَهِيَ ظُنُونُ
وقول البحتري في جواد :

جَارَى الْجِيَادَ ، فَطَارَ عَنْ أَوْهَامِهَا سَبَقَا ، وَكَادَ يَطِيرُ عَنْ أَوْهَامِهَا
قال المقتني في معنى صبري :

إِذَا كَانَ مَا تَدْوِيهِ فِعْلًا مَضَارِعًا مَضَى قَبْلَ أَنْ تُسَلِّقَ عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ
وقال :

أَمْضَى أَرَادَتَهُ ، فَسُوفَ لَهُ قَدْ وَاسْتَقَرَّبَ الْأَقْصَى ، ثُمَّ لَهُ هُنَا
قال صبري :

إِنْ يُرْتَجِلْ عُرْفٌ ، فَأَنْتَ إِلَى الَّذِي لَمْ يَرْتَجِلْهُ الْمَالِكُونَ مُؤَفَّقُ
معنى قديم يظنه بعض المتأدبين أو كثير منهم من مبتكرات صبري ، أو أن
الأصل فيه قول شوقي في بعض منثوراته : (فارجل نظرة في السماء) ، وليس كذلك .
قال طريح بن اسماعيل النقي :

وَقَدْ كُنْتُ تُعْطِي الْجُرَيْلَ بَدِيَّةً وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْرَهْتَ مِنْ ذَاكَ حَافِرُ
فَارْجِعْ مَغْبُوطًا ، وَتَرْجِعْ بَالِي لَهَا أَوَّلُ فِي الْمَكْرَمَاتِ وَآخِرُ
ويقول ابن هاني ، والصورة واحدة :

أَطَافَتْ بِخَرْقٍ يَسْبِقُ الْقَوْلَ فَعِلُهُ فَلَيْسَ لِيَوْمَيْنِ وَعَيْدُ وَلَا وَعْدُ
وقال الأبيوردي :

جَاءَ النَّسْدَى وَالْبَاسُ مِنْكَ بَدِيَّةً لَمَّا كَرِهْتَ الْوَعْدَ وَالْإِبَادَا
والمعنى بهذا المعنى فقال في السيف :

يَغْرَادُهُ لِسَانًا تَشْرَفِي يَقُولُ غَرَائِبَ الْمَوْتِ ارْتَجَالَا
وليس الموت قولاً ، فهو إنما يريد الفعل . وقال ابن عمار :

رَوَى لِيضْرَبَ، وَابْتَدَهَتْ بِضَرْبِهِ أَنْ الطَّعْمَانُ بِدَاهَهُ الْفَرَسَانُ
وَقَالَ ابْنُ بَرْدٍ :

يَا شَاعِرَ الْحَمْدِ ، بِي تَرْفُقُ لَا تَقْتَاتِي كَذَا بِدِيهَا
قَالَ صَبْرِي :

سَدَّدَ سَهْمَ الرَّأْيِ بِالشُّورَى لِحِيطِ
وَأَسْبَقَ بِهِ ، وَاضْرَبَ بِهِ ، وَافْتَحَ بِهِ مَا شَدَّتْ مِنْ بَابِ أَمَامِكَ يُغْلَقُ

يذكر صبري فضل الشورى ، ويعصف ما لأصالة الرأي من حسن الأثر في تدبير
الأمور ، وكيف أنه يغني غناه الجيوش ويقوم مقامها ، وليس له من كل هذا شيء ،
فهو يردّد لنا أقوال الأقدمين ، ويبلغنا رسالاتهم . قال بشار بن برد في المشورة :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ ، فَاسْتَعِنْ بِرَأْيِ نَصِيحٍ ، أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ

فأما قول صبري في الرأي ووضعه موضع الجيش فن قول بعضهم :
يُمْلَأُ إِذَا مَا الْجَيْشُ كَانَ عَرْمَرَمًا فِي جَيْشٍ رَأْيٍ لَا يُغْلَى عَرْمَرَمٍ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

وَبَعَثَتْ كَيْدَكَ غَازِيَا فِي غَادِقٍ مَا كَانَ فِيهَا السَّيْفُ غَيْرَ مُشَبَّحٍ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

تَرَاهُ عَنِ الْحَرْبِ الْعَوَانِ بِعِزْلٍ وَأَرَاؤُهُ فِيهَا وَإِنْ غَابَ شُهِيدُ

فأما ما قيل في منزلة الرأي وأثره ، وسداده وجودته ، فما لا سبيل إلى استقصائه
وحسبك أن ندلك على بعضه ، قال المتنبي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوْلَى ، وَهِيَ الْحِلُّ الثَّانِي
وَلَوْ بَعَا طَعْنُ الْفَقِي أَفْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعَنِ الْأَقْرَانِ
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

وَمَا شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَقْضَى عَلَى الْمَهْجَاتِ مِنْ رَأْيٍ سَدِيدٍ

وقال يمدح :

مجرّدًا سيف رأي من عزيمته للبأس ، صبقله الاطراق والفكر
عقبًا ، اذا سلّة في وجد نائبة جاءت اليه صرّوف الدهر تعتذر
وقال ابن هاني :

فاذا بعثت الجيش فهو منية واذا رأيت الرأي فهو قضاء
وقال آخر :

وان مضى رأيه أو تحدّ عزمته تأخر الماضيان : السيف والقدر
وهل رأيت حلالاً أو اضطراباً كالذي تراه في قول صبري عن الرأي :

واسبق به ، واضرب به ، وافتح به ما شئت من باب أمامك يفلق
إنا إذا جرّدنا هذا البيت عما فيه من خطل وتشويش وجدناه يمت بصلة قوية
الى قول الامام الشافعي :

الجند يَدْنِي كُلُّ أَمْرٍ شاسع والجند يَفْتَحُ كُلُّ بَابٍ مُغْلَق
قال صبري :

عزّدت مجدك أن تنام وفي الحى أمل عقيم ، أو رجلا تخفق
وفي هذا المجد المعوذ بقول المعري :

أعاذ مجدك عبدة الله خالقه من أعين القسب ، لا من أعين البشر
ويقول المتنبي :

كأن الردي عادر على كل ماجد إذا لم يعوذ مجده بعيوب
وفي معنى الأمل العقيم أو الرجاء الخفق ونحوها يقول الشريف الرضي :

وما الفخر في أدب ناهج يُصَافُّ إلى مطلب عاقر
ويقول الأبيوردي في المستظهر بالله :

ياخير من القحّ الآمال نائلة بموعد بِلْدُ النّعماء مضمون
ولأبي تمام :

تلقح آمالاً ونجو لتأجها وعمرك مما قد ترجع أقصر

أما معنى بيت صبرى فى قول الشريف الرضى :
 "نعمى أمير المؤمنين حررية" ألا تنام عن الرجاء المهمل
 قال صبرى :

ولربَّ تحمل في النهى متحكم
 قد كاد يحترق النفوس ويؤبق
 أرسلت فيه نظرة ضمين الحصى
 واللم أنصرتها ، وقاب مشفق
 وأخذت رأى أولى النهى مستورما
 مستوزراً ، وكذا الحكيم بدقق
 حتى اهتديت الى الصواب ، ولم يزل
 بين الصواب وبين رأيك موثق
 وأهبت ، فابتكر النضار سحاباً
 تهوى ، وتفتقد الحيل ، وتغدق

ليس فى هذه القطعة شئ من المحاسن الفنية ، وهى كما تراها فى كثير من
 أجزائها ركيكة النظم ، متداعية البناء ، وموضع ذلك قوله فى البيت الثالث
 (وأخذت رأى أولى النهى) وقوله فى البيت نفسه (مستوزراً وكذا الحكيم بدقق)
 فالجملتان الأولى من السؤفى المبذل ، والسكامة الأولى من الجملة الثانية لا معنى لها فى
 هذا المقام . وسائرهما من الكلام الذى يجاه به لسد الفراغ حسب ما ولا يشفع فى
 ذلك اطراد المعنى فأنت ترى الفلق بادياً فى هذا الجزء من البيت وهو قوله
 (وكذا الحكيم بدقق) فأما قوله فى البيت الرابع (حتى اهتديت الى الصواب)
 فاتهم رأى المدح وطعن عليه ! ألا ترى أن الشاعر لم يغفل عن ذلك فى نفسه
 فاحتال لستر العيب وسد الخلل بقوله (ولم يزل بين الصواب وبين رأيك موثق !)
 وفى البيت الخامس من الاضطراب وسوء السياق ما تراه فهو يقول إن الأمير أهاب
 فابتكرت سحاب النضار - تهوى وتفتقد الحيل وتغدق - وما هكذا يكون الترتيب
 فى مثل هذه الصورة والصواب - تفتقد الحيل وتهوى وتغدق - وقد أراد
 بالمُحيل الماحل أو ما فى معناه فأخطأ: فالمُحيل ما أتى عليه الحول من شئ أو صار
 من حال الى حال ، وهو ما يظهر لك واضحاً من قول ابن المعتز :

لم تحزن على الزرع المُحيل وآثاره وأطلالهُ مُحول ؟

ومن عيوب هذه الصورة المبالغ فى وصف الحال والتجافى به عن الوجه
 الأمل ، فالمعنى أن الأمير رأى الجهل فاشياً فى الأمة فأراد أن يُنقذها من غوائله
 بنشر العلم والمعرفة ، وليس فى هذا من غوامض الأمور ومشكلاتها ما يُثير هذه

الحركة أو يقيم تلك الفياضة : يستشير الأمير ، ثم يستوثق ، ثم يستوزر ويدقق ،
ثم يهتدى إلى الصواب بعد أن حميت وجوهه ، وتنسكرت معاملته ، ما هذا كله ؟
إنه لا يمراف في القول كبير ، وليته كان من نوع ذلك الاسراف الذي ورد ذكره
على لسان شاعرنا العظيم في البيت الرابع من هذه القصيدة .

الحق أن صبرى قد انتهم الأمير كثيراً في رأيه وفطنته ، وليس هد هو
المذهب حتى في عظام الحوادث وجلال الأمور ، قال مهيار الديلمي :

ودر الدنيا برأى واحداً يأنف أن يشركه فيها أحداً
إذا استشار لم يزد بصيرةً ولا يلوم رأيه إذا استبدت
وقال الشريف الرضى :

يستمع الراى ، وعنه غنى قد يصقل السيف ، ولم يطبح
وقال البحتري :

إذا انساب في تدبير أمره زانداً له فكرٌ ينجح في كل مطلب
ومن قوله في هذا المعنى :

إذا ما جرى في حلبة الراى برزت نجاربٌ معروف له السبق قارح
وله :

كشف أقاصى الراى في بدايته لعينى ، وسيترا الغيب غير رقيق
وله :

إذا المرء لم تبدهك بالحزم والحجى قريحته لم تغن عنه تجاربة
وقال المتنبي :

قد كفتك التجارب الفكر حتى قد كفاك التجارب الالهام
وقال سلام الخامر ، ويروى لأبي نواس :

بديهته وفكرته سواة إذا ما نابته الخطيب الكبير
وأحزم ما يكون الدهر رأياً إذا عى المشاور والمشير

فأما قول صبرى - بين الصواب وبين رأيك موثق - فانا نعرض عليك من
المؤثر ما يدل على مواضعه من الشعر القديم ، قال أبو نواس :

مَلِكٌ تَقْصُرُ الْمَدَائِحُ عَنْهُ هَاشِمِيٌّ ، مُؤَوَّقٌ لِلصَّوَابِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

تَنْسَابُ مِثْلَ الْأَرْقَمِ الْمُنْسَابِ كَأَنَّمَا تَنْظُرُ عَنْ شَهَابٍ
بِمَقْلَةٍ وَقَفِيٍّ عَلَى لُصَّوَابِ

وليس هذا فحسب فانما نميل بك ناحية هي الى الانصاف أقرب ، وبالمقد الفنى
الدقيق أتعبه ، وأنت ترى أن هذا المؤوق الذى عقده الشاعر بين الصواب وبين رأى
الأمير يجعلها بمنزلة الخليفتين أو العقيدتين أو نحوهما ، وهذا أبو تمام يقول :

خَلِيفَةُ نَدَى ، وَتَرْبُ عَلَا ، إِذَا مَا هَنَفَتْ بِهِ ، وَسَيْفُ خَلِيفَتَيْنِ
وَقَالَ :

مَلِكٌ إِذَا تُسِيبَ النَّدَى مِنْ مَلْتَقَى طَرْفِهِ ، فَهَوَ لَهُ أَخٌ وَحِيمٌ
وَقَالَ :

هَذَا أَخُوكَ النَّدَى ، لَوْ أَنَّهُ بَشَرٌ لَمْ يُلْغَ طَرْفُهُ عَنْ غَيْرِ مُبْتَسِمٍ
وهذه صورة أخرى من قول أبي تمام تعطى المعنى الذى اتحلله صبرى :

مُسْتَرْسِلِينَ إِلَى الْخُتُوفِ ، كَأَنَّمَا بَيْنَ الْخُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ
فَأَمَّا أَنْ الْجَهْلَ يَمِيتُ النُّفُوسَ كَمَا يَقُولُ صَبْرِي فَقَدِيمًا قَالَ الْمُتَنَبِّى :

أَمَّا نَسْكُكُمْ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمْ الْجَهْلُ وَجَرُّكُمْ مِنْ خَفَقِ بَكْمِ النَّمْلِ
فَأَمَّا قَوْلُهُ :

وَأَهْبَتْ فَاثْبَكَرَ لِنُضَارٍ سَحَابًا تَهْمِي ، وَتَتَقَدُّ الْمُتَحِيلُ ، وَتُغْدِقُ
فهو من حيث سحائب النضار ينظر الى قول بديع الزمان الهمذاني :

وَكَادَ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْمَزْنَرِ مَنَسْكَبًا لَوْ كَانَ طَلَقَ الْحَيَا يَمْطُرُ الدَّهْبَا
وقول أبي تمام :

بَحْرٌ مِنَ الْجُودِ يَرْمِي مَوْجُهُ ذَهَبًا حَبَابُهُ فِضَّةٌ زَبْلَتُ بَقِيَانِ

وأما ما ورد فى البيت عن حمل هذه السحائب وانها تقتقد الحول - لا الهين -
فتهمي وتغدق ، أمّا هذا فن باب قول ابن المعتز فى السحاب :

لم يَدْعَ أرضاً من الحسل إلا جاد أو مَدَّ عليها جَاحاً
وقال آخر يصف ديمة :

كأنَّ عَناءَ لها أنْ كَرى يبيساً من الأرض لم يُبَدِّلْ
قال صبرى :

إنْ أمرعت تلك المواتُ ، وأورقتُ فيها الرياضُ ، فانما لك 'تورقُ'
وإبراق الرياض من أهون صفاتها ، وأدنى منازلها ، وقد نزل الشاعر في هذا على
حكم القافية ، وما أكثر جنبايات هذا الحكم ، فلو أن القصيدة كانت رائبة لقل :
إنْ أمرعت تلك المواتُ وأثمرت فيها الرياضُ ، فانما لك 'تثمرُ'
ولكان هذا أجود ، وما أظن المتنبى ترك لشاعرا شيئاً من هذا المعنى بعد
قوله :

إنَّ البلادَ وإنَّ العالمينَ لَسكا

قال صبرى في ذكر دنشواى :

وأقلتَ عثرةَ قربةٍ حَكَمَ الهوى فى أهلها ، وقضى قضاءً أخرقُ
إنْ أنْ فيها بائسٌ ممّا بدَّ وأزَنَ ، جاوبُهُ هناك 'مطوقُ'
حاء البيت الأوّل بعد قوله (إنْ أمرعت) فهو منقطع الصلّة بما قبله ، بل هو
من المفاجآت المتناهية فى الشذوذ ، وأنت تعلم أىّ مطوقٍ يريد فى البيت الثانى ،
أه يريد حمام دنشواى ، فانظر الصلّة بين هذه الصّورة وبين قول ابن هانئ :

لبائى لا آوى الى غير ساجع بيتك ، حتى كلُّ شىءٍ حمامُ
ولما التقت الحظنا ووُشانا وأعلن سرُّ الرشى ما الوشى كانمُ
ناوّة إسى من الحذر ناعمُ فاسعد وحشى من الصدر باغمُ
قال صبرى :

شكرتك مصرٌ على سلامة بعضها شكراً يفرّبُ فى الوردى ويشرقُ
بيت مقفر من الروح الشعرى ، متحافٍ فى لفظه ومعناه عن أدب الفن ونظام
الصناعة ، فإن سلامة بعض مصر فى قول الشاعر ونقاء سائرهما فى جانب آخر ليس من

الصُّورَ التي يصحُّ أن تتمثَّلَ في مدارج الشكر ومواطن الثناء ، وقد ترادف ذكر
التشريق والتغريب في ميراثنا الشعري فلهذه النفوس ، ومنه قول البحتري :

أشرق أم أغرب يا سعيدُ وأنقص من زماعي أم أزيدُ ؟
وفول الآخر :

شرق وغرب تجدد من غادره بدلاً فالأرض من تربة والناس من رجل
وقال البهاء زهير :

وحبست في مصر عليك ركابي غيري يغرب تارة ويشرقُ
قال صبري :

قانون دنشوايِ ذاك صحيفةٌ تُتلى فترتاع القلوبُ وتنفقُ
هل يُرجمي صفوٌ ويهدأ خاطرُ والموتُ حول نصوصها يتفرقُ ؟

أناح لنفسه في البيت الأول ما طنَّ أنه من الضرورات الشعرية فجعل حركة الشين
من دنشوايِ لتماماً ، وقد كان له متسع لو تمحوط ، فأما أن الموت يتفرق حول نصوص
قانون دنشوايِ أو صحفته فذلك ما سبق إليه ، وهو يتمثل في كثير من الصور
كقول بعض الأعراب في اسماعيل بن صبيح كاتب الرشيد :

له قلمٌ بؤسٌ ونعمى ، كلاهما سبحانه في الحسالتين درُورُ
وكقول ابن المعتز :

كم متايا ، وكم عطابا ، وكم حنة فدي وعيشٍ ، تصمُّ تلك السطورُ
ومنه قول أبي تمام في القلم :

لُعابُ الأفاعي القاتلاتِ لُعابُهُ وأزى الجنى اشتارتهُ أيدي عاويلُ
ولسليمان بن وهب في هذا المعنى :

إذا ما التقينا وانتضينا صوارداً يكادُ يصمُّ السامعُ صريرُها
تظلُّ المنيا والعطابا شوارداً تدورُ بما شئتُنا ، وتمضي أمورُها

بني لؤن من هذه الصورة يقوم في قوله (يتفرق) وهو قائم على أشده نغامة ودعوة
في قول المتنبي :

بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَمَنَّا يَقْرَعُ الْقَمَنَّا وَتَمُوجُ الْمَنَاسِيحُ حَوْلَهَا مُتَلَاطِمٌ
وَمَا قِيلَ عَلَى لِسَانِ الْحَمَامَةِ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ :
وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَسَاحِي خَرِاطِفِ

قال صبرى :

لَنْ تَبَاغِ الْجُرْحَى شِفَاءً كَامِلًا مَا دَامَ جَارْحُهَا الْمَهْنَدُ يَبْرِقُ
وَأَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى مَعْنَى الْبَيْتِ قَوْلُ الْمُتَنَبِّئِ :
وَاحْتِمَالُ الْأَذَى وَرُؤْيَا تَجَانِبِ غِدَاءُ تَضَوَّى بِهِ الْأَجْسَامُ
قال صبرى فى خَتَامِ الْقَصِيدَةِ :

وَاللَّهُ عَوَّلَكَ إِنْ رَكِبْتَ إِلَى الْعُلَى طَرَفًا تَضِلُّ بِهَا الْهُدَاةُ وَتَفَرِّقُ
وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ ، لَا يُشَابُّ بَرِيَّةً وَالْحَكْمُ حُكْمُكَ ، وَالْآلَةُ مُصَدِّقُ
ويقول البحتري :

أَلَّهُ تَجَارُكَ ، تَبْتَغِي مَا تَبْتَغِي فِى الْمَكْرَمَاتِ ، وَتَرْتَقِ مَا تَرْتَقِ
وفى معنى الطرق يضلُّ بها الهداة يقول المنفلوطي :

وَدِيمُومَةُ قَمَرٍ بِحَارُهَا الْقَطَا

وَالْقَطَا فَلَمَّا بِحَارَ ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ (هَدَى مِنَ الْقَطَا) وَمِنْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ :
نَعِيمٌ يَطْرُقُ الشُّؤْمُ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَإِنْ سَلَكَتُ سَبِيلَ الْمَكَارِمِ ضَلَلْتُ
وفى هذا المعنى يقول الآخر :

يَحَارُ فِى سَافَتَيْهَا الدَّلِجُ الْهَادِى

فَأَمَّا فِى مَعْنَى الْخَوْفِ فَيَقُولُ الْقَطَامِ :

بِكُلِّ مُخْتَرَقٍ يَجْرِى الشَّرَابُ بِهِ يُعْمَى وَكَأَكْبُهُ مِنْ حَوْفِهِ وَجِيلُ
وفى البيت صورة من قول صبرى - إِنْ رَكِبْتَ - وَلِلْأَخْطَلِ :
وَجَوْزٍ فَلَا قَرْمَاضَ رَكْبُهَا وَلَا عَيْنٌ هَادِيهَا مِنَ الْخَوْفِ تَغْفَلُ
وقال المتنبى :

كَمْ تَهْمٍ فَذْفَرٍ ، قَلْبُ الدَّلِيلِ بِهِ قَسْبُ الْمَحَبِّ ، فَعِضَانِي بَعْدَ مَا تَمَلَّأَ

وفي معنى البيت الأخير من القصيدة يقول المتنبي :
والأمرُ أمرُك والقلوبُ خوافي في موقفٍ بين المنية والمي
وأقرب منه إلى ذلك المنحى قول كمال الدين العقبة :
بقيت بقاء الدهر أمرُك نافذٌ وسعيك مشكورٌ وحُككٌ منصفٌ

لواء الحسن

من مطولات صبرى قصيدة رقيقة يصح أن تسمى (لواء الحسن) أو (ملك
الجمال) فهي تصور لنا جمال المرأة وسلطانها، وتربها ما لها من أثر بالغ ونفوذ كبير
في الحياة، وإذا لم يكن الشاعر ترجمان الجمال فن يكونه؟ وهل لقنه سوى المرأة
تعلمه ما هو، وتوحى إليه كيف تكون نواحه وفنونه؟ وهذه هي القصيدة،
قال صبرى :

| | |
|-----------------------------|---------------------------------|
| يا لواء الحسن، أحزابُ الهوى | أيقظوا الفتنة في ظلّ اللواء |
| فرقتهم في الهوى ثاراتهم | فاجعى الأمر، وصوّنى الأبرياء |
| إنّ هذا الحسن كالماء الذى | فيه للأتقى رىّ وشفاء |
| لا تذودى بعضنا عن وُدّه | دوّقَ بمضرة، وأعدلى بين الظّماء |
| أنتَ يَمُّ الحسن، فيه ازدحت | مُننُ الآمال، يزجيها الرجاء |
| يقذفُ الشوقُ بها في مائجٍ | بين الجئين : عناوٍ، وشقاء |

جعل صبرى المرأة في مملكة الجمال كاللواء، تنور حوله معارك الحب بين
أحزابه وتستيقظ الفتنة في ظلّه - والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها إلا في هذه
المعركة، ونحت ذلك اللواء - الله أكبر يا ثارات عُثمانا - لسنّا في ثارات عثمان رضى
الله عنه، وانما نحن في ثارات أحزاب الهوى الذين دبّت الفرقة بينهم، فأيقظوا
تلك الفتنة السارية الحرقى، الفتنة التي لا نصيب الذين ظلموا منهم خاصة، ولكنها
تَلَفُ الأبرياء، وتغمر الصالحين والمتقين من أمّة الحبّ ورعيّة الجمال، هو الجمال
أيقظ هذه الفتنة الحامية وتارها، وسقى هؤلاء وحولاء نارها، هم جميعاً أبرياء،
وهو هو المستقبل العادل، ما ظلم يوماً ولا أساء. قال أبو نواس في شأن هذه الفتنة :

ما براها الله إلا فتنة حين برّاها

وقال :

رشاً لولا ملاحظته خلت الدنيا من الفتن.

وقال :

كل جزء من محاسنه فيه أجزاء من الفتن
وليس هذا وحده ، فقد أكثر الأولون من ذكر هذه الفتن ، وإن صبري
لعمل هذا الأثر وفي ذلك السن :

فرقتهم في الهوى ثاراتهم

صدق ، فقد قيل قبل هذا :

قامت حُرُوبُ الهوى على ساق

فاجمى الأمر ، وصوفى الأبرياء

ولم يكن هذا وقد قال ابن العارض :

تجمعت الأهواء فيها ، فارتى بها غير صبٍ لا يرى غير صبور

وقال مسلم بن الوليد قبله في الرشيد :

إذا اختلفت أهواء قوم جمعهم
على المفور أو حدة الحسام المهند

وجاء ابن هاني بعده فقال للمعز :

وتجمعت فيك القلوب على الرضى
وتشعبت في حُبِّك الأهواء

فاجمى الأمر ، وصوفى الأبرياء

هو أقرب من هذا كله إلى قول صفي الدين الحلي :

لعل الحب يرفق بالرعايا فيأخذ للبرى من المثلهم

إن هذا الحسن كالماء الذي فيه للأتفس رى وشفاة

بين الحسن والماء مسافة ، بين الأمم والكنية من قرب ، بل هما إن شئت المرید
بمثلة الجفن والهدب ، كل يحمل صفة صاحبه ، ويأتى أن يجرى عليهم حكم لفاعل
ونائبه . الحسن ماء ، والماء حسن ، هما في صفة واحدة ، عملها واحد ، يقع في دائرة
واحدة هي الحياة . هكذا يقول صبرى وما هو بمنهم ، ومن قبل قال الاسودى :
لحسن أمواه تروق بروضه وعلى جوانبه الدماء تراق

دع عنك إغاراته على المتنبي في ذكر الشرف الرفيع وكيف يسلم وكن كأنك
لا تعرفه ، إنما نحن بسبيل أمواه الحسن فهنا قتلى تراق دماؤهم حولها ، وهناك في
بيت صبرى نفوس تروىها هذه المياه فتحيا ، ولولاها لذهبت قتلى ولكل روحه .
واقف نظرف الأبيوردي إذ يقول في قصيدة أخرى :

يقولون ماء الحسن تحت عذاره على حاله الأولى ؛ وذلك غروره
ألسنا نعاقد الماء من أجل شعرة ؟ إذا وقعت في الماء ، وهو غير ؟
ولكن ماء صبرى وقله الحمد مصون من شعر الأبيوردي لاختلاف الموردين .
ولأبي الفاسم العطار في المعنى :

رقت محاسنه ، وراق نعيمها فكأنما ماء الخياض أدبها
ولقد حام أبو تمام على ماء الحسن فتناوله ، وسقى عشاق أدبه الصافي من نيره
العذب ما أراد فقال :

صَبَّ الشَّبابُ عِندَهَا وَهُوَ مُقْتَبِلٌ ماءً من الحسن ما في صفوه كَدَرُ
وَقَالَ فِي لَوْنِهِ آخِرُ مِنَ الْوَصْفِ :

خاضت محاسنها مخاوف غادرت ماء الصَّبَا والحسن غير زلال
ومن محاسن البهاء زهير قوله في هذا الباب :

رِيَّانُ مِنْ مَاءِ الْجَالِ مُهْفَفٌ أَرَأَيْتَ غُصْنُ الْبَانِ كَيْفَ يَمِيلُ ؟
قال صبرى :

لا تذودى بمقتنا عن وردٍ دُونَ بعضٍ ، واعدلى بين الظَّهْرِ
يريد قسمة الماء ، وما هو بظالم ، ومن العناء أن يسكون الشأن على حدٍّ ما قال
الأول :

نَحْوُ فتنفشاها الوصى ، وحولها قاطبُجُ أنعامٍ تَعْلُ وتُسَهِّلُ
ولك أن تقول :

وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذى لا تصبجها
قال صبرى :

أنت يَمُّ الحسن ، فيه ازدحمَتْ سُفُنُ الآمالِ يُزجِجها الرجاء

يقذفُ الشوقُ بها في مائج بين لجئين ، عناء وشقاء
لهذه الصورة أشباه في أشعار السلف الأسبق ، قال بعضهم في الدنيا :
فكثروا فيها ، فلتا علموا أنها ليست لحي وطننا
جعلوها لجة ، واتحدوا صالح الأعمال فيها سقا
وهذه صورة أخرى للسراج الورداني :

يا بني الآمال قد خات الرجاء وقد اشتدت ، وقد عزّ المزا
سفن الآمال في بحر المني وحلت منا ، فإين الرؤساء ؟
وهذه صورة ثالثة لأبي القاسم بن العطار :

الحب تسبح في أمواجه المهج لومد كفاً إلى الغرقى به الفرج
بحر الهوى غرقت فيه سواحله فهل سمعتم بجرر كلته لجاج ؟

لم يبق بعد هذا من مزية في أن شاعرنا رحمه الله لم يختزع هذه الصورة ، ولقد
يختل اليأس أنه كان كثر نظراً إلى قول السراج الورداني فكما قال هذا (سفن
الآمال في بحر المني) والآمال والمني بمعنى ، كذلك قال صبري (سفن الآمال
يرجوها الرجاء) والآمال والرجاء بمنزلة واحدة ، وعجيب أن يغفل صبري عن مثل
هذا ، ولم نكون سمن الآمال عنده بين لجئين من عناء وشقاء وهي تزعج بقوة
الرجاء وعلى يده كما يقول ؟ وما هو وجه التسوية في قوله عناء وشقاء ، وما من جنس
وحد ، فما بينهما من تفاوت ؟ كل هذا من الزلل أو أشدّه ، قال :

ساع في آمال أنضاء الهوى بقبول من سجاياك رضاء
ونجلى واجملى قوم الهوى نحت عرش لشمس في الحسك سواة

في قوله (قوم الهوى) بعد (أنضاء الهوى) أثر واضح من آثار الفقر الذهني
والفاقة البيانية ، وقد كثر استعمال هذه الأنضاء هي ومضافها صورة ومعنى في أشعار
المتقدمين حتى لقد صارت السلامة في اجتنابها ، ومنه قول الطغرائي (يقتل أنضاء
حب لا حراك بها) وقول البحري :

فإن تُلغني نضوء العظام فأنها جريرة قلبي منذ كان على جسمي

أما ما أفرغه في الشطر الثاني من البيت على السجيا من صفة القبول وهي ربح الصبأ فكذلك هو من القديم المستعمل ، قال أبو تمام :

خُلِقَ مُشْرِقٌ ، ورأى حَسَامٌ وودادٌ عَذِبٌ ، وريحٌ جَنُوبٌ
وأدقُّ من هذا في الوصف قول البحري :

خُلِقَ طَيِّعٌ إِذَا رِيضَ عَجُو دِرْ أَتْنَى عِطْفَةٍ ، وَمَطَاعٌ عِنَانُهُ

في البيت الثاني عرش الامارة ونظام الحكم ، وليس من حقنا ونحن بسبيل الثمن أن نداعب روح شاعرنا العظيم وهو يصع للمملكة الجمال ودولة الحب نظاماً باصلاً كهذا — إنه يريد النصفة والسوية . وما بهذا ومثله يرتفع شأن المملكة أو يستقيم أمر الدولة ، لا القوة الحاكمة تستطيع الأخذ بهذا الدستور الآخرق ، ولا الرعية على ضعفها وشدة حاجتها تقبل أن تحكم بهذه الشريعة الظالمة ، ومن اتخذ مذهباً غير هذا أو حاول أن يتخذة فقد جهل حق الجمال وعمى عن معنى الحب ، لئنا بسبيل هذا كما قلنا ، فلننظر الى هذا الملك الكبير هل هو من مؤسسات شاعرنا ؟ كلا وإليك البيان ، قال زين الدين بن الوردى :

يا أميرَ الجمالِ قُلْ فالمراسيم تُستَمَعُ !

وقال أبو محمد بن سارة :

كم قد رأت عيناى مثلك والياً للحسن ، تنهب النفوس جودُهُ
الدهر طوعُ يديه ، والدنيا له أَمَةٌ ، وأحرارُ الأنام عبودُهُ
ويقول آخر :

فتمطف على رعاياك يا من علقت كفه لواء الجمال
ومن أشهر ما قيل في هذا الباب قول ابن النبيه :

أيا ملكَ القلوب فتكتَ فيها وفتكتك في الرعية لا يحلُّ
ومن ملح السراج الوراق قوله في أحد هؤلاء الملوك وكان قد حلق حاجبه :
سلطان حسن زاد في عدله فاختر أن لا يبقى بلا حاجب !
قال صبرى :

أقبل لتقبل الدنيا وما ضمنته من معدات الهنا

واسفري ، تلك حلى ما خلقت لتواري بلثام أو خباء
واخطري بين الندامي يحلفوا أن روضاً راح في النادی وجاء
وانطق ، ينثر اذا حشدت لنا نائر الدر علينا ما نشاء

لو خلا البيت الأول من (معدّات الهناء) لكان خيراً ، وما رأيت هذه
المعدّات انثيلة وقعت في شعر قبيل هذا ولا بعده . وفي الهناء خلاف لقوى يمدّر
فيه الذين يشكرون استعمال هذه الكلمة على الوجه المراد في البيت . ولكنهم
يخطئون في قولهم ان الصحيح هناة فالكلمتين بمعنى واحد ، وهما من المصادر
لقولهم هنا الطعام اذا ساغ ، ولم أرهما في الفصح المذهب من الكلام ، ولا معمول
على قول ابن نباتة .

هناة محا ذاك العزاء المقدما فما عبس المحزون حتى تبسما
ولا على قول بعض المغاربة :

وفتيان صدق عرسوا تحت دوحه وليس لهم الا الهناء فراش
في البيت الثاني اعادة وتريد لكثير من أقوال المتقدمين ، وهذه أمثلة منها ،
قال أبو تمام :

ألقى النصف ، فانت خاذلة المها أمنيّة الخالي ، ولمو اللامي
ولأبي الحسن النهامي :

حطى الثقاب ، لعل مربّ عيوننا في روض حسنك يرتعين قلبلا
وانظر الى منطق الشاب الطريف إذ يقول :

لك حُسن وللأنام قلوب

ولغيره في هذا المنحى :

يا أحسن العالمين وجهاً ما لك من أن محبّ بُدّه

كلّ هذا يعطى الصورة التي اشتمل عليها بيت صبري ، وهو في بعض لفظه
ومناه يمت بصلة قوية الى قول مهيار الديلمي في الشايات :

لو لم تكن مخلوقة للرّشف ، لم يخلقن قلجا

شُبِّهَت النساءُ بالرباض كما شُبِّهَ الرجالُ بها . وكثر ذلك في الأدب القديم كثرة
بالغة ، فليس في البيت الثالث أمر جديد ، وقد تروعتك تلك الصورة الوصفية التي
ترك الروض يذهب ويحجى في النادى ، ويزيدها روعةً في ذاتها واستمراراً في
نفسك أن يحلف الندامى كما يقول الشاعر أنها صورة صادقة ، وقد شاء مثل هذا في
توكيد الخبر الوصفى أو الصورة التشبيهية فهو كذلك من آثار الأولين ، ومنه قول
أبي تمام :

والسيفُ يحلفُ أنَّك السيفُ الذى ما اهترأ الا اجئتُ عرشَ عظيم
واليك من الصُّور الأولى ما يحو من نفسك ذلك الأثر الذى علق بها من
بيت صبرى ، قال أبو تمام :

خرجن في خضرة كالروض ليس لها الا الحلى على أعناقها زهر
هكذا وجدت البيت ، ولا معنى للخضرة هنا الا اذا أريد بها وصف الثياب ،
وهو ما لا أغله ، وقد جاءت الخضرة بمعنى النعومة وذلك أقرب الى المراد ، وما
أظن الكلمة الا محرفة ، ولعلها في الأصل (نضرة) . وقال من قصيدة أخرى :
غيداء تجاد ولَّ الحسنُ مُسَنَّتَها فصاغها بيديهِ روضةً أنفا
ولابن خفاجة الاندلسى :

يا بانه تهترأ فينانه وروضة تنفح معطارا

وقال طاهر البغدادي فزاد عليه :

خطرت فكاد الطيرُ يحطر فوقها إنَّ الحمامَ لمغممٌ بالباب

ولعل روض شاعرنا الذى يذهب ويحجى في النادى أشبه شئ بروض كشاجم
أو بطاووسه العزيز حيث يقول في رثائه :

رُزئتُهُ روضةً تروق ولم اصمغ بروض يمتنى على قدم

وفي معنى المشى يقول أبو نواس :

بدرُ تمَّ في قضيبٍ مُورق من رأى بدرأ على الأرض مثنى

وهذا هو البحرى لا يكفيه أن يأتي بالروض ماشيا فهو يسوق الربيع كله الى
ممدوحه ويضعه بين يديه ، قال :

أناك الربيعُ الطلقُ يختالُ ضاحكاً من الحسنِ حتى كاد أن يتكلم
نريد الاكتفاء بهذا ، ويأبى ابن المعتز وابن هاني إلا أن يكونا من هذه الجمهرة
فقد قال الأول :

وقفتُ بالروضِ أبكى فقد مُشبههُ حتى بكت بدموعى أعينُ الزهر
وقال الثاني :

وما رِختُ أنّ الروضِ يختالُ ماشياً ولا أن أرى في أظهُرِ الخيلِ عبقرًا
انتهينا الى البيت الرابع « وانطقى ... » وفي معناه يقول البحتري :

ولمّا التقينا والأوى موعداً لنا تعجّب رأى الدرّ منا ولا قطّة
فمن لؤلؤ مجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطة
وللتودى :

ترى الدرّ منوراً إذا ما تكلمت وكالدّر منظوماً إذا لم تكلم
وقال علي بن عطية البلنسى :

كلّتى خفّلتُ دُرّاً نشيراً ونأملتُ عقدها هل تنائر ؟
وللأمير محمد بن منجك :

وكانّ الحديث منه هو اللؤلؤ لؤلؤ برّقص بيننا والجنان
قال صبري :

وابسى ، مَنْ كان هذا قفره يملأ الدنيا ابتساماً وازدهاراً
لا تخافى شططاً من أنفسه تَحَثُّ العجوبة فيها بالحياة
ويقول أبو نواس في معنى البيت الأول ، وفيه زيادة ظاهرة :

ظيّرَ لِبَيْتِكاهُ ومضجَكَ فبنا نُتيرٌ ونظّمُ الدنيا
وأما ما قيل في معنى العفة وهو محمّل البيت الثاني فكثير ، ومنه قول
مضرّس بن الحارث المرّسى :

تنوّقُ اليك النفسُ ثمّ أردّها حياءً ، ومثل بالحياة خليق
وقال مسلم بن الوليد :

أخذتُ لطفَ العينِ منها نصيبهُ
وأُخليتُ مِن كفى مكانَ الخلخلِ
ولعبد الله بن المعتز :

كم قد خلوتُ بها وثالثُنا التثني
يحمي على الظمانِ برْدَ الموردِ
وقال المتنبي :

يَرُدُّ يداً عن ثوبِها وهو قادرُ
وَيَمصِي الهوى في طيفِها وهو راقِدُ
ولغيره :

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ
إلا عصاه الحياءَ والكرمُ
وقال آخر :

فمضيتُ سُلطانَ الهوى
وأُطمتُ مُسلطانَ العفافِ
وللشريف الرضي :

بقنا ضجيعين في قوْبِي هَوَى وتَقَى
يَلْسُنُنا الشَّوْقُ من فرعِ إلى قدمِ
وله :

وإذا هممتُ بمن أرحبُ أمانتي
هذا شيء مما جاء في معنى العفة والحياء ، وفي البيت جمال فني يتمثل في الصبوة
تعتز بالحياء . وليست هذه بالعترة الأولى تقع بين الشيء والشيء ، فان لها لفظاثر
كثيرة في أشعار المتقدمين ، قال الشريف الرضي :

في موقفٍ تُنفِضُ العيونُ مهابةً
فيه ، ويعتزُّ بالكلام المنطقُ
وقال الأبيوردي :

أرى نظراتِ الصَّبِّ يعتزْنَ دونها
بأعرافِ جُرْدٍ أو دَعوسِ عَوالِ
وللقائِد أبي الرضاء :

يا قالةَ الشعرِ قد نصعتُ لكم
ولستُ أذْهَى إلا من النُصحِ
صونوا التوافي ، فما أرى أحداً
يَعْتزُّ فيه الرجالُ بالنُججِ
قال صبري :

أنت رُوحانية لا تدعى
أن هذا الحسن من طينِ وماءِ

وقال شوقي :

صُونِي جَالِكَ عَنَا ، إِنَّنَا بَشَرٌ من الشَّرايب ، وهذا الحسنُ روحاني
وسواء كان المتقدم صبري أو شوقي فالوصف قديم ، والصورة ترجع إلى العصر
الأول ، حتى أن القرآن الكريم لم يخل منها (فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْتِرَ لَهُ وَقَطَعْنَا
أَيْدِيَهُمْ وَفَلَنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ)
قال شاعر قديم :

أَوْ حُشِيَّةَ الْعَيْنِينَ أَيْنَ لَكَ الْأَهْلُ ؟ أَبَا حَزَنٍ حَلُّوا ، أَمْ حَلُّهُمْ السُّهْلُ ؟
وَأَيَّةُ أَرْضٍ أَخْرَجَتْكَ ؟ فَارْتَنِي أَرَأَيْتَ مَنْ الْفَرْدُوسِ ، إِنْ فُتِّقَ الْأَصْلُ ؟
فِي حَبْرَيْنَا ، مَا طَعَمِيَتْ ، وَمَا الَّذِي شَرِبْتُ ، وَمَنْ أَيْنَ اسْتَقَلَّ بِكَ الرَّحْلُ ؟
فَأَنَّ عِلَامَاتِ الْجَنَانِ مُبِينَةٌ عَلَيْكَ ، وَإِنَّ الشَّكْلَ تَبِعَهُ الشَّكْلُ
ولأبي تمام :

إِنَّمِيبَةُ إِنْ حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا جَنِيَّةُ الْأَبَوَيْنِ ، مَا لَمْ تُنْسَبِ
وله :

يَاهُ هَذِهِ أَقْصَرَى ، مَا هَذِهِ بَشَرٌ وَلَا الْخُرَائِدُ مِنْ أَقْرَابِهَا الْأَمْخَرُ
وقال الحسن بن هاني :

وَمُضْمَضَاتٍ بِالْعَبِيدِ . . . وَتَزَلُّنَ مِنْ مُعْرِفَةِ الْجِنَانِ ؟
أَقْبِلَنَّ مِنْ بَابِ الرُّصَا فَقَرَّ كَالْتَائِيلِ الْحَسَانِ
وللشريف الرضي :

أَنَا مِنْكَ فِي كَمَدٍ عَلَى كَمَدٍ يَوْمِي تَحْلِيَّ أَمْرٌ مِنْ أَمَمِي
جَنِيَّةٌ ، وَقَبِيلُهَا بَشَرٌ تَعْظُمُ الْبَلَاءُ بِهَا عَلَى الْإِنْسِ
ولبعض الشعراء (أهلاً به مملوكاً في زِيءِ إنسان) وغيره :

أَخْرَجَهُ رِضْوَانٌ مِنْ دَارِهِ مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَّ الْحَوَرُ
قال صبري :

وَأَزْعَى عَنْ جِسْمِكَ الشُّوْبَ بَيْنَ لَمَلَا تَكُونُ سُكَّانَ السَّمَاءِ

وأرى الدنيا جناحيّ ملكٍ خلفَ تمثالٍ مصوغٍ من ضياءٍ

ذهب البيت الأول بكل ما في القصيدة من أدب القول ونزاهة النفس ، ولقد كان في قول الشاعر « واسفرى ... البيت » ما يكتفى ولكنه أبي الـ أن يتريّد فيطلب نزع النيباب ، وعجبت لشاعرنا النافذ البصر خليل مطران كيف يفضي عمّا في هذا البيت من شطط خلقي كبير وهو يمتدح هذه القصيدة في (المجلة المصرية) ويتزّدها عمّا وقع لبعض الشعراء المتقدمين في باب الغرل والنسيب من مستكر الوصف وساقط القول ، ولقد ازدهجت المعاني في البيت الثاني ازدهاءً يمثّل لك لوحة من الصور الشمسية اختلطت فيها الرسوم والأصباغ حتى ما تكاد تسنين كلّ رسم أو لون على حدة — أن صبرى يضع أمامك صورة الدنيا كأجل ما يكون الحسن ، وأحسن ما يكون الجلال ، ولكنك حين تسكّد ذهنك لتفهم كيف تكون هذه الدنيا كجناحيّ ملك يقوم خلف تمثال من الضياء ، وما وجه الشبه بينها وبين هذين الجناحين ، وما هو هذا التمثال ، وما موضعه ومعناه من الصورة التشبيهية أو المجازية أو أية صورة أخرى هي ما هي — انك حين تسكّد ذهنك لتنتزع من كل هذه الصورة الجميلة في ذاتها ، بل المشاهدة في الجلال ، صورة معنوية ذات لون خاص ، أو دلالة خاصة ، لا تستفيد شيئاً آخر سوى ما اجتمع لك عند النظرة الأولى ، فحاصل البيت أن الدنيا جميلة ، وإذا كان الشاعر يصدد المرأة فلك أن تفهم أن هذا الجلال يمثّل فيها ، وإذا أنت توسّعت في استنباط الأغراض والمعاني جعلت لجمال العفة والحياء وأدب النفس ، وهو ما ذكره في هذه القصيدة ، مكانه في هذه الصورة الخرساء . ولعلك واجدٌ شهياً بين هذا الذي يقوله صبرى وبين قول صلاح الدين الصفدى في صفة القمر يبدو من خلال الغصون وفيه خطأ كما سيبيح :

كأنما الأغصان لما انتثت أمام بدر التّم في غيبة

بنتٍ مليكٍ خلفَ شبا كها تفرّجت منه على موكبة

لا أقول أن الشبه تام بين الصورتين ولكنه متقارب ، فأنت حين تعكس الصورة القائمة في هذه البيتين وتقف وراء الغصون مستقبلاً القمر وهو يطالعك من خلالها تتمثل لك تلك الصورة التي يسوقها صبرى اليك في وصف الدنيا وتصويرها ، ففي هذه الغصون مشابهة من جناحيّ الملك ، والقمر هو التمثال المصوغ

من الضياء ، ومثل هذه الصلة الوثيقة بين الصورتين مما يدركه علماء القند ويظنون
إليه نظراً واسعاً ، فجازتْ عندهم أن يقال إن بيت صبرى مأخوذٌ من هذين البيتين
الذين لم يسلم صاحبهما من الخطأ ، بل هو قد أخطأ خطأً فاحشاً من جهة
الوضع التشبيهي ، فهو قد أراد تشبيه القمر وهو يبعث بأنواره من وراء الغصون
بينت الملك تطل من خلف شباكها لترى الموكب فأطلق هذا التشبيه على الأغصان
لا عليه ، وقد نقده ابن حجة الحموي صاحب (خزنة الأدب) وأورد قول يحيى
الدين ابن قرياص في تصحيح هذه الصورة :

وحديقة غناء ينتظم أندى بفروعها كالدرّ في الأسلاك
والبدورُ يُشرق من خلال غصونها مثل الملبح يطل من شباك
ولشاعرنا العظيم قصيدة في رثاء بطرس غالى باشا من أبياتها :
فتفتت ، لما لم تمجد مقلتي كنفوا ، عن الفضل ليكي معي
فقيس لي : قد سار في إثره يوم دفنتاه ولم يرجع ا
لم يقل شيئاً ، فقد أسرف الشعراء في مثل هذا ، ومنه قول أبي تمام :
ولم أنس سعي الجود خلف مريره بأ كسف بال ، يستقيم ويطلع
وما كنت أدري ، يعلم الله ، قبلها بأن السدى في أهله يتشيع
ولك في هذه الصورة الكثيرة الوجوه والنواحي ما يدل على اختلق الروح
الفنى في قول شاعرنا :

سار ولم يرجع ... ، ولبعضهم في هذا الباب :
نوى الجود والكافي معاً في حقيرة لئاس كل مهما بأخيه
وقال الحسين بن مطير الأسدي :
ولما مضى زمن الجود والندى وأصبح عرين المسكارم أجدا
قال صبرى :
يانازلاً بين وفود البلى آنستهم يأموحش الأربع
وقال شاعر قديم :
أما الفجور فأنتهن أوانس بجوار قبرك ، والدبلر فبور

ولابى بكر بن الصائغ :

لئن أنست تلك القبور بلحدهم لقد أوحشت أقطارهم وقصورهم

وعلى هذا المنهاج درج البهاء زهير فى قوله يرثى بعض أصحابه :

النار من بعدك قد أصبحت فى وحشة يا مؤنس الدار

ولولا القافية وعادها لقال يا مؤنس القبر ، وقد توسع المعرى فى هذا المعنى فقال يرثى الشريف الطاهر الموسوى :

إن زاده الموتى كسالم فى البلى أ كفان أبليج مكرم الأضياف

قال صبرى :

عنى فيك اليوم (قبضية) كروى الأسمى عن (مسلم) مؤجم

والشطر الأول من هذا البيت صدره ناطقة من قول ابن خفاجة الاندلسى :

عنى بهم عىن سجوسية تعبد من وجنته ناراً

ومسلم من رواية الحديث ، وهذا هو التوجيه عند البديعيين ، ومنه

قول ابن نباتة المصرى :

ملك باهر المكارم يروى وحه اتقياء عن (عطاء) و(بشر)

ولغيره فيه :

عن (نافع) وصلة روى لى كما روى الهجر عن (خرار)

ومن أجود ما قيل من هذا النوع قول ابن رشيق الفيروانى فى الأمير تميم

ابن المعز :

أصح وأعلى ما سمعناه فى الندى من الطير الماثور منذ قديم

أحاديث زويها السيل ، عن الحيا عن البحر ، عن كف الأمير تميم

وقد عدوا الفاية فى هذا الباب قول علاء الدين الوداعى :

من أم بابك لم تبرح جوارحه زوى أحاديث ما أوليت من من

فالعين عن (فرقة) والكشف عن (صلة) والقلب عن (جابر) والأذن عن (حسن)

وبيت صبرى إذا فيس بهذا المقياس وأعنى من عيب التقليد وقع فى النمط

الأول والمنزلة العليا من هذا النوع ، وليس هذا بسبيلنا فنحن نريد إطلاق الروح

الفنى ومحريه من أمثال هذه القيود الصناعية التى ذهبت بمجد الأدب ، وأفسدت ما له من قوانين وأحكام . ولقد بلغ من أمر رجال المدرسة البديعية الذين أحدثوا هذه البدع المنكرة فى عالم الشعر أن جعلوا أعمار الفحول من غير فريقهم فى المنزلة الثانية ، وحسبك من هذا العيب أن ترى ابن حجة شيخ علمائهم يبالغ فى التشيع لفنه حتى ليسكاد يقضى لصفى الدين الحلى وابن نباتة على المتلحى فيما وصف به قصيدتين لهما فى معارضة أبى لطيب ، وقد جعلوا موضوع هذه المعارضة قصيدتيه اللتين يقول فى مطلع احدهما :

بأبى الشمس الجناحات غواره اللابسات من الحرير جلابيا

ويقول فى مطلع الثانية :

أرق على أرق ، ومثل يارق وجوى يزيد ، وعبرة تفرق

فقال صفى الدين :

أسبلن من فوق الشهود (ذوائبا) فتركن خبات القلوب (ذوائبا)

وقال ابن نباتة :

ما ربك فيك بدمع عيني (أشرق) إلا وأنت من الغلالة (أشرق)

وكل هذا من أجل ذوائب وذوائب ، وأشرق وأشرق ، وهم يسمون هذا النوع الجماس انتام ويكثر منه ، فانظر أى شيء من السموم الفنى فى هذه الصناعة وإليك لوئين من قصيدة ابن نباتة فتذوقها وارجع الى أثرها فى نفسك لترى أيها هو الشعر ، قال :

يمتاز من دمعى عليك ذوو لبكا فاعجب له من (سائل) يتصدق

يا حبذا ليل (نبيع) به الكرى لكنا (لا عن رضى تفرق)

ما مررتنى أن (الكُميت) يحسبها محوى الحقة ، وأن قودى (ألق)

هذا هو اللون البديعى أو الصناعى ، فانظر ما يقول بعد هذا ولك الحكم :

قوم لذكراهم على مصحف العلى أصل الفخار ، وكل ذكر ملحق

الملك بعض ديارهم ، فليزلوا والجم بعض جدودهم ، فايرتقوا

هذا ولا ريب خير الاونين ، وقوم السيلين . ولنا نعاذى لبديع فى ذاته فهو

عنصر فني كبير الشأن ، ولكننا نكره أن يكون صناعة فاشية ، وأن يكون له مثل تلك الغلبة وذلك الطفيزان . انظر الى قول عبد المطلب جد النبي ﷺ :

لا ينزلُ المجدُ إلا في منازلنا كالتوم ليس له مأوى سوى المقل
فذلك هو « الاستطراد » عند البديعيين ، ومنه قول القاضي الفاضل :

فكأنني ألفٌ ولامٌ في الهوى وكأن موعدةً وسلمك تنوينٌ

هذه ملحمة لا شك فيها ، ولكن أين هي من ذلك الجلال وتلك الفخامة ؟
ومن مُلح القوم في باب الاستعارة قول ابن رشيق :

بادرْ الى اللذاتِ ، واركب لها سوابقَ النهورِ ذواتِ المراحِ

من قبل أن ترشفَ شمسُ الضحى ريقَ الغرادي من تغورِ الأفاقِ

وقول الوليد بن حبان الشاطبي :

فوق خدِّ الورْدِ دمعٌ من عيونِ السحبِ يُذرفُ

برداءِ الشمسِ أضْحى بعد ما سالَ يُجفِّفُ

ومن مختار ما يقع في هذا الباب قول مجير الدين بن تميم :

وليلتي بتُ أسقى في غياهيها راحاً تسُلُّ شباي من يدِ الهرمِ

ما زلتُ أشرسها حتى نظرتُ إلى غزالةٍ الصبحِ ترعى نرجسَ الظلمِ

كلُّ هذا مستحسن ، وجميل أن يقول ابن سكرة أحدُ غلاتهم :

قِيلَ ما أعددتُ للتبرِّدِ ، فقد جاء بشدةٍ

قلتُ درّاعةً عرياً تحمها جُبَّةٌ رعدةٍ

ولكن أين هذا من قول ذي الرمة :

أقامت بها حتى دوى العودُ في الثرى وَلَفَّ الثريا في ملاءمةِ النعجِ

وقول الراعي :

همُّ كاهلُ الدهرِ الذي يتقى به ومنكبُهُ ، إن كان الدهرُ منكبُ

انظر الى الاعرابي كيف يتوقر في شعره فيقول « إن كان الدهر منكب » وتأمل

حالَه وحال من يجعل من العرى درّاعة ، ومن الرعدة جبة ، وإن للمتنبي لمواطن

يصغر فيها حتى ليكاد يزدرى ، فمن هذه المواطن الذميمة قوله في سيف الدولة :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن يلقى عليه الجوارم
 ليس بهذا ومثله بلغ المتلبي ما بلغ من شرف باذخ ومجد عظيم ، وأية قيمة لهذا
 البيت الذي هو أشبه بأشعار النجاة بعمرض قوله في هذه القصيدة :
 وقفت ، وما في الموت شك^١ لواقف^٢ كأنك في جفن الردى ، وهو نائم
 تمر بك الأبطال كلهم هزيمة^٣ ووجهك وصاح^٤ ، ونفوسك باسم^٥
 ضمنت جراحهم على القلب ضمة^٦ تموت الخواشي تحتها والقوادم^٧
 بضرب أتى الهامات ، والنصر غائب^٨ وصار إلى اللبّات والصبر قادم^٩
 قال صبرى :

يا مَنْ سقاني الجُم من وُدِّهِ هذا ودادى كلُّهُ فاكرع^{١٠}
 وقال أبو تمام :

ولقد أتيتك صادياً ، فسكرت^{١١} في شيم^{١٢} الله من الرُّلال^{١٣} البادر^{١٤}
 وللشريف الرضى :

سقاني على القُرب كأس^{١٥} الاخاء مطبوخة^{١٦} بنسيم الصفا
 فهذا كلُّهُ من منبع واحد ، ومن أشهر شعره تلك القطعة الرقيقة التي
 يقول فيها :

أقصر فؤادى ، فما الذكرى بنافع^{١٧} ولا بشافعة^{١٨} في ردّ ما كانا
 جرى في قوله « بنافعة ولا شافعة » على مشهور قول الناس ، وقد سبقه البهاء
 زهير إلى ذلك فقال :

أرْحَنِي مِنْكَ حَتَّى لَا أَرَى مَنْظَرَكَ الوعرا
 فقد صرتُ أرى بعدَكَ لَكَ عَنِّي الراحة الكبرى
 فما تنفعُ في الدَّيْءِ ولا تشفعُ في الأخرى
 ومن هذا القبيل قولهم « الفاعل التارك » ولنور الدين العسيلي في فاعل على
 لغة أصحاب الأعمال عندنا :

وفاعله يتركني عامداً وهو لفتى في الهوى مالكي

أقول للناس : ألا فاعجبوا من صنع هذا « الفاعل التارك » !
ومعنى البيت كله من قول المتنبي :

ولا يَرُدُّ عليك الفائنَ الحزنُ

قال صبري يخاطب فؤاده :

سلا الفؤادُ الذي شاطرتهُ زماناً حملَ الصبابةُ ، فاحققْ وحدكَ الآنا
الصورة في هذا البيت معكوسة ، والمعنى غير مستقيم ، فقد أراد الشاعر أن
يقول لقلبه إن القلب الذي كان يشاطركَ حمل الصبابة قد سلا ، فأجرى فعل
المشاطرة على قلبه هو ، وأنت ترى أن وقوع الفعل من قبله يُعَمِّقُه من عناء هذا
السلو ، ويريمه من ذلك العبء الذي كان يحمله ، وإدراكاً فلا معنى لأن يَحْفَقَ وحده ،
ومعنى البيت على الوجه المستقيم من المعاني المطروقة لانتخاذه صورة الحكاية التي
قل أن يخلو منها شعر الحب ، أو تدعها ألسنة المحبين ، فمن ذلك قول بعضهم :

أشكو الذين أذاقوني محبتهم حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا

وقول الشريف الرضي :

أحذاك حرَّ الوجدر ، غيرَ مُعَامِر وسقاك كأسَ الهمِّ غيرَ مُعَاوِر

وفي معنى شتمانة الشاعر قلبه وقوله (فاحقق وحدك الآنا) يقول عبيد الله
ابن عتبة :

قد دُقَّ هجرها ، قد كنت تزعم أنه رشادٌ ، ألا فأنار بما كذب الزعم

وللطغرائي في معنى البيت كله :

يا قلبُ مالك والهوى من بعد ما طابَ السلو وأفصرَ العشاق ؟

أو ما بدالك في الإفاقر ، والأثلى نازعتهم كأسَ الغرامِ أفاؤا ؟

مرضَ النسيمِ وصحَّ ، والداف الذي أشكوه لا يُرجى له إفراقُ

وهكذا حَفَقَ البرقُ ، والقلبُ الذي تُطوى عليه أضالعي خفَّاقُ

وهذا ابن وكيع يقول في معنى اشتمانة بالقلب :

لقد شمتَ بقلبي لا فرجَ الله عنه

كم مُلِئتُ في هواه فقال : لا بُدَّ منه ؟

قال صبرى :

هلاً أخذت لهذا اليوم اهبتة من قبل أن تصبح الأشواق أشجاناً
أخذت الالهة للامر قبل وقوعه مما كثر القول فيه ، ولكننا من هذا البيت أمام
أمر لا محل له من عتبة ، ولا تؤخذ له عتبة ، وقد يستقيم قول بعضهم :

أقول لها ، والدفع يغلب صبرها أعدى لمقدى ما استطعت من الصبر
قد يستقيم هذا ، وقد يكون مقبولا كذلك قول ابن المعتز :

كلا فكّر في الهجر بكي وبحة يسكى لما لم يقع

فأما أن يأخذ الحب عدته لسوء الحبيب أو لغدره فلا معنى له سوى انتقاض
الحب وفساد العلاقة ، ومثل هذا وإن جرى في القول مجرى الملح فليس بشيء في
مقام النقد ومعرض البحث والنظر ، ومن هذا العهد قول ابن رشيق والمعنى في
البيت الأول مسخر للغرض المتمثل في البيت الثانى :

فكرت ليلة وصلها في صدّها فجرت بقايا آدمى كالعندم

فطفت أمسح مقلتي في نحرها إذ عادت الكافور إمساك الدم

إن حال صبرى في هذا البيت اقرب من حال ذلك الشاعر لدى يقول :

ولما نزلنا على زمزم ونحن نريد طواف الافاضة

بكيت فقالت : على م البكا ؟ فقلت : على الود أخشى انتفاضه

فقلت : لكنتك من عاشق ثمّ رُذيلك قبل المحاضة

فقلت : صدقت ، ولكنى أعلم نفسى طريق الرضا

يرى صبرى في هذا البيت بين الأشواق والأشجان مرلة ، وأن الأول أخف
محلاً ، وأيسر عاء ، وإذا فقد كان قلبه يستطيع أن يتخذ العدة والأشواق
وحدها هي الغالبة عليه ، فهذا من حد القول وصحیح الكلام ؟ لعل قول
الشاعر الحكيم (لا يعرف الشوق إلا من يكابده) إنما أعيد لهذا الذى يقوله
شاعرنا العظيم ، وارجته لقيس لئنى إذ يقول :

فوا كبدي من شدة الشوق والجوى ووا كبدي ، إني الى الله راجع !

وهذا آخر يصف لنا الشوق فيصدق :

رَعَى اللهُ مَنْ هَامَ الْفَوَادُ بِحُبِّهِ وَتَمَنَّى كَدْتُ مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِ أَطِيرُ

وانظر الى الشهيد عروة بن حزام إذ يقول لسافته :

مَنْ تَجَمَّعِي شَوْقِي وَشَوْقَكَ تَطْلَعِي وَمَا لَكَ بِالْعَبْرِ النَقِيلِ يَدَانِ

هو الشوق منذ العهد الأول ، لم يَحْمِلْ عن طبيعته ولم يتغير ، هو الذي قال فيه

مسلم بن الوليد (أغرى به الشوق ليل الماهر الرمد) وقال فيه أبو تمام :

هَذَا مُحِبَّتِكَ أَدَمَى الشَّوْقُ مُهْجَتَهُ فَكَيْفَ تُنْكَرُ أَنْ تَدُمَى مَا قَدِمَ ؟

ووصفه في مكان آخر فقال :

لَلنَّارِ نَارُ الشَّوْقِ فِي كَبِدِ الْفَتَى وَالْبَيْنُ يُوقِدُهُ هَوَى مَسْمُومُ

خير له من أن يخالص صدوره وحشاه معروف امرئ مكتوم

أنا آتيك بصبري نفسه ينقض ذلك القول وينادي أن الأشواق عنصر ناري ،

وأنها هي والأشجان بمنزلة واحدة ، فاسمع ماذا يقول في قطعة أخرى :

يَا مَنْ أَقَامَ فَوَادِي إِذْ تَمْلِكُهُ مَا بَيْنَ نَارَيْنِ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ شَجَرٍ

الحمد لله ، ظهر الحق واستبان السبيل ، ونحن نضع الآن هذه القطعة الأنيقة

بين يدي النقد ، وإنا لنرى هذا البيت كثير التطلع في منهجه ومرماه الى قول أبي

جعفر بن البني :

يَا مَنْ يَمْدُبْنِي لِمَا تَمْلِكُنِي مَاذَا تَرِيدُ بِتَعَذُّبِي وَإِضْرَارِي ؟

وقد تم المراد في هذا البيت ، وخلا بيت صبري من كل شيء ، فهو لا يفيد

معنى في ذاته ، ولا يعطيك صورة مستقلة من نفسه ، وهذا من عيوب الشعر ،

وفي النارين والاستعانة بهما على تزيين الكلام وتنميقه يقول أبو نواس :

صَلَبْتُ مِنْ حَبِّهَا نَارَيْنِ : وَاحِدَةً بَيْنَ الْخُلُوعِ ، وَآخَرَى بَيْنَ أَحْشَائِي

ويقول الخطيب الحمصكي :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ مِنْ نَارَيْنِ : وَاحِدَةٍ فِي وَجْنَيْهِ ، وَآخَرَى مِنْهُ فِي كَبِدِي

قال صبري :

تَفْدِيكَ أَعَيْنُ قَوْمٍ حَوْلَكَ أَرْدَحَتْ عَطَشِي إِلَى نَهْلِهِ مِنْ وَجْهِكَ الْحَسَنِ

وفي معنى ازدحام العيون حول هذا المورد العذب يقول الشيخ أبو الفصّل بن
أبي الوفاء :

على وجنتيه جَنَّةٌ ذاتُ بهجةٍ ترى لعيونِ الناسِ فيها تزاها
ولأبي تمام :

إنّ حزني على ، لا بل عليك بل على مُهجةٍ تسيل لديك
أنت تُزهي بصورة غدت الأب... صارُ من حُسْنها وراحت عليك
وقال :

لُفّ نفسي على ، لا بل عليك أن تجولَ العيونُ في خديكا
وعزيرُ على أن تجتني الأب... صارُ زهرَ الربيع من وجنتيك
ولملاء الدين المارديني :

قد كتبَ الحسنُ على وجهه : يا أعينَ الناسِ ، فني وانظري !
فأما حُسْنُ الوجوه وما فيه من ماء هو دى العيون الظاه والقلوب الخائصة ،
فليس هذا بأول العهد به ، وهذه طائفة من أحبارِه . قال ابن خفاجة الأندلسي :

أما ترى المساء على وجهه يجولُ ، والنارَ على وجنتيه
فوخَّه رِيّاً كطرفي به وخَدَّه وَقَدْ كَفَّي عليه
وقال :

تَرَفَّرَقُ ماءُ مُقْلَتَيْ ووجهه ويذكروني قلبي ووجنته الجور
ولبعضهم :

أشكو الصّدَى أبداً وما الحسن في خَدَّي جاري
ومن الافتنان في هذا الباب قول الآخر :

لم تَرِدْ ماءَ حَسَنِكَ العَيْنُ إِلَّا شَرَقَتْ قَبْلَ رِيِّهَا بِرَقِيبِ
وهل أُنَاك حديثُ أفواه المني تترشف ذاك الماءُ ثُمَّتْ تصدر ظمأى وأنت
تظنها رواء ؟ قال صاحب الريحانة :

ماءَ الجَمالِ في رِياضِ خَدَّها وَرَدُّه بأفواه المني مُستعذبُ

ولابن خفاجة الأندلسي :

فكاد يشرب نفسي وكنت أشرب خدّه !
ومثله أو قريب منه قول الآخر :
يكاد أن يشربه إذا تبدى نظري !

ونحن نختم هذا الباب ببيتين قيل إنهما المهملّي في غلام تركي جعله معز الدولة
قائد جيش سيّره لقتل بني حمدن ، والشاهد في قوله (يروق الماء في وجهه) ، قال :
ظيَّ يروق الماء في وخماته ، ويرق عودّه
جملوه قائده عسكر ضاع الرعيل ومن يقوده

قال صبري :

جردت كل ملبح من ملاحظته لم تنق الله في ظي ولا غصن
فاستبق للبدر زين الشهب واثبته تملّكه في أوجه عبداً بلا تمن
الظي والغصن والبدر ، أو الشمس حيناً ، هذا هو مدار القول عند الأولين
إذ يبالغون في وصف الجمال . جاء صبري بهذه المجموعة في البيتين لكيلا يفوته
شيء ، وليكون قوله في البيت الأول (جردت كل ملبح من ملاحظته) متساوياً
كل ما يقع في معناه ، أو يقوم تحت حكمه ، فلو لم يذكر البدر لاضطربت (كل)
في مكانها ، وفقدت الشطر الأكبر من قوتها وسلطانها ، وما أفان البراعة في وصف
الجمال ، أو المبالغة فيه على وجه الاجمال ، قد فارقت بيت البحترى الذي يقول فيه :
أعطيت بسطة على الناس حتى هي صنف والناس في الحسن صنف
ومن الشعر الجامع في هذا الباب قول بعضهم :

كلّ حسن في السرايا قهو منسوب اليك

وأبلغ من هذين قول عبدا لله بن عبدا لله :

سلمي : وما سلمى اتفوق المني والحسن أوصافاً وتوانا

وللبحترى في المجري الذي تتبعه صبري ، وهو عندي في المحل الثاني :

فيهي الشمس بهجة ، والقضيب غصن ليناً ، والرّيم طرفاً وجيدا

وله :

في طلعة الشمس رشي من ملاحتها
وعلقضيب نصيب من تشيها
وقال ميهار الديلمي :

سلاطية الوادي ، وما الظي مثلها
وإن كان مصقول الترائب أكحلا :
أنت أمرت البدر أن يصدع الدجى
وعلت غصن البان أن ينمى لا ؟

وهذان شاعران ، هذا يتهم موصوفه بالسرقة من الظي والغصن ، وهذا يتهم
الزنان بالسرقة من موصوفه ! قال الأول وهو أبو النجاشي بن عبد السلام المغربي :
سرق الجيسد والحفاظ من الظي ، ولين القوام من غصن بان
وقال الثاني وهو القطب المكي :

ما أرى الزلان إلا سرقته منك جيداً والتفاناً وحقدق
ثم خانت ، فتولت شرّاً كيف لا يشرّد خوفاً من سرق ؟
أما ما قيل في البدر وحده ومنزلته من الموصوف بالجلال من قبل أن يتناوله
صبري ويضمه في ذلك المسكان ، فهذا طرّف منه ، قال عبداق بن المعتز :

كذبت أقول البدر شبه لها
أجملها كالبددر ؟ حاشاها !
وقال الشيخ زين الدين بن الوردى :

وبى أغيد من حُسن البدر خائف
على نفسه ، والجم في الغرب مائل
نريد أن نقرب من غرض صبرى ، ففي هذا البيت أن البدر خائف على نفسه
وترجمة هذه العبارة في بيت صبرى (واستبق البدر بين الشهب رقبته) أى انه خائف
فأعطاه الأمان ، فبقي أن يكون عبداً ، أو عبداً بلائمن ! واليك ما يقوله أحد الشعراء :
فى النوم عى ، يا لقومى ، مهف ، غلام ، ولكن الهلال غلامه !

لعلك تقول أين الغلام من العبد ، وهل الهلال كالبددر ؟ ليس لك أن تقول
هذا ، ولكنى مواتيک فذاكرت لك قول القاضى محي الدين بن عبد الظاهر :
وانت تعظم عندى أن يحمى البدر بحدك !

سنقول وأين موضع (بلائمن) من الشعر القديم ؟ الجواب عند البهاء زهير ،
قال :

لَكُمْ الرُّوحُ وَالْبَدَنُ لَكُمْ السَّرُّ وَالْعَلَنُ

أَنَا عَبْدُكَ مَا كُتِمُوا ، وَلَكِنْ بَلَا تُعْنِ

قال صبري من قطعة أخرى :

يَا أَمَى الْحَيِّ ، هَلْ فَتَشْتَ فِي كَبْدِي ؟ وَهَلْ تَبَيَّسْتَ دَائِي فِي زَوَايَايَا ؟

أَوَاةٌ مِنْ حُرْقٍ أَوْدَتْ بِمَعْظَمِهَا وَلَمْ تَزَلْ تَتَمَثَّلِي فِي بَقَايَايَا

يقال فتش الشيء وفتش عنه ، فقلوه (فتشت في كبدي) خطأ لغوي ، وقد ورد هذا الفعل على وجهه الصحيح في غير ما موضع من الشعر ، قال المتنبي :

طَلَبْتَهُمْ عَلَى الْأَمْوَالِ حَتَّى نَحْوَفَ أَنْ تُفَتِّشَهُ السَّحَابُ

وقال أبو الحسن التهامي :

وَلَمَّا فَتَشْتَ بَعْضَ عَطَائِهِ فَوَجَدْتَ فِيهِ السَّيِّئَةَ الْبُهْلُولَا

ولاحد الشعراء :

يَا وَجْهِ قَلْبِي مَا خَلَا مِنْ شَعْلِهِ بِصِبَابَةٍ وَحَبَّةٍ مُمْدَا كَانَا

لَوْ فَتَشُوهُ ، لَمَّا رَأَوْا السَّوَى الْمَوَى فِيهِ ، وَلَا غَيْرَ الْغَرَامِ مَكَانَا

وفي هذه الزوايا التي ذكرها صبري يقول البهاء زهير :

وَبِمَيْلٍ بِي لِحْوَةِ الصَّبِيِّ قَلْبٌ رَفِيقُ الْخَافِضَةِ

فِيهِ مِنَ الطَّرْبِ الْقَدِيمِ بِقَبَسَةٍ فِي الزَّوَايَةِ

ولناصح الدين الأربجاني :

نَأْمَلُ نَحْتِ ذَاكَ الصَّدْعِ خَالَا لِنَتَعَلَّمَ كَمْ خَبَايَا فِي الزَّوَايَا

فإنما تلك البقايا الواردة في البيت الثاني فحسبك من قديم ذكرها ما نسوقه

اليك ، قال الشاعر :

وَمَا أَبْقَى الْمَوَى وَالشَّوْقُ مِنْي سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فِي خِيَالِ

وقال آخر :

لَمْ يُبْقِ مِنْ كَبْدِي شَيْئًا أُعِيشُ بِهِ طَوْلُ الصَّبَابَةِ ، وَالْبَيْضُ الْمُطَايِلُ

ولأبي بكر بن دريد :

إنّ النّبي أبقيت من جسمه يامُتلف الصّبّ ، ولم يُتعر
صُباةً لو أنّها فطـرّة تجولُ في جفنيك لم تُنظر
وقال البهاء زهير :

لك الحيلة فاني أموتُ لا شك عشتا
لم يبقَ مني الا بقيّة ليس تبقى

وقال :

لم يبقَ غيرُ حشاشٍ من مهجتي ، وأخافُ أن لا ا

وما أكثر الشبه بين البيت الثاني من هذه القطعة وبين قول المتنبي يذكر
خروجه من أرض قطمها :

حتى وصلتُ بنفسٍ مات أكثرُها ولبتني رشتُ منها بالذي فضلا

لشاعرنا الكريم أبيات من جيّد شعره في معنى الوداع ناجي فيها قابه ، لا يدري
أهو إن حُمّ الفراق ناصره ، أو هو مُتليمةُ فُخّاذله ، ووَصَفَ ساعةَ البين بعصف
بالأحباب ، وأنها قطعةٌ من العذاب ، وأنت تراه يجود بروحه فداه لمن يرفق به
فيمحو هذه الساعة الشديدة الهول من صحيفة المقدور ، قال :

أترسى أنت خاذلي ساعة التو ديعر يا قلبُ في غدٍ ، أم نصبري ؟
ويذكّر قل لي متى أدركَ بجنبِي راصياً عن مكانك المهجور ؟
ساعةَ البين ، قطعةً أنت قدّدت للمحبّين من عذاب السعير
لا تتعيني - رموحى الفداء لِنَاجِي... لكِ غداً من صحيفة المقدور

يناجي الشاعر قلبه في البيت الأول مناجاة الحاضر معه ، ثم ينظر فلا يراه ،
وينصت لسمع جوابه فلا يجد سوى صدهاء ! هو في البيت الثاني غائب عن مكانه
المهجور لا يعطف عليه ، ولا يرضى عنه فيرجع إليه — هذا هو التدلّ ، وأنّه
لشفيعٌ ووجيهٌ لمن يُصاب به فيخالف هواك ، أو يعدل بك عن السبيل ، هو
التدلّ ، فإن أبيت فهو التلاعب البياني ما للشاعر المتصرّف في فنون الكلام منه
بدنٌ ، ولا لك عليه من سلطان وهو يأخذك به — أفاق صبري بعد البيت الأول
من ذلك التدلّ ، أو هو قد جرى عن منهاجه في هذا التلاعب ، فإذا به يسأل قلبه

متى أنت راحع ؟ وما تصنع القلوب والجنوب بلافع ؟ جرى صبرى فى هذا على
سنة الأولين ، فوضع قلبه بين قلوبهم ، وضمّ جنبه الى جنوبهم ، وهذا هو
المتنبى يقول :

أنظمن يا قلب مَعَ مَنْ ظلمنْ حبيبين ؟ أندبُ نفسي إذن ؟
ولم لا تُصابْ ، وحربُ البسو س بينَ الجمونِ ، وبينَ الوسنِ ؟
وهل أنا بعدكما عائشٌ وقد بان قلبى ، وبان السكن ؟
وللأبيوردى :

ظلمنوا ، فما لك لا تفارقهم يا قلب إن ظلمنوا ، وإن حطّوا ؟
وما أشبه صبرى بابن ميادة إذ يقول :

فوالله ما أدرى ، أين قلبى الهوى إذا جدَّ جدُّ البينِ ، أم أنا غالبه ؟
وفى معنى البيت الثانى يقول صفى الدين الحلى :

تهجرت بعدك القلوبُ الجسوما حين أمست منك الديارُ رؤسوما
وأقرب من هذا الى غرض صبرى قول ابن المعلم :

سألت رجسماً عن ساكنه ومن الجهل سؤالُ الطلل
ومما ينسب الى غررد الموسوس :

فلما تولّوا ولّت النفسُ فيهم فقلت أرجعنى أقات : إلى أين أرجع ؟
إلى جسدي ما فيه لحمٌ ولا دمٌ وما هو الا أعظمُ تنقمع
وللبورى :

تمازل هذا القلب كانت أو اهلاً وما هى من بعد الفراق طلول ؟
فأما ساعة البين وانها قطعة من العذاب أو أشدّ ، فمن الشائع المتواتر ، ومنه قول
أبى بكر الريدى :

ما حاقَّ الله من عذابٍ أشدّ من وقفِ الداعِ
وقول أبى تمام فى الأبيات الثلاثة :

أما الهوى فهو العذابُ فإن جرت فيه النوى ، فأليم كل أليم

قالوا الرحيلُ فما شككتُ بأنها تقضى عن الدنيا تريدُ رحيلاً

أظلهُ البينُ حتى أنه رحيلٌ لومات من شغفه بالبينِ ما عما !
وقال احمد بن عبد ربه :

يا سقيمَ الجفونِ من غير سقمٍ بين عينيكَ مصرعُ العشاقِ
انَّ يومَ الفراقِ أصعبُ يومٍ ليثني مثُّ قبلَ يومِ الفراقِ
ولبعضهم :

والله ما فارقتهم لكنني فارقتُ قلبي
وللبهاء زهير :

أنت الحياةُ ومنَ تنفأ رقةُ الحياةُ فكيف حاله ؟

في البيت الرابع من أبيات صبرى معنى يبدو كأنه طريف ، فهو يبذل روحه
أو (جائزة) لمن يحو ساعة الفراق من صحيفة المقدور ، وعلى هذا الوجه فهو يؤثر
أن يموت قبل أن تحين هذه الساعة ، وهنا يلتقى هو واحمد بن عبد ربه في قوله
(ليثني مثُّ قبلَ يومِ الفراقِ) ويبقى له بعد ذلك بحر الساعة من الصحيفة ، واقتطاعها
من الغد أو من الزمن ، وهذا شاعر قديم يجاوز هذا الحد فلا يريد إلا أن يزول
الغد كله من مجموعة الدهر وجريدة الأيام ، قال :

قالوا الرحيلُ غداً ، عدمتكَ يا غداً !

ومن الصور الواردة في هذا الباب قول البحتري :

يا يومُ عرسٍ ، بل وراك يا غداً قد أجمعوا بيأساً ، وأنت الموعدهُ

ومنها قول كلثوم بن صعب ، والشاهد في البيت الثاني :

دما داعياً بيني ، فن كان باكياً معي من فراق الحى ، فليأتني غدا
فليت غداً يومٌ سواء ، وما تبقى من الدهر ليلٌ يحبسُ الناسَ مرمداً
لثبكِ غرائبقُ الشبابِ فأنى إخالُ غداً من فرقة الحى موعداً

وهذه صورة أخرى في آخر لابن المعتز ، قال :

طولٌ في أيلولَ شهرُ الصيامِ وما قضينا فيهِ حقَّ المدامِ

والله لا أرضى عن الدهر ، أو يسرق شهر الصوم في كل عام !
فأنت تأخذ من جملة هذه الصور أن صبري لم يبتدع شيئاً في أمر ذلك المحو الذي
أرادته ، وهو جهدٌ مارى إليه في تلك القطعة ، وأحب أن يذكر له ويؤثر عنه .
وهذه قطعة أخرى من شعره ، قال :

تسمى تذكرنا الشباب وعهدَهُ حسناءُ مرهفةُ القوامِ فنذكرهُ
هيفاءُ أسكرها الجمالُ ، وبعضُ ما أوقى على قدر الكفاية يُسكرهُ
كثيبُ القلوبِ إلى الروسِ ، إدا بدت وتُطلُّ من حدقِ العيونِ وتُنظرُ
وتبيتُ تكفرُ بالشحورِ قلائدُ فاذا دنتُ من محرها تستغفرُ
وزيد في فها الآلى قيمةً حتى يسودَ كبيرهنَّ الأصغرُ

تأتى الشاعر في صياغة هذه القطعة الفنية الرائعة وتلوينها ، واستعان على تأدية
أغراضه فيها بأسبابٍ لطافٍ ، ووسائلٍ ما في براعتها وحسن اتساقها من خلاف ،
وانما يتمشى النقد في هذه القطعة على الأغراض والمعاني ، وإن كان قوله (هيفاء)
في البيت الثاني بعد قوله (مرهفة القوام) في البيت الأول من فضول الكلام ،
وما أرى البيت إلا صورة من قول المتنبي :

وفتاة العنين ، فتأله الهوى إذا كفحت شيخاً روائحها شيباً

ولقد بدأ الشاعر القطعة بتذكر الشباب وعهده ، ومبارح هذا التذكر يستطير
رنيته في أشعار الماضين ، ويتجاوب صدها في نفوس المتأدين ، قال منصور الخيري :
ما تنقضى حسرة منى ولا جزعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرْجَعُ
وقال المعري :

ولقد سلوتُ عن الشباب كما سلا غيري ، ولكن للحزين تذكرُ

وهذا من الأغراض العامة والمواطن المباحة ، وليس في هذا البيت من
الصورة الفنية الخاصة أو المعاني المولدة ، ما هو من النظر بموضع أو من النقد
بسبيل ، وموضع ذلك في البيت الثاني حيث يقول الشاعر (هيفاء أسكرها الجمال)
وما أبرح ما لاقت النفوس من هذا الشراب الذي أسكر الشعر والشعراء ، فألهمه
اغنية الحب ، وعلمهم كيف يرددون أنغامها الروحية الصافية على معازف الفن ،
قال البحتري في معنى ذلك السكر :

ويومَ تَنَزَّتَ للوداع ، وسَلَّمَتْ
تَوَهَّمَتْهَا أَلْوَى بِأَعْطَافِهَا الْكَرَى
بِعَيْنَيْنِ مُوصُولٍ بِلَحْظِهَا السَّحَرُ
كَرَى النَّوْمَ ، أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الْحَرُ
وَقَالَ الْمُتَنَبِّي :

وَغَضَبِي مِنَ الْإِدْلَالِ ، سَكَّرَتْنِي مِنَ الْعَشِيِّ
وَمِنْ قَوْلِ ابْنِ هَانِي :
مَنْعُولِكِ مِنْ سَيْتَةِ الْكَرَى ، وَسَرَّوَا ، فَلَوْ
وَدَّعَاؤُكَ سَكَّرَتْنِي ، مَا سَقَاؤُكَ مَدَامَةً
عَثَرُوا بِطَبْفِ طَارِقٍ ظَنُّوكِ
لَمَّا تَمَآيَلَ عَطَافُكَ أَنَّهُمْ مَوْكُ
وَلَمْ يَعْصِهِمْ :

يَرْنَحُهَا سَكَّرُ الشَّبَابِ ، فَتَنَبَّى
وَزَادَ جَمَالَ الدِّينِ بْنِ مَطْرُوحٍ عَلَى كُلِّ هَذَا فَقَالَ :

إِشْوَانُ ، مَا شَرَّبَ الْمَدَامَ ، وَأَمَّا
قَالَ صَبْرِي فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِ :

تَنَبُّ الْقُتُوبُ إِلَى الرَّؤُوسِ ، إِذَا بَدَتْ
حَدَّدَ الشَّاعِرُ مَرْمَى تِلْكَ الْحَرَكَةِ الَّتِي تَأْخُذُ الْقُلُوبَ إِذَا بَدَتْ مُوصُوفَتُهُ بِقَوْلِهِ
(تَطُلُّ وَتَنْظُرُ) وَهَذَا مَعْنَى فَاسِدٍ ، لِأَنَّ الْقَلْبَ لَا يَنْظُرُ مِنَ الْعَيْنِ ، وَاسْمٌ فِي مَقَامِ
الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ ، فَحَسْبُنَا شَهَادَةُ الشَّعْرِ ، قَالَ بِشَّارُ :

يَزْهَدُنِي فِي حُبِّ عَيْسِدَةٍ مَعْشَرُ
فَقُلْتُ دَعُوا قَلْبِي وَمَا اخْتَارَ وَارْتَضَى
وَمَا تَبَصَّرُ الْعَيْنَانِ فِي مَوْضِعِ الْهَوَى
وَلَا تَسْمَعُ الْأُذُنَانِ إِلَّا مِنَ الْقَلْبِ
فَإِنْ فِيلٌ إِنْ بَعَثَارًا نَعْمَى يَنْتَصِرُ لِنَفْسِهِ ، فَهَذِهِ أَقْوَالُ مَذَاقَةٍ مِنَ الْمُبَصِّرِينَ حَوْلَ
الْمَعْرِى أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهَا فَتَنْفِيَاهُ ، قَالَ الشَّرِيفُ الرَّضَى :

إِذَا تَوَجَّسَ كَانَ الْقَلْبُ نَازِلَةً
أَغَارَ عَلَيْهِ الْبِهَاءُ زَهِيرٌ فَقَالَ فِي الْمَعْنَى :

إِنِّي عَشَقْتُكَ ، لَا عَنْ رُؤْيَا عَرَّضَتْ
فَتَيَّفْتُ مِنْكَ بِأَوْصَافٍ مُجَرَّدَةٍ
وَالْقَلْبُ يُدْرِكُ مَا لَا يُدْرِكُ النَّظَرُ
فِي الْقَلْبِ مِنْهَا مَعَانٍ مَا لَهَا صُورٌ

وقال حسن بن محمد البوري من شعراء الرميحة :

أحوّل وجهي حين يُقبلُ عامداً مخافةً واشرب بيننا ——— ورقيب
وفي باطنى — والله أعلم — أعينٌ تلاحظه في أضلعِ وقلوبِ
ولصاحب الرميحة :

وتنظره من قلبي الصَّبُّ أعينٌ عليها إمخئي الضلوعِ حواجبُ
ولم هذا كله ؟ أما كان كافياً أن يقال (قلوبُ العاشقين لها عيون ؟) ولقد
أبصرت القلوب التي جعلها صبرى نثب الى الرؤوس بشهادته هو ، وليس بمد هذا
كله من داييل على فساد المعنى الذي جاء به ، وانظر مايقول أحمد الكيو في الشاعر
الدمشقي في المأخوذ من سلطان الجلال :

قلوبهم كلُّها عيونٌ وكلُّ أجسامهم قلوبٌ !

لو أنصف صبرى لأعفى القلوب من ذلك الوثوب ، أو لأطلقها من تلك القيود
التي احتجزتها وراء العيون ، ولستنا نكتم شهادة ذلك الشاعر الذي يؤم قوله أن
شاعراً على شيء من الصواب ، وهذا ما لا يكون إلا على أضغاف وجوه التأويل
وأدق مدارج الاستنباط ، ذلك هو شهاب الدين بن رضوان الغرناطي ، قال :

يا مَنْ اختار فؤادي سكناً بابه العينُ لتي ترمقه
فتح الباب سُهادي بمدكم فابعثوا طيفكم يفلقه !

جعل العين باب القلب ، وهذا وصف صحيح في أكثره وهو يحتمل مجوزاً أن يقال إن
وثوب القلوب الى الرؤوس لتطل من حديق العيون وتنظر انما هو في حكم من يرى أمام داره
منظراً حسناً أو غير حسن من المناظر التي تثير النفوس فيهرع الى الباب لينظر عن
قرب ، ولكن هل يستقيم هذا المثل والوصف جازعاً على القلوب !

نلك إحدى الصورتين ، فأما الأخرى فحركة القلب في ذاتها وصلتها بالشعر
القديم ، وليس من هذه الصورة ما قيل في القلوب تطير شوقاً أو فزعاً ، ولكن
منها قول أبي تمام :

تمشت قلوب أناس في صدورهم لما راوك تمشي نحوهم قدما

البيت في معنى الفزع ، ولكن حركة القلوب فيه أشبه بها في بيت صبرى ،
فهي تمشي هنا وتثب هناك ، وبين المشي والوثب ما ترى من مجاور وقرب . ومن
هذا النوع قول المتنبي :

أصبح حُتَادُهُ وَأَتَمُّهُمْ بِمَجْدُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا
وقوله في الخيل :

مُجَادِبُ فِرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعْنَى كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيَا
بِعِزْمٍ يَسِيرُ الْجِسْمُ فِي السَّرِجِ رَاكِبًا بِهِ، وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِي الْجِسْمِ مَاشِيَا
ومنه قول ابن المعتز يمدح :

فَالَيْتُ غَابَ بِسَلْبِ الْجَيْشِ بَاسُهُ بِمَشْيَةِ وَثَابٍ عَلَى الذِّمْرِ وَالزَّحْرِ
إلى أن يقول وهو الموضع :

بِأَجْرٍ مِنْهُ حَدٌّ بِأَسْرِ وَعِزْمَةٍ إِذَا مَا ارْتَفَى قَلْبُ الْجَبَانِ إِلَى النَحْرِ
وهذه صورة أخرى من قوله تكشف لك عن انجاء آخر لهذا النوع الذي
تراه ممثلاً واضحاً في بيت صبري ، قال :

لَوْ تَسْتَطِيعُ قُلُوبُهُمْ تَفْذِنَ أَجْسَامَهُمْ ، فَتَمَاقُتَ حُبًّا
قال صبري :

وَتَبَيَّتْ كُفْرُهُ بِالْبُخُورِ فَلَا تُدْ فَذَا دَنَتْ مِنْ نَحْرِهَا تَسْتَغْفِرُ

هذا ولا خفاء معنى دقيق هو من أبدع أمرار الفن غوراً ، وأشدّها نهذاً
وامتناعاً ، تناولها شاعرنا القدير فصور لك فيه كفر الفلائد واستغفارها ، ولك أن
تقول إن الكفر لا يمحى بالاستغفار ، وأن الإيمان هو المطلوب في هذا المقام - ذلك
من أحكام القول وشرائطه ، وما بك من شطط حين تقولها ، ولكن دع هذا
ناحية ، واذهب مُعْجِداً في معنى البيت ، أنك من هذا في المطلب الآجل والشأن
الاعظم ، أنت منه بين صورتين دقيقتين : صورة الكفر وصورة الاستغفار ،
ولذلك نحزن معي لحسن هذه الآية الفنية الرائعة بعد قول مهيبار :

كَفَرْتُ وَجُوهَهُمُ الْبَدُورُ وَأَمَنْتُ لَا كَفْرَهُمْ أَيْدِي السَّحَابِ ، فَكَفَرْتُ

جاء مهيبار بالكفر والإيمان معاً ، وجه به وبالعقود جميعاً أبو بكر ابن القوطية
الاندلسي إذ يقول في السوسن والورد :

كَأَنَّمَا ارْتَضَعَا خَلْقِي مِمَّا هِيَ فَأَرْضَعْتُ لِبَنِيَّ هَذَا ، وَذَاكَ دَمَا
جَهَنَّمَانِ قَدْ كَفَرَ السَّكَافُورَ ذَاكَ وَقَدْ عَقَّ الْعَقِيقَ أَحْمَرَاراً ذَا ، وَمَا ظَلَمَا

نتعلم من هذا أن الكفر قديم في باب المفاضلة بين الأشياء ، فإنا هو من شاعرنا
يبدع ، وإنا لنرى حسناً كثيراً في قوله تستغفر عن أنها كلمة مستقلة لا يحكمها
ضابط ولا يسيطر عليها نظام ، وما هذا الحسن الكثير إلا ترجمة خمس الحلى
ووسوسة تلك الترجمة البديعة فإذا أنت منها في لغة فصيحة ، وإذا الاستغفار قائم في
هذه اللغة ، وفي هذا الخمس أو الوسواس ، يقول المعجাজ :

تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ إِذَا مَا وَسَّوَسَا وَالتَّجُّ فِي أَجْيَادِهَا وَأَجْرَمَا
زَفَرَفَةَ الرَّيْحِ الْمُتَصَادِ الْيَبِيمَا

ويقول حاتم الطائي :

إِذَا انْقَلَبْتُ فَتَوَقَّ الْحَشِيَّةَ مَرَّةً تَرَنَّمْ وَسَّوَسْ الْحَلِيَّ تَرَنَّمَا
وقد حرى أبو تمام والبحرئى في هذا المضمار على غرارَيْهِمَا من حيث الصنعة ،
فقال الأول :

وَإِذَا مَشَتْ تَرَكْتُ بِقَلْبِكَ ضِعْفَ مَا بِحُلِيِّهَا مِنْ كَثَرَةِ الْوَسَّاسِ
وقال الثاني :

إِذَا هَجَنَ وَسَّوَسَ الْحَلِيَّ نَوَلَّمْتُ بِنَا أَرْجِيَّاتِ الْجَوَى وَالْوَسَّاسِ
وأخذ شهاب الدين الحاجي معنى بيت أبي تمام فقال (حَلِيَّ يُوسَّسُ فِي
صدور الناس) وأكثرُ اللفظ من القرآن الكريم على طريقة لاقتباس ، ذلك هو
الاستغفار عند شاعرنا ، غفر الله له وأحسن إليه ، قال :

وَتَزِيدُ فِي فَهْمِ اللَّائِي قِيَمَةً حَتَّى يَسُودَ كَبِيرُهُنَّ الْأَصْنَمُ
معنى حسن ، ولكنه غير جديد ، قال ابن الدببة :

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ أَوَّلُو ثَغْرِهَا بِأَنَّ نَفِيسَاتِ اللَّائِي صَغَارُهَا
ومما أصح فيه شاعرنا فكهرة ، وراضه من الأغراض والمعاني قوله :

وَلَمَّا اتَّقَيْنَا قَرَبَ الشَّوْقِ جُفُوهُ شَجِيئِينَ فَاضًا لَوْعَةً وَعَتَا
كَأَنَّ صَدِيقًا فِي خِلَالِ صَدِيقِهِ كَتَرَّبَ أُنْثَاءَ الْأَنْثَاكِ وَغَا

يفيض لوعة ، أو يذوب شوقاً ، أو ما كان من هذا بمنزلة ، انما هو من أنشاء
القول ، وأخلاق الكلام ، وقد وصفوا لشكوى والعتاب بالركة ، وأمرغوا عبيهما

صفة الذوبان ، فجاء شاعرنا يجرى هذا الوصف على الأشخاص ، والمتحول سهل
والمسافة قريبة ، وقد تناول أبو تمام رقة الشكوى فقال :

كادت لمرقان النوى الفاظها من رقة الشكوى تكون دموعا !
وقال آخر :

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا وشهدت كيف تكررت التوديعا
أيقنت أن من الدموع محدثا وعلمت أن من الحديث دموعا !
ومما ينسب إلى جعظة البرمكي :

ورق الجوى حتى قيل هذا عتاب بين جعظة والزمان !

نريد أن ننظر إلى اللغة في البيت الثاني قبل أن نلمس المعنى ، ونحن نرى أن في
قول الشاعر « خلال صديقه » ، وأثناء العناق موضوعا للتأمل ، فخلال لغة منفرج ما بين
الشئين ، وهى من الديار ما حوالى حدودها وما بين بيوتها ، ومن السحاب مخارج
الماء ، ولما نجد بين هذه الصور واحدة تلتأم ما ذهب إليه صبرى في ذلك
الوصف حتى مع قوله أن الصديقين فاضا وقوله تسرب ، وقد جعل أثناء ظرفا
فجرى في ذلك على طريقة العاشقين باللغة من جماعة الكتاب ، وأثناء الشئ قواه
وتصاعيفه وطاقاته ، وأحدها ثنى ، والسبيل أن يقال في أثناء ذلك ، أى في غضونه
أو في فترته منه ، وقد قرأت في مجموعة شعر صبرى للأديب المعروف (محمد صبرى)
أن أديبنا الكبير السيد مصطفى صادق الرافعى يرد المعنى القائم في هذا البيت
إلى قول بشار :

فبتنا ولو أنا ثرائ زجاجة من الخمر فيما بيننا لم تسرب

وأنه يسكر صورة هذا العناء يجرى بين صديقين ، وبعد أن خالفه صاحب
المجموعة فيما ذهب إليه قال إن صح أن هذا المعنى مأخوذ من أحد وجب رده إلى
(موتين) الفيلسوف الفرنسى الذى قال في موقف عناق (وما كنت أدري أن كان
هو أم أنا) !

صديق الأديب (محمد صبرى) فيما تحدث به من « بعد العلاقة بين بيتى صبرى
وبشار ، فليس المعنى واحدا فيهما ، وصح ما يقال أن بيت بشار يعهد للمعنى
الذى أفرغه صبرى في ذلك البيت ويهوى له الخطر ، وأكثر منه تمهيدا له

وإعانة عليه قول ابن الرومي :

أعانته والنفس بعد مشوقة إليه ، وهل بعد العناق تداني ؟
والتمّ فاه كي تزول حرارتي فيشتد ما ألقى من الهجان
كأنّ فؤادي ليس يشفى غليله سوى أن يرى الروحين يمزجان

وقد أكر الأديب محمد صبري على الرفع ما أثاره من الشبهة حول ذلك العناق ولكنه لم يدفع هذه الشبهة التي ما تزال قائمة بشاهد لغويّ أو دليل شعريّ ، فكان معنى ذلك أنه لا يرى مانعاً من وقوع العناق بين الصديقين - من الرجال - على الصورة الواردة في البيت ؛ وليس هذا هو الوجه ، فالصديق صفة تطلق على المرأة كما تطلق على الرجل ، ومن ذلك قول جميل :

كأنّ لم نحارب يا بشين لو أنها تكشفت فغمهاها وأنت صديق
وقول ابن المعتز :

برغم البين ، لا صارمت شرّاً ولا زالت وإنّ بعدت صديقا
فإنّما أن الشعر العربي خال من ذلك المعنى ، وأنه إذا كان صبري قد سبق إليه فلا يكون سابقه سوى ذلك الميلسوف الفرنسي - أمّا هذا فبعيد عن الحق والصواب ، وهذه طائفة من الشواهد : قال ابن المعتز ، ونسبه بعضهم إلى خالد الكاتب :

كأنّي عانقت ربحانة تنفست في لبها البارد
فلو ترانا في قيص الدشجي حسبتنا في جسد واحد
وقال ابن عبدوس :

لا ، والمنازل من نجد وليتنا بعيت إذ جسدانا بيننا جسدا
كم رأينا فينا الكرى من لطف مسلكه عينا ، فما انك لا كف ولا عضدا
وقال ابن بشر الكاتب :

ولم نزل ، والظلام حارسنا جسمين متودعين في جسم
ولابن عبدون :

وما أنسّ ليلتنا والعناق قد مزج الكلّ منّا بكلّ

وهذا صالح بن موسى يستعين بالخي على تصوير هذا المعنى بلون آخر فيقول :

لِي سَيِّدٌ مَا مِثْلُهُ سَيِّدٌ تَصَدَّقَ الْحَمِيُّ لَهُ فَاشْتَكَى
عَاقِبَتُهُ عِنْدَ مُوَافَاتِهَا فَمِ نَحْنُ مَا بَيْنَنَا مَسْلُوكًا

أُبَيِّنُ هَذَا كُلَّهُ يُقَالُ إِنَّ الْمَعْنَى غَرِيبٌ عَنِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ ، وَانَّهُ لَا شَبِيهَ لَهُ إِلَّا فِي
قَوْلِ صَاحِبِنَا الْفَرَنْسِيِّ (وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَكُنْ هُوَ أَمْ أَنَا ؟) فَإِنَّ كَانَ الْأَدِيبُ مُحَمَّد
صَبْرِي مِنْ كُلِّ هَذَا ؟ بَلْ أَبْنِ هُوَ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

أَنَا مَنَ أَهْوَى ، وَمَنْ أَهْوَى أَنَا نَحْنُ رُوحَانِ حَالِنَا بَدَنًا
وَقَوْلِ الْآخَرِ :

بِكُمْ نَحْدِثُ هَوًى ، فَلَوْ حَيِّتُكُمْ قُلْتُ السَّلَامُ عَلَى ذَا أَنْفِ أَنَا
لَا أَخْشَى أَنْ أَنْتُمْ بِالْمُخَالَاةِ فِي تَلَعُّسِ الْمَآحِدِ إِذْ أَنَا أَخَذْتُ نَاحِيَةً أُخْرَى فِي
هَذَا الْمَجْرَى وَرَعَمْتُ أَنَّ الْمَعْنَى الَّتِي أَنْتَبَحُ مُوَافَقَهُ وَأَتَعَثَّلُ صَوْرَهُ قَدْ يَتِمُّرُ
الْتِزَاعُ مِنْ هَاتَيْنِ الصُّورَتَيْنِ عَلَى مَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهُ مِنْ بُعْدٍ فِي ظَاهِرِ الْحَالِ ، وَهَذِهِ
إِحْدَاهُمَا ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَتَحَدَّثْتُ مِنْ كَأْسِهِ فِي ثَمَرِهِ كَالشَّمْسِ تَغْرُبُ فِي هَالِكٍ مِنْ قَرٍّ
فَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَقَوْلُ الْآخَرِ :

أَقُولُ وَالْكَأْسُ عَلَى فَيْهِ قَدْ تَصَوَّبَتْ كَالْكُوكَبِ النَّاقِبِ
ذَا كُوكَبٌ يَغْرُبُ فِي كُوكَبٍ وَيَلِي عَلَى الطَّالِعِ الْغَارِبِ

لَمْ يَذْكُرْ صَبْرِي أَيْ الصَّدِيقَيْنِ تَسَرُّبُ فِي الْآخَرِ ، إِذْ الْوَصْفُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ
مَشَوِّشٌ ، بَلْ هُوَ يَوْمٌ أَنْ هَدَيْنِ الصَّدِيقَيْنِ شَخْصَانِ آخِرَانِ غَيْرِهِ هُوَ وَصَاحِبُهُ ،
وَإِذَا تَكُونُ الصُّورَةُ وَصْفِيَّةً مُحَضَّةً ، أَيْ أَهْمَا لَا تَقِيدُ مَعْنَى الْأَمْرِ الْوَاقِعِ عَلَى حَدِّ
مَا أَرَادَهُ الشَّاعِرُ .

قَالَ صَبْرِي فِي مَعْنَى عَقُوقِ الْإِخْوَانِ وَالْبَقِيَا عَلَيْهِمْ :

إِذَا خَانِي خِلٌ قَدِيمٌ وَعَقْنِي وَفَوَّقْتُ يَوْمًا فِي مَقَاتِلِهِ سَهْمِي
تَعَرَّضَ طَيْفُ الْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَكَسَّرَ سَهْمِي ، فَانْتَفَيْتُ وَلَمْ أَرَمِ

المعنى غير مستقيم في البيت الأول لما اشتمل عليه من الخطأ اللغوي في قوله « وفوق في مقاتله » إذ معنى فوقٍ لسهم جعل له فوقاً وهو موضع الوتر منه ، وقد أتى الشاعر بهذه الكلمة في موضع سدّدت أو صوّبت ، والحكم في ذلك أن يقال إلى مقاتله ، لا فيها ، فالخطأ طاهر ، وهو آت من طريق الوهم وبجانبه التنبّه ، وعندى أن تعرّض طيف الودّ في البيت الثاني مما يستفاد من قول البحترى :

حبّيبٌ نأى ، إلا تعرّض ذكره له ، أو لميل طائف من خياله

وفي معنى البيتين يقول الشريف الرضى يعاتب أخاه :

تهضمتى من لا يكون لغيره من الناس إطراق على الهون أو غصّي
أفوتني قبل القول بينى وبينه فيؤلمني من قبل ترعى بها عرصي
وأرجع لم أوليخ لساني في دمي ولم أرم أعضائي بنهش ولا تحضّي
شفعت إلى نفسي بنفسى ، فكفكفت من الغيظ واستعطت بعضى على بعض

ولا آخر في المعنى :

فداويته بالحلم ، والمره قادره على سهمه ما دام في كفة السهم
وقال أبو عبد الله بن الفخار المالقي :
إذا ما خليل نبا مرّة وقد كانت فيما مضى مجيلاً
ذكرت المقدّم من فعله فلم يُفسد الآخر الأوّلا
وللشريف الرضى في معنى التعرّض :

وإن ناكرتني خلة من خلاله تعرّض قلبي بفتديها من الحقد

الأمير (عمر طوسون)

لشاعرنا الكبير قصيدة وجهها إلى صاحب السموات الأمير (عمر طوسون) أيام الحرب البلقانية بين تركيا القديمة ودولة اليونان ، يذكر فيها مجده العالية ، وحميته الماثورة ، قال في مطلعها :

لك الامارة ، والأقوام ما برحت بكلّ حال الدردى في الكون تاتمر

يقال انتمر الأمر امتثله ، وبه أمر نفسه ، وانتمر فلاناً شاوره ، وبفلان أمره ، ومنه في القرآن الكريم (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْمُرُونَ بِالْكَفِّ) ولم يرد انتمر به بمعنى اقتدى أو اتبع أمره ، فالاستعمال فاسد في البيت كما ترى ، والمعنى قريب من قول لبيد في معلقته :

ولكل قوم سنة وإمامها

وبعد هذا يقول صبري :

لو لم ترئها لما أفتت أعنتها إلا إليك خلال كلها غرر

غريبٌ سمى الشاعر في هذا البيت الخادع ، ولحق أنه قد خدع في إيرادته على هذا الوجه ، إذ كان مراده القول إن الأمير حفظه الله جمع بين الامارة التي ورثها عن بيته العظيم وبين المعظمة الخاصة المستفادة من اجتماع خلال الخير والمعروف فيه فأخطأ المراد ، وفصل بين الموروث والمكتسب عن وجه التفريق ، فجعل الأول قائماً ، وترك الثاني معلقاً ، وانظر إلى الشريف الرضي إذ يفصح عن هذا الغرض بقوله :

قد زاده الله على عظم الخطر مكارم ذات حُجُولٍ وُغُورٍ

ومن قوله في هذا المعنى :

لو لم يكن عالي الأصول ، فقد وفى شرف الجدود بسؤدد الأجداد

الجدود جمع جد ، وهو الحظ والاقبال والمعظمة ، ولأبي تمام في معنى البيت على الوجه المستقيم :

وهل ميساميك في العلا ملك صدرك أول بالرحب من بلدة ؟

خلافك الغر دون رهطك أثر ... رى منه في رهطه وفى عده ؟

نعلم من هذا أن شاعرنا لم يوزق التوفيق في هذا البيت ، وأنه أخذ المعنى من الأقدمين ، قال :

يا ابن الألى لو أطلوا من مضاجعهم يوماً عليك ، لفالوا : إيه يا عمر ؟

أعدت أيامهم في مصر ثانية حتى توهم قوم أنهم نشيروا

وسرت سيرتهم ، حتى كاههم إذا خطرت بادئ مرة خطرنا

معنى البيت الأول مأخوذ من قول الشريف الرضى في الملك بهاء الدولة :
لو أن عينيك اليوم ناظرةٌ — تعجب الأصل مما أثمر الطرفُ
ويصح أن يُردَّ إلى قول أبي تمام في محمد بن يوسف النخعي :
رأى الحيد بن القحط الأمور به — من أفتح الرأي في يوم الوغى تتجأ
لوعاينك ، إذن قالوا ، وما ظلمنا — أبرحت ، أيسر ما في العرق أن يسرجا
وللشريف الرضى في معنى البيت الثاني والثالث :

رأيت فتى في كفه ريمته الندى وفي وجهه شبه من الآب والجد
إذا ما احتج في الحى وامتد باعه — رأيت أباه حين يحكم أو يُجدي
وقد وقع هذا المعنى في صور أخرى منها قول ابن نباتة المصري :
ظعن الكرام الأولون وأقبلت أيامهم ، فسكانهم لم يظعنوا
وفي شرف الأبناء يقول البحري ، وهو أوسع معنى وأبعد أثراً :
وكم أنافت من الأبناء مكرمة مشهورة ، تدعُ الآباء حساداً
قال صبري :

لله درك ، كم نهبت من همم — نثني على أهلها الأصال والبكر
وكم تعهدت جرحي من أسود وغي — إن يكشر الدهر عن أحداثه كسروا
ليس في البيتين معنى جديد أو أثر لانفراط الفكري الذي يجب أن يثور ويطرده
في النفس الفنية الطامحة : فله درك ، وأسود وغي ، ويكشر الدهر ، كل هذا
من الصور التي ذهبت فسادتها مع الداهيين الأولين ، فإذا لم يكن بد من
استعمالها وجب أن يكون إلى جانب كل صورة منها شيء جديد من المعاني
المولدة ، والأغراض الفنية التي تخروجها من دائرة الجود إلى دائرة أخرى من
الحركة والتصرف . وما أبعد ما بين قول الشاعر — كم نهبت من همم —
وبين بقية البيت الأول ، فالسياق الفني مُعطل في هذا البيت على أنكر الحالات
وأسوأ الوجوه ، والوحدة المعنوية التي كان ينبغي أن تقوم فيه وتنهض به لا موضع
لها ولا وجود ، وليس الشعر أن تأتي بصورة الفهم أو هيئة الحال جامدة كثيفة
منقطعة الصلة عما بعدها من الكلام كقوله : نهبت من همم ، بل عليك أن تُريني كيف
تهبت هذه الهمم من رقادها ، وكيف كانت وهي نائمة ، في صورة فنية رائعة ، لأعلم

أنك شاعر وأنت تقول شعراً ، فأما أنت تقول لي — تُثنى على أهلها الآصال
والبُكر — فانصرفاً عن الشأن ، وحلطتْ مئة بين ضرب وآخر من ضروب
الكلام ، قال :

مُحتجداً من بني مصر أولي شمم إذا رأوا ثلعة في حوضهم جبروا
مُستهمياً هامياً ، والنَّيلُ في وحل من أن تجود به إيمانكم تحذرو
نقصر المقد على البيت الثاني ، ففي معنى قوله (مستهمياً هامياً) يقول أبو تمام
في محمد بن يوسف الثغري يذكر إمداده إياه بحاله وجاهه وحرّ المنفعة اليه :
أنضرت أيتكى عطائك حتى صار ساقاً غودي ، وكان قصيبا
مطرأ لي بالمال والجوار ما أله فمالك إلا مُمتوهباً أو وهوباً
ويفسر أبو تمام ذلك فيقول :

فاذا ما أردت كنت رشاء وإذا ما أردت كنت قليلاً
فأمّا قوله في البيت الثاني الأمير الجليل : ان السيل من أن تجود به إيمانكم
حذر ، ويقع تحت حكمين اثنين من أحكام المقد ، حكم الغلو بمجاوز الحد فيمجة
الدوق ولعقل ، وحكم المسدح يصل المبين فينزلق الى الضد ، ومن الأول قول
المنسي : يا من إذا وهب الدنيا فقد بخل ، وقوله :

إنك من ممعشر إذا وهبوا ما دون أثمارهم ، فقد بخلوا
ومن ذلك قول أبي سعيد الرستمي في صاحب بن عباد يهنئه بدار بناها
بأصهار :

وواش لا أرض لك الدهر خادماً ولا الغيث مُنتاباً ، ولا البحر نائلاً
ولا الفلك الدوّار داراً ، ولا الوري عبيداً ، ولا رُمهر النجوم قبائلاً
وقول شهاب الدين محمود الخماجي في الأمير محمد بن منجك ، وفي البيت من
فساد اللغة ما ترى :

قد نشرتك بمصر بعض معاشر لم يعلموا الأقوال في تأويلها
مصر أقل ندَى أياديك القه من فيض نائلها أصابع نيلها

أما المعنى القائم في وجل النيل وحذره فتزعم من قول المتنبي في ثياب أبي
العشائر، قال :

مُمنَحِيباً مِنْ أَبِي الْعِشَائِرِ أَنْ أَسْحَبَ فِي غَيْرِ رُضَى حُلَّةٍ
أَسْحَبَهَا عِنْدَهُ لَدَى مَلِكٍ ثِيَابُهُ مِنْ جَلِيسٍ وَجِلَّةٍ
وللمتنبي يخاف على نفسه من كرم مدوحه :

قَدْ لَعِمْرَى أَقْصَرْتُ عَنْكَ، وَلَوْ أَنَّ... أَزْدَحَامُ ، وَلِلْعَطَايَا أَزْدَحَامُ
خِفْتُ إِنْ صَرْتُ فِي يَمِينِكَ أَنْ تَأْخُذَنِي فِي رَهْبَانِكَ الْآفَاقُ !

ومن باب المدح يضل السبيل فينزلق الى الضد ، ما يستفاد من جود الأمير
الجليل (عمر طوسون) بالنيل ، فهذا الجود الذي لا تستطيعه نفسه الكريمة ،
ولا تحب من يستطيعه أو يحدث به نفسه ، وهو الذي علّمنا كيف نحبه وأمرنا أن
نبخل به كل البخل — هذا الجود القطيع المحزى ليس مما يُحِبُّ أو يُمدَح صاحبه .
وما أضل المتنبي رأياً وأشدّه ذهولاً وغفلةً إذ يقول في هذا الباب لسيف الدولة :
كَرِيمٌ مَنِي اسْتَوْهَبْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ وَقَدْ لَقِيتَ حَرْبٌ ، فَانْكَ نَارُكُ
وإذ يقول لكافور :

فَقَدْ كَتَبْتُ الْجَيْشَ الَّذِي جَاءَ غَارِيَا لَسَائِكَ الْفَرْدِ الَّذِي جَاءَ عَافِيَا
ليس هذا الذي يذكره المتنبي من الفضائل فيصدق ما أجراه عليه أو ما أراد
أن يُجْعَلَهُ به من ثناء ومدح . ومن جنونه في هذا الباب قوله في أبي شجاع فأنك :
تُحْمَى الضِّيَوفُ مُشْهَقَةٌ بِعَفْوَتِهِ كَأَنَّ أَوْقَانَهَا فِي الطَّيِّبِ آصَالُ
لَوْ اشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لِبَادَرَهَا خَرَادَلٌ مِنْهُ فِي الشَّيْزَى وَأَوْصَالُ !
إنما يعرف وجه الأمر ويجري على حكم الصواب من يقول :

يَجُودُونَ لِلرَّاجِي بِكُلِّ نَفْسَةٍ لَدَيْهِمْ سِوَى أَعْرَاضِهِمْ وَالْمَنَاقِبِ
قال شاعرنا :

حَتَّى تَفَاهَتِ الْأَرْوَاحُ وَادَّكَرَتْ مَا بَيْنَهَا الْأَهْلُ وَالْخَلَائِقُ وَالْأَمْرُ
وَأَذِنَ الْيَبْرُ بِالشَّقِيَا وَمَا تَبَرَّحَتْ مِنْهُمْ وَمَنْكَ صَنُوفُ الْيَبْرِ تُنْتَظَرُ

وحرّكت كل كفة بالندى مفة حتى تعجبت الأنهار والعُدُر

يكثر الناس من ذكر التفاهم ولا وجود لهذه الكلمة فيما نعم من كلام
الأقدمين ، شعراً كان أو نثراً ، وقد راجعنا ما عندنا من المعاجم فلم نجد لها في
مطائنها ، وما لحسبها إلا من مخترعات كتّاب الصحف ، وليس لتعارف الأرواح
أو اتفاهمها كما يقول الشاعر بالمعنى المعروف اليوم لهذه الكلمة من محلّ يقابلها
أو يتسع لها في مثل هذا المقام ، وقد ازدحمت الشطر الثاني من البيت بالأهل
والخلان والأسر ازدحاماً لا معنى له ولا فائدة فيه ، ففي الأهل على حدة غناء ، وما بعد
الأسر من زيادة تطلب أو علاوة تضاف ، وليس الوجه أن يدكر المصريون ما بينهم
على حد قول الشاعر الكبير فحسب بل وما بين اخوانهم الترك من الأواصر
السياسية وغيرها ، وهذا ما أراده ولكنه لم يقله . أمّا تعجّب الأنهار والعُدُر في
البيت الثالث فليس ببعيد من قول المتنبي :

فلم نرَ قبل ابن الحسين أصاباً إذا ما هطلن استحييت الديم الوطف
قال صبري :

والناسُ إن قام يستسقى الكريم لهم سحائب الفضل بشرهم فقد مطروا

لا يمدو هذا البيت ما قيل في الاستسقاء وهو كثير ، فنه البيت المشهور :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه غزال البتامي ، عصمة للأرامل

وقول الفرزدق : خليفة الله يستسقى به المطر — ومنه قول البحتري :

مليئون أن تسقى البلاد غياثها بأوجهم حتى تسيل لجأها

وقول الرقاعي في آل برمك :

أصبحت بسادق كانوا نجوماً بهم نمتى إذا انقطع الغمام

قال صبري :

يأبى علا (سعيد) أن يشابهه إلا (ابن دوحته) إن قام يفتخر

ما زال بحمده رائيك مدكراً والأصل بالفرع إن حاكاه مبدكراً

هذا هو ختام القصيدة ، وقد رأينا أن نعني هذين البيتين من النقد ، وإن كان
معناها شاملاً في هذا الباب من الشعر ، وهذه القصيدة من شرف موضوعها

وجلال ذلك المقام الرفيع الذي وُجِّهت إليه ما يجعلها أميرة شعر صبرى وسيدة قصائده ، حفظ الله للإسلام والشرق أميرنا العظيم (عمرطوسون) وبارك فيه وفي سلالة الطاهرة .

معارضة يابل الصب

أقرب من دغ غده ؟ فالليل تمرّد أمودده
والتنت تحت عجاجته بيمس في الحى تؤيده
حرب عندى لمسقرها شوق ما رات أردده
هل من راق لصريع هوى ؟ هل من آس يتهده
حتى م يساوره كمد ميل الأحشاء نجمده
والى م يصارعه ألم إن هم يقوم ويثمهده
في القصر غزال تمكبره غزالان الرمل ونحده
صغرت كفى منه ومضى وقد امتلات منى يده
كم صفت التبر له شركا وقضيت الليل أنصده
وأشاور شوق ، بل أدبى هل أقصر ، أم أنصده
مولاي أعيدك من ضرر لا يرحم قلبا موقده
أدرك بحياتك من دمي ما بات هواك يهدده
قد بان الحب لدى عيتي ن ، وهذا لشوق يؤكده
(شوق) أجود في الشعر وقل آمنت بأنك أوحده

طارض شوق وصبرى وولى الدين يكن والأمير نسيب أرسلان قصيدة الحصرى
هذه (يابل الصب متى غده ؟) فقال الأول في مطلع قصيدته :

مضناك جفاه مرقده وبكاه ورحم عودده
وقال ولى الدين :
الحسن مكاتك معبده والاحظ فؤادى تمنمده

وقال الأمير نسيب :

مُضْنَاكَ عَصَاهُ تَجِدُهُ هَلْ أَنْتَ بِعَطْفِكَ مُنْجِدُهُ ؟

فنحن نرى أن هذه المطالع الثلاثة لم يلمس واحد منها ذلك المعنى الذى استعمل به الحصرى قصيدته ، وأن صبرى تناول هذا المعنى قائماً في بعض صورده اللفظية بلا تخرج ولا احتياط ، ثم جرى على هذا النهج في كثير من أبيات قصيدته ، حتى لقد يُخيل إلى من يجهل أحكام المعارضات الشعرية أن تازع الأغراض والمعاني مما يُطلب فيها ، أو مما يباح لأصحابها ، وليس هذا بحق ، قال الحصرى من قصيدته :

رَقْدَةُ اسْتَمَرُّ ، وَأَرْقَةُ أَصْفَى لِلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ

وَعِدَا يَقْصَى ، أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ يَتَوَدَّدُهُ ؟

نَصَبْتُ عَيْنَايَ لَهُ شُرَكَاءَ فِي النَّوْمِ فَمَرْءٌ تَهْتَدُّهُ

لَمْ يُبْقِرْ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا فَلْتَبْكِرْ عَلَيْهِ عَوْدُهُ

خَذَلَكَ قَدْ اعْتَرَفَا بِدَمِي فَعَلِمَ جُفُوفُكَ لِحَدِّدُهُ ؟

هذه أبيات خمسة مُقتناها على غير ترتيب لذلك على ما لها من الصلة من جهة اللفظ والمعنى بقول صبرى :

حَرْبٌ عِنْدِي لِمَسْقَرِهَا شَوْقٌ مَا زِلْتُ أُرَدِّدُهُ

هَلْ مِنْ رَاقٍ لَصَرِيعِ هَوَايَ هَلْ مِنْ اسِرٍّ يَتَمَدَّدُهُ

كَمْ صُفِّتُ النَّسِيرَ لَهُ شُرَكَاءَ وَقَضَيْتُ اللَّيْلَ أَنْضَدُهُ

وَأَشَاوَرُ شَوْقِي ، بَلْ أَدْبَى : هَلْ أَقْصَرُ ، أَمْ أَنْصِيدُهُ ؟

أَدْرِكْ بِحَيَاتِكَ مِنْ رَمَقٍ مَا بَاتَ هَوَاكَ يَهْدَدُهُ

قَدْ بَاتَ الْحُبُّ لَدَى عَيْنَيْنِ ، وَهَذَا الشَّوْقُ يُؤَكِّدُهُ

ولقد ضاق الوصف على شاعرنا وهو يذكر الليل في الشطر الثاني من مطلع قصيدته فلم يزد على قوله (فالليل تمرُّد أسوده) ثم عرَّ عليه أن يترك هذا السواد قائماً وحده ، فعمد إلى مذهب البديعيين وجاءنا في البيت الثاني بقوله (بيضٌ في الحى تؤيدُهُ) ثم أوحى إليه كلمة (تؤيدُهُ) في هذا الشطر وكلمة (بحاجة) في الشطر الأول من البيت ، أن يجعلها حرباً مُقامة عليه ، وإذا بالغبار ينجل في البيت لسابع عن

(غزال القصر) فمحن نشهد اداء صورة مزودة تنبيء بالمعجز عن ضبط الغرس ،
وتصوير العاطمة قائمة في حدود الفن "اتزان ، مقبلة على شأنها في هدى وعرفان ،
يقول صبرى في غزال القصر :

صفت كفى منه ومضى وقد امتلأت منى يده
ما زال الشعراء قبلنا يلوكون هذه المصنعة الجاففة ، مصنعة فراغ الأيدي
وامتلائها . فمنهم الشريف الرضى يقول في رثاء صديق له :

فرغت يدي منه ، وقد رجعت به أيدي الترائب والخطوب ملاء
وله في غيره :

راحت وفود الأرض من قبره فارقة الأيدي ، ملاء القلوب
ولان المعتر :

ما في يدي منه غير حفص يدي ورثت بختي في الحب مبخوس
ومن قول بعضهم — قد كنت أحسب أني قد ملأت يدي — وللهاء زهير :

ما لقلبي منك يا بك ر سوى خفي حنين
ويرى الحساد أني منك ملأت البدين

قال صبرى :

كم صفت التبر له شركاً وقضيت الليل أنشد
وأشاور شوقي بل أدبي هل أقصر أم أنصبيته ؟

لا معنى لهذه المشاورة بعد مد الشراك ونصب الجبال ، وما أكثر هؤلاء
العبيادين عندنا ، ولكن يأتي أدبنا الآن يزيد سوادهم وإلا أن يكون لكل مائة
(خراش) غزال واحد أو ظبية واحدة ! قال الشريف الرضى :

كم قد نصبت لك الجبال طامعاً فنجرت بعد تعرض لوفوع
وتركتني ظمان أشرب غداً أسفاً على ذاك اللحن المنوع
وقال ابن الوردي :

ورث غداً طامعاً بقلبي وهو صرماها
نصبت لها شباكا من لحنين ثم صيهاها

هذه شرباك من فضة ، فأما شرك التبر الذي بات شاعرا ينصده والمراد به
الذهب فانك واجده في قول الأمير منجك (باشا) على لسان من يحبه :
لا تنقضى لك حاجة عندى بشعر أو طرب
إن رُممت صيدى فى الهوى فانصب شراكاً من ذهب
قال صبرى :

قد بان الحب لذي عينين وهذا الشوق يؤكد
فى البيت نكابة شديدة للفن الفنى السليم وموضعها قوله (لذي عينين)
فان هذه الكلمة الخشنة فى روحها ومغزاها تجعل البيت قطعة من الكلام الجدى
وليس هذا عوقه ، وليس الشاعر وهو يأخذ فى مثل هذا الجدل قد أنصف المنطق
فى قوله : وهذا الشوق يؤكد - فان الشوق دعوى والدعوى مفتقرة الى البيئنة .
وانظر ما يقول الأبيوردي :

ومن يبينات الشوق أنى على التوى أموت لذكرا مراراً وأبعث
ومن قول الشيخ الشبراوى :

قصبة الشوق فى فؤادى ترهاها بالعين مـ
نأخذ من هذا أن شاعرنا الكبير أقام الدعوى مقام البيئنة ، وهو الذى مارس
الفضاء طويلاً ، وعرف من أمره ما لا نعرف ، ولقد أكثر الشعراء من ذكر
بيئات الحب وشهوده ، فن ذلك قول بعضهم :

سأعد ما ألقى ، فان كنت بيئى فسل الدموع ، فانها لا تكذب
وقول أبى المواهب البكرى :

لا أذوق الكرى ، وسئل أنجم اللبى له ، وهذا السقام من يبيناتى
والبك شهود المتنبى ، قال :
شيب رأسى ، وذلتى ، ونحولى ودموعى على هواك شهودى

الحياة والموت

إن سئمت الحياة فارجع الى الأبد ض تسم آمتاً من الأوصاب

تلك أمٌ تُخى عليــــــــك من الأمم التي خافتك للأتعاب
لا تُخَفْ ، فالهاتُ ليس بمأحـ منكَ إلا ما تشكى من عذاب
كلٌ مَيّت باقـ وإن خالف العنـ... وإن ما نُصِر في غضون الكتاب
وحياة المرء اغترابٌ فإن ما تـ ، فقد عادَ سالماً للتراب

هكذا قال صبرى في الحياة والموت ، وتعدت هذه القطعة من أجود شعره وأشهره . وأكثر ما يأخذ الأدباء منها ما ورد في البيت الأخير من اغتراب المرء في الحياة ، ورجوعه سالماً الى التراب ، وإن نسب غير واحد من الأدباء هذا البيت الأخير الى المرحوم مصطفى نجيب بك ، ولعلك مُدرك ما فى المقدم من فائدة حين ترى أن شاعرنا الكبير لم يزدنا شيئاً من عنده ، وأن الناس قد يؤخذون من قبيل أنفسهم فى كثير من الأمور ، وأن المقاييس الصحيحة للأدب والموازين العادلة للأدباء لم تقم الى يومنا هذا فى بلادنا وبين قومنا ، وما أبرح ما تعبد المنون والصناعات من ناس لو أنهم أوتوا أو رزقوا المعرفة لتببوا أنهم خاطئون .

وبعد فإن أظهر ما يبدو لك من عيوب هذه القطعة قول الشاعر فى أواخر الأبيات الأولى : الأوصاب ، والاتعاب ، والمذاب ، فإن هذه الثلاث مؤلفة معنى وإن اختلفت لفظاً ، وما برح الرؤساء من أرباب الصناعة يتحامون ذلك . وما أعلم أيحده شاعرنا أم يوزل فى قوله - إن سئمت الحياة فارجع الى الأرض - لا أعلم أين هو من الخصلتين فما كل من يسأم الحياة يميت ، ولا كل من يحبها ويرغب فيها يتناج من الموت ، أنظمه يشير بالانتحار ويحرض عليه ؟ هذا ما أفهمه مكرها وإن لم يرد وأين الذى يسأم الحياة أو يملها ؟ أيفرّه قول زهير :

سئمتُ تكاليفَ الحياة ، ومن يعشُ ثمانينَ حولاً - لا أبالك - بحسام !
على أن زهيراً لم يسأم الحياة ، وإنما سئم تكاليفها ، وقد أغنانا المتنبي عن مثل هذا التفسير بقوله :

وإذا الشيخُ قال أفراً فما تملّ حياةً ، وإعسا الضعفَ ملاً
إن ذلك النجوم المربح الذى يريد صبرى فى البيت الأول هو بعينه ما نراه فى قول المعري :

ضجعة الموت رقدة يستريح الـ... جعّم فيها والعيش مثل السهادى
وانظر ما يقول فى هذا المعنى :

أخفى الماذل قبره يستراح به وأفضل اللبس فيما أعلم الكفن

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة ولا الحى في حال سلامة آمن

إذا عمدت الاوطان في كل بلد لقوم سجوناً ، فالقبور حصون

متى أنا للدار المريح طاعن فقد طال في دار العناء ثمقامى ؟

ولبعضهم :

جزى الله عنا الموت خيراً فانه أبر بنا من كل بر وأرأى

أعجل إنقاذ النفوس من الأذى ويذنى من الدار انى هي أشرف

وهذه أبيات آخر لشيخ المعرة تريك من ابن أخذ صبرى معنى البيت الثانى :

والتراب قليل طلعاً ، وهو والدنا وكم لنا فيه من قرى ومن دهر

نقضت عني تراباً ، وهو لى نسب وذلك بحسب من قطع الفتى الرجا

والدنا هذا التراب ، ولم يزل أبر يداً من كل منسبيه

يؤدى إلى من فوقه رزق ربى أمياً ، ويعطى العون محتجبيه

أنعلم الأرض ، وهى أم خف زمان فما ازدهاها

بأى جرم ، وأى حكم سلط كنت على مهاها ؟

قال صبرى :

لا تخف ظلمات ليس بمساح منك الا ما تشسكى من عذاب

لا أقول إن هذا البيت يكثر من الالتفات الى قول الشريف الرضى :

قل لم يكن فرج في الحياق فكم فرج في انقضاء العمر

والكنى أقول إنه يلقى في هم المعري حيث يقول — العيش داء وموت المرء عافية — ولقد قال المتنبي قبله : كفى بك داء أن ترى الموت شافيا — والمعري يردد هذا المعنى :

إذا غدوت ببطن الأرض مضطجماً فـمـم أفقد أوصابي وأمراضي

إذا طفقت في الزرى أعين فقد أمنت من عمى و رمد
قال صبرى :

وحياة المرء اغتراب فان ما ت ، فقد عاد سالماً للتراب
وقال أبو السعادات الحسيني :

نحن في دار غربة كل يوم يتنقضى جيل ، ويحدث جيل
وكاننا في ذاك ركبان : ركب مزمع رحلة ، وركب فقول
أما المعري فيقول مراداً هذا المعنى في صور مختلفة :

قد طال سيري في الحيا ة ، ولي بطن الأرض منزل

فان تلك هذى الدار منزل طاعن فدار مقامي عن قليل اوابها

إننا ضيوف زمان ما قراء لنا الا المنايا ، ونحن الآن في الشن

جمع لهنسة ما يتعجله الانسان من الطعام يتعمل به ، — هذا في معنى الغربة ، والعودة الى الوطن ، أما في معنى قوله : عاد سالماً ، فقد قال بعض الأوائل : رجعنا سالمين كما بدأنا — على نمة غربة أخرى بعد الموت هي ولا ريب شر الغريبتين ، فيا ويح الانسان ، وما أشدها عظة أن يقول فيه لشيخنا المعري إذا مات :

لعل إناء منه يصنع مرة فياكل فيه من أواة ويشرب
ويحمل من أرض لاخرى ، وما ذرى فواها له بعد البلى يتغرب !

وانظر ما يقول في من يُقيم لنا البيوت ويرفع القصور :

لَعَلَّ مَقَاصِلَ الْبِنَاءِ تُضَيِّحُ طَلَاةَ السَّقِيفَةِ وَالْجِدَارِ
أرى بعد هذا أن قطعة صبري وكل ما قيل أو يقال في معناها مذالطة ظاهرة
للنفوس ، وقد تكون تعزية نافعة لبعضها ، فإن طبائع الحياة وحقائق الموت أشد
قوة وأعظم سلطاناً من أن تدعن لأمثال هذه المغالطات ، وقديماً قيل - كفى
بالموت نأياً واغتراباً .

الشباب والشيب

لَمْ يَدْرِ تَطْعَمَ الْعَيْشِ شُبَّانٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْهُ شَيْبٌ
جَهْلٌ يُغَيِّلُ قُوَى الْفَتَى قَتَطِيشٌ ، وَالرَّمْيُ قَرِيبٌ
وَقُوَى تَخَوُّرٌ إِذَا تَشَبَّهَتْ بِالْقُوَى الشَّيْخُ الْآرِيبُ
تَيْبَسًا يُقَالُ كَكَبَا الْمَقْفَلُ ، إِذْ يُقَالُ كَبَا الشَّيْبُ اللَّيْبُ
أَوَاهُ ، لَوْ عَقِلَ الشَّبَابُ بُوَاوَاهُ ، لَوْ قَدَّرَ الْمَشِيبُ أ

هذه إحدى آيات صبري ، وإنا لنرى الصورة العامة في هذه الأبيات ممثلة
ماختلال كبير في التصور ، وشطط غير متقارب الحدود في وصف الحياة ، وكيف
تكون في الشبان والشيب . ولو صدقت هذه الصورة لخربت الدنيا ، وسقط العالم
في مهاوى النساء . وماذا تريد من شباب ضال ، ومشيب عاجز ؟ إن شاعرنا
الكبير يحب الكلام لذاته ، ويتصرف فيه على هواه ، وأثن ذهابها نصائحه ويقول
معها إن الشباب ضلال محض وجنون صرف ، وأن المشيب عجز خالص وجهود
بخت ، أُرانا نستطيع الاعتداء على سنن الحياة فنزعم أن ضعف الهرم - الضعف
التام الذي يصفه هو - يُعقب قوة الشيب ونشاطها مرة واحدة . وفي يوم واحد ؟
كلاً إنك لتعلم أن بين شرّة الشباب ووهن المشيب فسحة كبيرة من العمر ، ومحاكاة
غير قليلة من الزمان ، فإذا العقل والمقدرة ، وإذا السداد والمضاء والقوة المدبرة ،
ولسا نسنعين بالشواهد الشعرية على إثبات فساد هذا المذهب ونسفس شاعرنا
الكبير فيه ، ولكنا نسنشهد التاريخ ، حوادثه وأبطاله من الفريقين الشباب
والشيب - ومن كل هذا نعلم أن الصورة القائمة في هذه الأبيات ليست من الحقائق
العامة كما أراد الشاعر أن تكون ، وهي لا تصدق إلا إذا أجريناها مجرى الحكاية

الخاصة في تمثيل حياة بعينها لشخص معين ، وإنك لترى هذه الحياة ماثلة في الشخص الذي تستفيد من قول أبي العتاهية :

دَبَّ فيَّ الفناءُ سَفْلاً وِعِلاًوا وأراني أموتُ عُذْواً فَمُضُوا
ذهبتُ جِدَّتِي بطاعةِ نَفْسِي وتذكرتُ طاعةَ اللهِ رَضُوا

هذا حكمنا على الصورة العامة في الأبيات من الناحية الوصفية للحياة ، فأما الناحية الفنية فيها ، فأنت ترى أن قول الشاعر - لم يدر طعم العيش - في البيت الأول مما لا معنى له ولا طعم في مثل هذا المقام ، فالمعبدُ أن يقال هذا في لذة العيش أو ما ينافيها ، لا فيما يتبغى له من أدب ، أو بُكره فيه من شطط وازورار . وليس من جديد يُستفاد فيما تحمله أبياتُ صبرى من صفوة الشباب في غروره وقوته وحال المشيب في انتاده وضعفه ، قال العتي :

قالت: عهدتك مجنوناً، فقلتُ لها: إن الشبابَ جُنُونٌ برؤهُ الكِبَرُ
وقال بهاء الدين العاملي :

قَوْلَكَ وَهَتْ عِنْدَ وَقْتِ المشيبِ وما كان من دأبها أن رَمَى
وبإيلاتِ نَفْسِكَ لما كُهِرت فلا هيَ أنتَ ، ولا أنتَ هي
وإنْ ذُكِرَتْ شَهَوَاتُ النُفوسِ فما تَهْتَمِي غَيْرَ أنْ تَهْتَمِي
وانظر ما يقول أبو العلاء :

سَقِيًّا لَا يَامُ الشَّبَا بـ، وما حَمَرَتْ مَطِيئَتِيَا
أَيَّامَ آمَلُ أنْ أَمْسَ مَرَقَدَيْنِ - براحتِيَا
فَالْآنَ تَعْجَزُ هَمِّي عَمَّا يُنَالُ بِالْخَطَوَتِيَا

جهنم - وأين مقام ؟

يَا رَبِّ ! أَيْنَ تُرَى مُقَامُ جَهَنَّمَ للظالمينَ غداً ، وللأشرارِ ؟
لَمْ يُبْقِ عَفْوُكَ في السَّمَاوَاتِ الْعُلَى والأرضِ ، شِبْرًا خَالِيًا لِلنَّارِ
يَا رَبِّ ! أَهْلِي لِمُضَلَّكَ وَاكْفَى شَطَطَ الْعُقُولِ وَفِتْنَةَ الْأَفْكَارِ

ومرّ الوجود يشفّ عنك لكي ترى غضب اللطيف ورحمة الجبار
يا عالم الأمرار احسبي محنة علمي بأنك عالم الأمرار
أخلق برحمتك التي تسع الورى ألا تضيق بأعظم الأوزار

في البيتين الأول والثاني من هذه القطعة التي رفعها صبري إلى الله في معرض
للثقة وحسن الظن ما لا ينتظم في سلك الأدب الديني ، ولا يلائم النظام
الشرعي الذي ينبغي لكل مؤمن أن يتقيد به ويرعاه - يرى الشاعر أن لا مكان
لجهنم تقام فيه ، بل هو قد اطلع فلم يجد شبراً واحداً يتسع حتى لموقد واحد
صغير من مواقد هذه النار - إن هذا من شاعرنا لكثير ، وما هو من الثقة وحسن
الظن بسبيل ، إنا لنؤمن معه بسعة عفو الله ورحمته ، ونعلم
أنه يؤمن معنا بأن (منطقة جهنم) قائمة بأقطارها الواسعة ، وحدودها المترامية ،
لا ينقصها ذلك العفو شيئاً ، ولا تطوى هذه الرحمة منها جانباً أو بعض جانب ، ذلك
أن من الذنوب ذنوباً لا يعفو الله عنها ، ولا يرحم جناتها - يؤمن شاعرنا الكريم
بهذا إيماناً صادقاً ، فإياه يأخذ هذه الناحية ، وماله وهذا المسلك الوعر ؟ لقد
أكثر الشعراء قبله من ذكر رحمة الله وعفوه ، فما بلغ أحد منهم حيث يقول
أبرنواس :

تَكْتَفِرُ مَا اسْتَطَعْتَ مِنْ اِخْطَايَا فَانْكَ بِالْبَغِ رَبّاً غَفُورَا
مَتَبَصَّرُ إِنْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ عَفْوَا وَتَلْقَى سَيِّدَا مُلِكَا كَبِيرَا
تَقْضُ نَدَامَةَ كَفَيْتِكَ مِمَّا تَوَكَّتْ غَافَةً النَّارُ السَّرُورَا
هذا ولا ريب أقرب إلى حسن الأدب وسلامة العقيدة من قول صبري ،
ولأبي نواس في هذا الباب شعر كثير منه قوله :

يا كبير الذنوب عفوُ الله و من ذنبك أكبر

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم

ومما ينسب إلى عبيد ميمان العكلى :

يارب قد حلفت الأعداء واجتهدوا أيامهم نني من ساكني النار

أيمهلون على صباه ؟ ويحهم ما ظننتهم بعظيم العفو غفّار ؟
 ولعبد الرحمن بن صماد الدين الشامي :
 إن قيل أيُّ سفينة تجرى بلا ماء وليس لأهلها من زاد ؟
 قلّ رحمة الرحمن منّ أنا تحبّه تسع العباد فمن هو ابن صماد ؟
 وانظر أدب المعري وحكمته إذ يقول :
 نغشى جهنم دمعاً من تائب فتبوح وهي شديدة الايقاد
 يذهب صبرى مذهب المتصوفة في قوله :

ومرّ الوجود يشفّ عنك لكي أرى غضب اللطيف ، ورحمة الجبار
 فهو يريد أن يرى الله ، ولكن لغير ما يريدون هم ، القوم يطلبون المشاهدة
 لذاتها ، أما شاعرنا فيريدها ليشهد نوعاً خاصاً من الجمال ، وحالة معينها من العظم
 والجلال ، هو يريد أن يرى الغضب قائماً في اللطف ، والرحمة ماثلة في الجبروت ، وإذ
 كنا في مقام النصوص فلا مناص لنا من القول أن أدب القوم ينكر هذه العلة
 ويسمى معاملتها ، ثم إن هذا الذي يريده الشاعر هو من شأن الصفات
 الإلهية وآثارها الشائعة في هذا الكون . أما الذات وشهودها فشان آخر ومطل
 مستقل . ومن الاضطراب الظاهر في البيت قول الشاعر — ومر الوجود
 يشفّ عنك — فالعقل والعلم اللّهي على اتفاق في أن هذا الوجود بنوعيه
 من كثيف أو لطيف لا يقوى على أن يحجب الله جلّ شأنه ، بل هو كما قال العارفون
 مرآة قدرته ، ومظهر صفاته ، ولعل ورود ذكر الحجب في أقوال الذين طلبوا
 المشاهدة من عشاق الذات العلية هو الذي جرّ شاعرنا إلى هذا الاضطراب ،
 ولو علم — رحمه الله — أن القوم لم يمتنعوا بهذه الحجب سوى ما يكون على القلوب من
 أغشية أو أكنة لاستقام له الأمر ونجا من هذه لسقطة ، وما أراه في قوله —
 غضب اللطيف ورحمة الجبار — بعيد من قول صاحب البردة :

ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا (الكريم) تحلّى باسم (منتقم)
 فأما قوله :

يا عالم الأسرار احسب محنة عمى بأنك عالم الأسرار

فشيبة بقول ابن عمّار في المعتضد :

قنعت بما عندي من النعم التي يفسرها قولي : قنعت بما عندي !
عرف صبري أدب الثقة بالله وحدها بعد الذي كان من شطط وفتنة ، فقال في ختام كلمته :

أخلق برحمتك التي تسع الوري ألا تضيق بأعظم الأوزار

جربة عبي في بعض شعره

يقول صبري من قطعة في الرثاء :

ألا يا نجار مصر هل فيكم امرؤ يبيع على صرعى الموم عزاء ؟
يقال بآءه الشيء ، وبآءه له ومنه ، فأما يبيع عليه فليس من لغة العرب ، وإنما يقال باع عليه القاضى إذا باع على كره منه ، فهو خطأ من شاعر ، وبيع الصبر أو نحوه ليس من المخترعات الفنية ، فقد أكثر الأتولون من عرض هذه البضاعة وطلوها ، كما أكثروا من ذكر البيع والهبة والاعارة ونحو ذلك ، قال عبد المحسن الصولي :

هلموا اسألوا عن سلوة يباع واستغبروا عن كرى يكثرى
هل الناس مثلى ؟ وإلا فما أشد القلوب ، وما أصبر
ومن المشهور قول بعضهم :

ألا موت يباع فأشترى فهذا العيش ما لا خير فيه
وقال البحتري :

وما سرتنى أن قلبي أعير عزاء النفوس وسلوانها
ولم تني :

وهبت السلوة لمن لامنى وبيت من الشوق في شاغل
وقال الشريف الرضى :

وخذت المؤم من جفوني فاني قد خلعت الكرى على العفاق

وقال النهامي :

خليلى هل من رقدة أستعيرها ؟ لعلى بأحلام الكرى أستعيرها
وللمردل بن شريك البربوعى :
وكتبت أعيروا الدمع قبلك من بكى
ولصق الدين الحلى :

واقترضنا منها الدموع ، فقالت :
ولعباس بن الأحنف :

يا أبها الرجل المذبذب نفسه أقصر فارت شفاك الإقصار
نزف البكاء دموع عينك فاستعري عيناً لغيرك دمعها مدار
من ذا بعيرك عيسه تبكى بها أرايت عيناً للبكاء نمار ؟

ومن المفايضة في صورة البيع قول صاحب الكبد المقروحة :

ولى كبد مقروحة ، من يبيعنى بها كبدأ ليست بذات فروح ؟
أباها على الناس ، ما يشترونها ومن يشتري ذا هلة بصحيح ؟
وقال ابن خازن الكاتب :

وأنى خيالكم ، فاستعارت مقلتي من أعين الرقباء فمضت مودع
وأغلنهم فطنوا ، فكلمة قائل :
قال صبرى بعد البيت المتقدم :

إذا دلتى منكم على مثله فقى خلت على ما يشاء جزاء

يريد من يبيع العزاة فلا معنى لقوله على مثله ، ولا ندرى لم يقصر جزاء من
يدله على ما يكلم ؟ لعله استبقى سواء مما يملك ليكون ثمناً للعزاة يؤديه الى التاجر
(. . .) قال :

يخالهم الرأى سكارى من الأمى فببكي عليهم رحمة ووفاء

وقال الله تعالى (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)
ولستفنى :

عَلِيلُ الْجِسْمِ ، مُتَمَتِّعُ الْقِيَامِ - شَدِيدُ السَّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمَدَامِ
وَلَهُ :

أَفَيْتَا أَثْمَارُ الْهَمِّ بَعَثْنِي الْخُرَا وَسَكْرِي مِنَ الْأَيَّامِ جَنَّبَنِي السَّكْرَا
وَلِبَعْضِهِمْ : (سَكَرَانُ مِنْ خمر الفراق معذب) . وقال مهيأ الذي يلي :
لَا سَكْرَةَ الْبُلُوِي بِبَابِلَ بَعْدَكُمْ تَصْحَو ، وَلَا لَيْلُ الْبَلَابِلِ يُصْبِحُ
قَالَ صَبْرِي :

لَوْ أَنَّ قُلُوبَ النَّاسِ طَوْعُ إِرَادَتِي قَلَبْتُ الْأَمْسَ فِي بَعْضِهِنَّ (هُنَاء)
وَلَوْ طَاوَعَتْنِي كُلُّ عَيْنٍ قَرِيجَةً لَمَّا ذَابَ بَعْضُ الشَّاكِلِينَ مُبَكَّاءَ
نَدَعَ قَوْلَهُ (هُنَاء) فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مَعْلُوقَةً وَنَضَعَ جَابِياً قَوْلَهُ : طَوْعُ إِرَادَتِي ،
وَطَاوَعَتْنِي فِي هَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي بَعْدَهُ ، وَنَظَرَ إِلَى الْمَعْنَى مِنْ حَيْثُ هُوَ ، فَالشَّاعِرُ
يُرِيدُ فِي الْبَيْتَيْنِ أَنْ يَكُونَ رَحِيماً بِالنَّاسِ وَيُفَرِّغَ الصَّبْرَ عَلَى دَوَى الْفُلُوبِ الْجَرِيحَةِ ، وَيَمْسِكُ
الْمَدَمْعَ أَنْ يَسِيلَ مِنْ عَيْنِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ يَمِيلُ مِنْ مَرَادِهِ مَأْخُوضاً بِقَوْلِهِ لَا نَعْلَمُ مَا هِيَ ،
فَإِذَا هُوَ يُخَصِّرُ بِهِذِهِ الرَّحْمَةَ بَعْضاً مِنَ النَّاسِ ، وَإِذَا هُوَ يَصْغُرُ وَيَتَضَاعَلُ فَيَسُدُّكَ
حَازِراً لَا تَدْرِي كَيْفَ نَجْمَعُ شَطْرِيهِ ، وَتَوَلَّفَ بَيْنَ رَأْيَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَكُونُ بَعْضُ النَّاسِ
أَوَّلَى بِالرَّحْمَةِ مِنْ بَعْضٍ وَالْمَصَابِ وَاحِدٌ ، وَبَاعَثَ الرَّحْمَةَ فِي نَفْسِكَ هُوَ مَا تَجِدُ مِنَ أَلَمِ
الْمَصَابِينِ وَتَحْسَبُ مِنْ عَذَابِهِمْ ؟ وَمَا كَانَ لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَصِيبَ بَعْضَ النَّاسِ بِرَحْمَتِهِ
وَيَصْرِفَهُاعَنِ السَّكْرَةِ مِنْهُمْ أَنْ يَفْرَحَ إِلَى أَنْ تَكُونَ لَهُ الْوَلَايَةُ عَلَى كُلِّ الْفُلُوبِ وَالْعَبُودِ
كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الْبَيْتَيْنِ ، وَلَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ يَسْتَقِيمُ لَهُ - وَهَذَا شَأْنُهُ - لَوْ أَنَّهُ طَلَبَ أَوْ
تَمَى أَنْ يَكُونَ الصَّبْرَ فِي يَدِهِ فَيَسْكُبُهُ بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى قُلُوبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ صَرَعَى
الْأَحْرَانِ وَحَرَحَى الْهَمُومِ ، وَلَيْسَ هَذَا ثُمَّ يَنْتَهِي الْأَمْرُ ، فَقَدْ نَسِيَ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ ،
وَنَجَرَّدَ فِي هَدْيِ الْبَيْتَيْنِ عَنْ شَاعَرِيَّتِهِ ، بَلْ هُوَ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ وَجَرَى عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْتَهْلُ
كَلِمَتَهُ يَسْأَلُ التَّجَارِعَ بَائِعَ الصَّبْرِ ، وَيَطْلُبُ أَنْ يَدْلُوهُ عَلَيْهِ ! أَيْ صَبْرَ هَذَا الَّذِي يَفْشِدُهُ
صَبْرِي الشَّاعِرِ الْعَظِيمِ ، وَإِذَا كَانَ الصَّبْرُ لَا يُؤْخَذُ مِنْ فَمِ الشَّاعِرِ وَيَرْتَشِفُ مِنْ بَيْنِ
شَفَتَيْهِ فَمَنْ يَأْخُذُ إِذَا وَابَسَ يَوْجَدُ ؟ وَلَمْ لَا تَكُونَ قُلُوبُ النَّاسِ وَعِيُونُهُمْ وَكُلُّ
جَوَارِحِهِمْ وَقَوَائِمِ حَيْثُ يَحْبُ ، وَكَيْفَ يَشَاءُ ؟ نُرِيدُ التَّلَطُّفَ ، وَيَأْبَى لِسَانُ النُّقْدِ إِلَّا
أَنْ يَقُولَ « بِلَادَةٌ » - وَرَحِمَ اللَّهُ صَبْرِي ، وَمَا أَبْعَدَهُ فِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ عَنْ نَفْسِهِ . قَالَ
مِنْ قِطْعَةٍ أُخْرَى غَرَامِيَّةٍ :

أُبَشِّكِ مَآبِي ، فَانْ تَرْحَمِي رَحِمْتَ أَنَا لَوْعَةً مَاتَ حُبِّيَا
وَأَشْكُو النَّوَى ، مَا أَمْرُ النَّوَى عَلَى هَائِمٍ إِنْ دَعَا الشَّوْقُ لِيَّيْ
وَأَخْشَى عَلَيْكَ هُجُوبَةَ النَّسِيمِ وَإِنْ هُوَ مِنْ جَانِبِ الرُّوضِ هَبَّ
وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ مُبْرَهَةٍ مِنْ الْعَمَرِ لَمْ تَلْقَى فَبِكَ صَبَّهَا
تَعَالَى مُجِدِّدَ زَمَانٍ (الْمُنَاءِ) وَنَهَبَ لِيَالِيَهُ الْعُرَى نَهَبَهَا
تَعَالَى أَذَقَ بِكَ طَعْمَ السَّلَامِ وَحَسْبِي وَحَسْبُكَ مَا كَانَ حَرْبًا
فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ رَجُلٌ مَاتَ ، وَشَأْنُ مَنْ مَاتَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ شَرَفُ الدِّينِ
ابن عبد العزيز الانصاري :

ذُبْتُ شَوْقًا ، فَمَا لَجُوفِي قَرَبًا مَتُّ عَشَقًا ، فَيَحْنُطُونِي بِقُبُلَةٍ
أَقُولُ الْمَجْدَ ، إِنْ لَا أَعْرِفُ مَا هَذَا الْمَوْتُ الَّذِي يَكْثُرُ الشُّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِهِ
وَادَّعَائِهِ ، فَمَبْرَى يَمُوتُ وَيُبْعَثُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَالتَّنْزِي يَمُوتُ مِثْلَهُ وَيُبْعَثُ فِي
بَيْتِهِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

فَلَمْ أَرَ بَدْرًا ضَاحِكًا قَبْلَ وَجْهِهَا وَلَمْ تَوَ قَبْلِي مِيتَةً يَسْكُتُ
وَالْأَبْيُورْدِي يَمُوتُ مَرَارًا وَيُبْعَثُ مَرَارًا فَمَا يَقُولُ :

وَمِنْ بَيِّنَاتِ الشَّوْقِ إِنْ عَلِيَ النَّوَى أَمُوتُ لَذِكْرَاهَا مَرَارًا وَابْتِثًا
أَمَّا صَاحِبُنَا الْبَهَاءُ زَهِيرُ رَحْمَةِ اللَّهِ فَيَقُولُ :

أَنَا الَّذِي مَتُّ حَقًّا تَعِيشُ أَنْتَ وَتَبْسُقِي

أَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ مَعْنَى الْمَوْتُ وَأَثَرَهُ قَائِمِينَ فِي صُورَةٍ أُخْرَى مِنَ الْحَيَاةِ الْمَرِيضَةِ
أَوْ الْمَعْطَلَةِ إِلَى حَدٍّ ، وَلَسْكَنِي لَا أَحَبُّ أَنْ يَشِيعَ هَذَا الصَّدَا الْأَكْبَالُ فِي الشُّعْرَاءِ وَأَنْ
يَكُونَ كَأَمْرِ لَا بَدَّ مِنْهُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ مِنْ مَوَاطِنِ الْعَنْفِ الْوَصْفِ فِي الْحَالَاتِ الْحُبِّ
أَوْ مَا يَشَابِهُهُ ، وَلَقَدْ اسْتَلْذَ جَرِيرُ هَذِهِ النِّعْمَةِ — أَوْ سَخَّرَ بِهَا وَهُوَ أَقْرَبُ — فَقَالَ :

كَادَ الْهَوَى يَوْمَ سُلْهَانِي يَقْتُلَنِي وَكَادَ يَقْتُلَنِي يَوْمًا بِنِعْمَانِ
وَكَادَ يَقْتُلَنِي يَوْمًا بِذِي خَشْبِ وَكَادَ يَقْتُلَنِي يَوْمًا بِسُلْهَانِ :

ذَكَرُوا عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَمِعَ جَرِيرًا يَنْشُدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَقَالَ : هَذَا
رَجُلٌ مَاتَ مِنَ الْمَوْتُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فَلَنْ يَمُوتَ أَبَدًا ، وَبَعْدَ ، فَلَيْسَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي

من أبيات صبرى سوى مرارة النوى وتلبية الشوق إذا دعا ، وهل ترك الأوائل
من هذا شيئاً لقاتل ١ لقد قدمنا من قبل ألواناً كثيرة من هذه المرارة ، وهذا
مثال مما قيل في هذه التلبية وهو حسيك - دعاني الهوى فيه فلبَّيت طائفاً -
يقول صبرى :

وأخشى عليك هبوبَ النسيم وإنْ هو من جانب الروضِ هباً
إمّا أن تكون هذه الخشية التي تأخذ شاعرنا خشيةً مطلقةً باعثها الحنان ورقة
القلب فهي إذاً من النوع الذي يُستفاد من قول حطّان بن المعلى :
وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريحُ على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض
وإما أن تكون حالاً من الغيرة التي يولع بها المحبُّ ، فهي لا تعدو حال ابن
هاني في قوله :

أغارُ عليه أن يجاذبه العُصبا فضولُ جرودٍ ، أو ذُبُولُ غلالٍ
ويقول ابن سهل الأمرائيلي في المعنى :

وجهُ أدقَّ من النسيم ، يُغيّرُني مرّةً النسيم بحسنه وهُجُوبُهُ
وحلّ كلا الوجهين فلا جديد في البيت ، ولك أن تضم إلى هذا القديم قول الشاعر :
حطراتُ النسيم تبحرُ خديّ ، ولتسُ الحُريرُ يَدِي بمانّة ٢
وفي القطعة ما أخذ آخر تصرفنا المجلة عنها ، قال صبرى :

يا وامنّ البرق كم نبتت من شجنٍ في أضلعٍ ذهلت عن دائها حيناً
فلما في مُقتلٍ ، والنارُ في مُهيجٍ قد حار بينهما أمرُ المحبِّينا
لولا تذكرُ أيام لنا سفت ما بات يبكي دمّاً في الحى باكِينا
يا نسمة ضمّخت أذيالها سحراً أزهارُ أندلس هُجِّي بوادينا
ذلك شعرٌ هرم ، عليه وسمٌ من الأيام والقدم ، ولقد جُنّوا بالبرق فهو يضحك
لهذا الجنون ، ويعجب كيف صار حديث الأجيال وذكر القرون ، فأما الماء والنار
فبُسّمت الصلة ، ولا كان الجوار لقد قال الأولون - عفا الله عنهم - ما جاوز الحد ،
فما بال شاعرنا الكريم يأنى إلا أن يزيدنا ؟ قال الشريف الرضى :

الماء في ناظري ، والنار في كبدي إن شئت فاعترفي ، أو شئت فانتبسي
وقال :

إذا تلفت في أطلالها ابتدرت للعين والقلب مواءً ويراناً
وقال أبو الطريف شاعر المعتمد العباسي :

واحراباً من فراق قوم هم المصابيح والحصون
والأسد ، والمزن ، والرواسي والأمن ، والخفض ، والسكون
لم تنكر لنا الليالي حتى أوفتهم المنون
فكل نار لنا قلوب وكل ماء لنا عيون
وفي حدة ما قيل في هذا الباب كثرة قولهم في السمات وأذيالها ، ومن ذلك
قول ابن معنوق :

وتنفس النسر بن عبق من بأذيال الصبا عطر
وقول سيف الدين بن المحدث :

وصبا سرت من قاسيون ، فسكنت بهربها وصبا القواد البالي
خاضت مياة النيرين عشية فأنتك ، وهي بليلة الأذيال
قال صبري من قطعة أخرى :

يا مقرر الغزال قد صحّ عندي يوم أني اقتحمت منك عريضا
ينظر شاعرنا في هذا الى قول ابن منجك :

في ديم كناسة المُرَّان ما لقي من ناظريه أمان
أو الى قوله وهو أقرب :

أفديك ظيماً أرتجى لك وأنتي سطوات باسك
تخشى الأسود مهابة من أن تمر على كناسك

كلمة الختام

يتزع صبري في شعره الى طريقة الكتاب ، وهم على تصرفهم في مذاهب القول
وفنونه ، وتأنيهم في أحكام الصناعة ، فلما تسمو بهم منازلهم الى من فوقهم من

الشمراء المبرزين ، وهو يسير على قدمهم في نساول الصور والمعاني وتلويها بعد أن
يجاد سبكها ، وتحكم صياغتها ، وأن منها لَمَا يكون لغيرهم ، وألك لتجد في جديدهم من
حلاوة ولذة ما يكون كالرشوة لك على إجازة ما تناولوا من ذلك القديم ، وقد امتدح
شيوخ الأدب هؤلاء الكتاب وأثنوا عليهم ، فقبل انهم (دهافين الكلام) ومن
رؤسائهم ابراهيم بن العباس الصولي ، والحسن بن وهب ، ومحمد بن عبد الملك الزيات ،
وسعيد بن حميد ، من قول ابراهيم في لمضل بن سهل :

لسهل بن فضل يده تقاصر عنها المثل
فباطنها للنسبى وظاهرها للقبيل
ونائها للنسبى وسطونها للأجل

ولابن الزيات :

قام بقلبي وقعد لما نفي عني الجكد
يا صاحب القصر الذي أسهر عيني ، ورفد
واعطشى الى فمهم يمج خراً من بردا

وله :

ما أعجب الشيء رجوه فتحرمة قد كنت أحسب أني قد ملأت يدي
ذلك حيث ينزع صبري ، وانه على ما ترى من أمره لشاعر ، وانما أنت منه بين
بيتين أن شئت فقول البحتري :

ولربما عثر الجواد ، وشأوه متقدم ، ونبا الحسام الفاطم

واذا شئت فقول المعري :

والانس مثل نظام الشعر ، كم رجل يفدى بجيشه وكم بيت بديوانه

رحم الله صبري ، وغفر لنا وله ، وهذا ما رثيته به :

صدعت قوى الحدائق ، فلهاض كالكل وخف من الأعباء ما كنت تحمل
تحوّلت توادد المنازل ممحمة فطاب لك المراتد والمتحول
ديار تجافها الموم ، وجيرة كبتك ، لا جاف ، ولا متقل
تناهت خطوب الدهر عنك مهومة وولت على أعقابها ، وهي جمل

لك المعلق الرامى على الدهر، إن هوت
إذا احتلته دوالضعف، لم تغن عنه
ترى الأرض ما لا ذت به فى مفاضة
ثبير، فبستخذى بها كل طامح
سواء عليها مستبد وعاجز

أمنزل (اسماعيل) جؤلك طيب
تزيلك عصر للأطبيب كابر
هوى الفائد المقدم فيك، وغالنا
ضجيعك مجدم للمالك باذخ
يلود بك (التاج) المعقر ضارعا
أرى دولة الآداب زول صرحها
وروع من أبطالها كل بحرب
فنى البأس، لارت السلاح إذا اتقى
فما كان من صبح جميل حمدته
حتى مؤددي الغيب، فارتد مؤعدي
فأصبح (ذوالناجين) قد تاب رأيه
كبا الجند بالواشى الخيب سعيه
وما كان إلا أن ضننت بنسى
لش بر أعلام البلاغة قائلا
من القوم، سادوا بالروائع جولا
إذا القول لم ينصره خلق مهذب
إذا ما التمسنا الصبر، نرجو ثوابه

ووايك مأمون، وجارك مخلص
وصيفك جبل للنوايح أمثل
لدى الكرم ما جبر السلاح المقل
وأنت لملك (الضاد) منوى ومنزل
ويهو حواليك (السرير) المغطى
وبانت صياصياها العلى تهيل
وطاح المرجى للحفاظ المؤمل
ولا هو بالوفى، إذا تاب مفضل
على الدهر إلا صنعه هو أجل
واقصر عن ذو التميم المضلل
وأصبحت ما فى جانبي متعلل
وطاح بمزجي الحديث المهمل
كما ضن قبل بالدروح (السموال)
فأبلغ مما قال ما كان يفعل
تسارها منهم صنائع جؤل
فلاتك من أنصاره حين يخذل
أبت أنس منا مجازيع ثكل

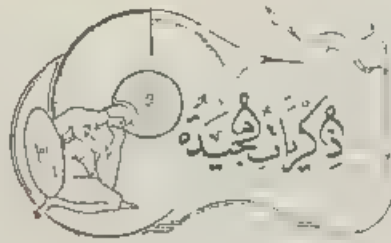
هَوَى السَّابِجُ الضَّافِي الْجُنَاحَيْنِ ، وَارْعَوَى
أَقُولُ (لَا إِسْمَاعِيلَ) إِذْ خَفَّ رَكْبُهُ
عَلَيْكَ سَلَامُ الْفَاضِلِينَ مُبَارَكًا
مَضَى الشَّمْرُ يَهْوَى فِي رَحَالِكَ ، وَانْطَوَى
وَبِكَ إِذْ تَفَتَّنَ فِي مَعْجَزَاتِهِ
كَأَنَّ النَّخَاعَ الرِّقَ فَيَنْفُضُ شُعَاعَهُ

ذَوَى الرُّوضِ ، حَتَّى مَا يُحْيِيهِ نَاضِرُ
إِذَا هَاجَهُ يَرْبُّ مِنَ الطَّيْرِ نَاعِبُ
يُبَاشِدُ أَنْفَاسَ الصَّبَا ، يَسْتَزِيرُهَا
إِذَا مَا دَنَتْ مِنْ جَانِبَيْهِ ، تَسْكَبُ

سَكَتٌ ، فَمَا يَزْهَى الْبَلَابِلُ بِالضُّحَى
أَصَوْتُكَ حَادِي الدَّهْرِ ، إِنَّ شَفْعَهُ الْوَنَى
وَلَنْ تَنْقُضَ الْأَجْيَالُ مَا أَنْتَ مَوْرُثُ
يَزِيدُ وَيُؤْنِي فَضْلَهُ كُلُّ مُتَغَفِّرٍ
لَجِيلِكَ فِيهَا نِعْمَةٌ لَمْ يَجِدْ بِهَا
تَظَلُّ إِذَا اسْتَسْقَتْ أَسَاكِيْبَ جُودِهِ
إِذَا مَا ذَكَرْنَا الْأَوَّلِينَ لَوَاجِبِ

أحمد محرم





الفردوسي الشاعر الفارسي

إن الاحتفال بمرور ألف سنة على حياة الفردوسي شاعر الفرس الشهير، وثُلُف (مأجمة الشاهنامه) في هذه الأيام قد طبق الحافقين مقام الناس وقعدوا لتكريم رجل في الشرق من نواحي الشعراء وحاء الاساتذة والذكائفة من اطراف أميركة الشمالية إلى بلاد إيران لحضور المهرجان الذي تقمه طهران احتفاءً بمولد كبير شعرائها. ولشاهنامه هي المأجمة البديعة التي نمت شبه بالياذة وميروس دستوراً للادب الفارسي وقد عى الدكتور محمد آغا أوغلو أستاذ الفن الاسلامي في جامعة مشيقان الاميركية ومدير القسم الشرقي في متحف القنون الجميلة في مدينة ديترويت بهذا الشاعر وتعرفه للغرب بما نشره من المقالات في الصحف الاميركية حرائد ومجلات وهو صديق الدكتور النظامي وطنيدا وصديقا لطفي السعدي رئيس معاينة الامراض الداخلية في جامعة هارو (ديترويت) وكاتب البحوث المقيمة في مجلات أميركة عن الطب العربي وفنونه واعلامه فرافقه الى بلادنا وافترق بفتاة مهذبة فان سكنت الصحف عنه فقد نطق فصله بأدابه. . . وإن نهلنا نحن ذكر علمائنا أحياء وأمواتاً فنشكو أمرنا إلى الله الذي ياهمنا معرفة قدر الرجال الذين يحب الاحتفال بهم وهذه كلمتي في الفردوسي.

توطئة

اتصل العرب بالفرس من زمن قديم ووقفوا على آدابهم واقتبسوا من آثار أفكارهم وبنات فلامهم. فالفرس أمة قديمة اشتهرت بآثارها وشعوبها وآداب لغاتها كما تدل العدييات المكتشفة والتواريخ المقوشة على الصخور وفي بطون الاوراق والآجر، من ذلك كتاب كليلقودمة الذي نقله لنا ابن المقفع من الفارسية المعروفة بالبهلوية وهو مشهور ومعروف بأدب القصة وحسن المعرى واجادة السباحة.

ونبغ من الفرس أطيبه مثل ابن سيناء ، ونحاة مثل سيديويه ، وشعراء مثل بشار بن برد وبديع الزمان الهمذاني ، ولغويون مثل الكسائي والقراء وأبي عبيدة ، وكتّاب مثل ابن قتيبة ، ومؤرخون كالبلاذري والدينوري والنعماني ، ومترسلون كالخوارزمي ، وجغرافيون كالاصطخري وابن خردادويه ، وفلاسفة كالفارابي والغزالي وإخوان الصفا وفقهاء مثل أبي حنيفة النعمان ، ودواة مثل حماد ، وكلهم كانوا من رجال النهضة ولهم مؤلفات وكتب هي مرجع الطلاب ومنتجع الأدباء ول بعضهم آثار أقلام بلغتهم الفارسية مما لا يحل التفصيله ولطالما افتبس شعراؤنا من المعاني الفارسية ونحسدى كتابها ومؤلفونا أساليبهم وتقالوا أفكارهم واقتضروا بنتائج عة ولهم .

نشأة الفردوسي وسألهنارمانه

كان العصر الذهبي للأدب الفارسية بين القرنين العاشر والحادي عشر الميلاد فزهرت العلوم والفنون ولا سيما الشعر فنبغ فيه كثير من الشعراء والكتّاب والعلماء وبديهم الشاعر العبقرى (الفردوسي) الذي أفقت شهرته وداع صيته وتساقل الناس آثار أقلامه وبنات أفكاره .

(الفردوسي) هو نصير الدين الطومى نسبة الى مدينة (طوس) الفارسية التي نجبته فولد فيها سنة ٩١٦ م (٣٠٤ هـ) واشتهر بمبقرته وجودة قريحته وقوة بادرته في النظم فمال منزلة عظيمة في عيون القوم وأقبلوا على منظوماته ولا سيما (الشاهنامه) الملحمة الطويلة التي صرف ثلاثين سنة في تأليفها تضمها تاريخ ملوك ايران منذ أول عهدهم الى زمن خسرو ابرويز واسترسل فيها الى وصف أساطيرهم وخرافاتهم وحيالاتهم مما يتعلق بأخلاقهم وعاداتهم حتى أجاد ما شامت بلاغته في تصوير أصول الدول وشؤونهم والشعب ومراياه ومرد الحوادث أجل سرد ببلاغة ورشاقة حتى كانت ملحمة هذه ستين ألف بيت من الشعر الفارسي المتين فكانت أباع ما نظم بالفارسية بل جاءت حداً فاصلاً بين الشعر الفارسي الصرف والشعر الفارسي الملمع بالكلام العربي الكثير الشائع إذ ذاك .

وقدمها الفردوسي الى السلطان محمود ابن سبكتسين الغزنوي فذهب المؤرخون في خبر هذه التقديمه الى رأيين :

الأول — أن السلطان الغزنوي كافأه بدينار عن كل بيت فنال ستين ألف دينار وذلك في أوائل القرن السادس للهجرة .

فراى الفردوسى الجائزة كبيرة وكان لم يسبق له عهد بمنحها قبل ذلك فاستولى على عقله خيال أدنى الى اختلاله فأت من أيلته لشدة ذهوله .

والثانى — أنه لما قدم ملحمته هذه للسلطان المذكور لم تنل هديته الخظوى لديه فأساء معاملته وفرّ الى بغداد وهجاء بقصيدة بليغة . فاضطر السلطان الى استرضائه باستئداده اليه نادماً على تسرع بعدم تكريمه واجازته ، فلم يلب الفردوسى طلبه بل مات غريباً عن وطنه وترك ابنة وحيدة له نزل فيها ضيق ذات اليد فأصبحت فقيرة يتيمة .

فلما نعى خبره الى الغزنوى وعرف ما هى عليه ابنته من الحاجة والفاقة أجازها على منظومة أبيها الألفية الذكر بمال كثير ، على أنها لكبر نفسها وابرها بوالدها أرجعت اليه المال آية التمتع بعد أبيها بمال حطر عليه في حياته ، فمجبب السلطان منها .

عنائة الغرب بالشاهنامه

ولما وقف الافرنج على آداب الفرس وعصرهم الذهبى في ذلك العهد كتبوا مؤلفات عنهم واعتنوا بدرس الشاهنامه وترجمتها والوقوف على أفسكارها مع أن جيران الفرس من العرب وغيرهم لم يحفلوا بها ولا احتفوا بها تلك الحفاوة الواجبة لما فيها من البديع والأفكار الشرقية والصور الخيالية وحسن الانسجام والرصف .

ومن اعتنى بها في القرن الماضى جول موهل المستشرق الالماني المتوفى سنة ١٨٧٦ م . فطبعها في باريس بغاية الضبط والدقة والترتيب في سبعة مجلدات ضخمة ونقلها الى المرنسية وذيّلها بالحواشى والتفاسير فجاءت آية في الابداع ووقف الأوربيون على أفسكار الفردوسى وحسن تصرفه بالمعاني وسرد الأخبار .

وجاء بعده المستشرق الروسى نيكولا خانيكوف المتوفى سنة ١٨٧٩ فكتب في آداب الفرس وشعراتهم وأفاض في وصف الفردوسى وشاهنامته هذه لأنه كان قنص دولته الروسية في تبريز فعرف الفارسية وتعمق في فهمها حتى كشف حقائق غامضة عن الشاهنامه .

وعقبه آخرون في هذه الدروس من المستشرقين مثل ادورد برون الانكليزى الشهير فوضع كتاباً انجليزياً في تاريخ آداب اللغة الفارسية ونوايج الشعر والشعر والكتاب

والأدباء على اختلاف طبقاتهم وفيه تفصيل وافر عنهم وعن شاعرهم الفردوسي وملحمته إلى غير ذلك مما لا محل للافاضة فيه بهذه اللمعة .

شاهنامه تركية

ولما كان الشيء بالشيء يُذكر نشير هنا إلى منظومة تركية لناظمها الفردوسي الطويل باسم شاهنامه في عهد السلطان بايزيد العناني بلغ عدد أبياتها المليون أو أكثر على قول أحدنا محمد بن محمد في الدائم شاهنامه الفردوسي فانتق منها ثمانين مجلداً فأهداها إلى السلطان المذكور فلم يجزه عليها شيء فعادر البلاد العثمانية إلى خراسان آسفاً على ما أصابه من الفشل .

هذا ما رأيت الآن ذكره باختصار من درس مطول لي في شعراء الفرس بكتبي والتذكرة المملوكية ، ذكرى لهذا الاحتفال والسلام

عيسى اسكندر معلوف

رحلة (لبنان)



أبولو والشعر

قرأت أخيراً في مجلتكم تحت هذا العنوان كلاماً ، أحسب أن لي الحق في التعليق عليه ، على الأقل باسم ما نرددونه كثيراً من تسامحك الأدبي ، وإسراح المجلة لما قد يوجه اليكم من النقد ، وعلى غير عادة أحتفظ بنسخة أخرى من هذه الكلمة أدنى لا أنق كثيراً عما يذيعونه عن تسامحك وترحيبكم بالنقد .

وأظنكم تعترفون معي أنكم في بعض ما كتبتم قد وصلتم إلى مستوى أعلى أسى وعجري معاً عن مجاراتكم فيه ، فإن أخلاق التي يطيب لكم الآن — فقط —

أن نذكرها ، نأبى على" المهبوط إلى مستوى الشتائم القذرة التى هى فى متناول كل الأفلام ، ولا يشرفكم ، كما أنه لا يشرف أى إنسان ، أنه يستطيع صف عشرات من هذه الشتائم بعضها بجانب البعض ، كما أنى أعتقد أنها ليست جزءاً من البرنامج الواسع الذى تسمى (أبولو) فى تحقيقه ، فهذا على ما يبدو أول درس فى برنامج جديد ، أو الدرس الثانى فقد كان لزميلكم « صالح جودت » فصل الاشتكار !

وأنا أستمع ببعض سماحتكم وترفعكم ، فأتسامح وأنرفع عن التعليق على هذه الشتائم ، وأبيح لكم ولمن تبيحون لهم صحيفتكم ، أن تناولوني بشتم جديد على حساب الأخلاق الفاضلة إذا عن" اسمكم ، حينما تصل المسألة إلى تبادل كلمات « الصفاة » ومثل سيد قطب ، والحاجة إلى عرفان الأدب الاجتماعى ، حينما تصل المسألة إلى تبادل مثل هذه الكلمات نخرج من الأدب والمجلات الأدبية إلى مجال آخر يتسع لهذه الألفاظ !

ويبقى إذن بعد هذا أمران قد يكونان « أنظف » من تلك القذارات وهما أن مجلة (أبولو) عرفتني للناس ، وأننى أظاھر بظھر المقصود المرحو الذى بهم الأدبه اراؤه ونقله .

فأولاً أريد يا سيدي أن تذكر ، وأن يذكر كذلك أولئك الذين يتبرعون بمعونتكم كلما ظهر اسم خصم أن أول قصيدة نشرت على « أبولو » لم أكن قد أرسلتها إليها ، ولكنها نقلتها عن « الأهرام » . وصحيفة الأهرام ، ولا شك ، توزع أعداداً لا تقل عما توزعه أبولو !

وأود أن تذكروا كذلك أنها لم تكن أول قصيدة بالأهرام ، كما أنه قد سبقها ما نُشر منذ عام ١٩٢٤ بابلأغ اليومى والأسبوعى وكوكب الشرق والوادی والمصور وسواها من الصحف التى لا يقل ما توزعه عن مجلة أبولو الواسعة الانتشار !

وأثقل عليكم بأن تتذكروا أنى لم أنشر فى أبولو الا ثلاث قصائد بعد ذلك ثم امتنعت عن النشر ، مع تكرار طلبكم لبعض المقطوعات ، وقد رأيت لأشياء خاصة لاحظتها فى جو « أبولو » ألا أنشر فيها شيئاً ، كما منعتنى هذه الأشياء نفسها أن أقبل الانضمام إلى جماعة أبولو — مع تكرار دعوتكم لى أيضاً — أظلمكم تمكرون ذلك بعد ما صرحتم أنتم به أمام بعض الاخوان ومنهم زميلنا عبدالعزيز عتيق .

وإذن فالفضل الذي نريدون أن نعرفوه لأبولو على ، آسف لأننى لا أستطيع أن
أشرف به .

بقى أننى أظاهر بمظهر المقصود المرجو الذى بهم الأدباء آراؤه ونقده وما أريد
أن أقص عليكم شيئاً من الخارج ، ولكننى أريد أن أذكركم بمدة حوادث وتصريحات
لكم شخصياً ، وأنا متنازل عنها إذا خطر لكم أن تصدروا عنها بلاغاً رسمياً
كالبلافات التى نشرتموها فى كلمتكم الأخيرة تقولون فيه « غير صحيح بالمرّة »
فهذه خطة لا تكلف أصحابها شيئاً !

أريد أن تذكروا أنكم رجوت فى إلحاح - أن أكتب دراسة لديوانكم (أطياف
الربيع) وأنكم أرسلتم لى الكتاب فى ثناء طبعه « مازمة - ملزمة » لدراسته ،
ولكننى لم أستطع أن أنهض بهذه المهمة .

وأن تذكروا كذلك أنكم طلبتم مثل هذا الطلب - فى تلخيص هذه المرة -
عند إعادة طبع ديوانكم الأول « أنداء الفجر » فاعتذرت لكم بأننى أفضل الكتابة
بعد ظهوره فى الصحف ، وإن كنت لم أستطع أن أنهض بهذه المهمة كذلك .

وأن تذكروا أنكم عرضتم على مرات أن أقوم بدراسة لمؤلفاتكم واكتب عنها
محاضرة كالتى ألقيتها عن العقاد ، وبعض هذا العرض كان مرات أمام زميلنا « فايد
العمرى » فى دار مجلة أبولو ، حتى لقد همت أخيراً أن ألبى هذه الرغبة الملحة
وأن أدرس آثاركم جميعاً وأخذت فعلاً فى هذه الدراسة على كثرة ما يصرفنى عنها .

وأن تذكروا أيضاً أنكم أشرتم الى أن أكتب دراسة عن « الألحان الضائعة »
لزميلكم الصغير فى لتطبع بالكتاب ، وأن هذه الإشارة كانت لزميلنا عبدالعزيز عتيق
وقد أبلغنى إياها ، وعبدالعزیز أصدق مى ومنك على أقل تقدير فى هذا الموضوع !
ولابد أنك تذكر يا دكتور حكاية الاعلان الذى كنت قد نشرته عن مجلتكم « أبولو »
فى الأهرام ، فاذا بى أجده فى مجلة « الامام » منشوراً بامضائى وتذكر اننى غضبت
لهذا التلاعب ، وقلت لك : إننى لست من عشاق الامضاءات التى يوقعون على كل
ما هبّ ودبّ لتنشر اصحابهم وتذكر ، ولا شك ، ما حاولت أن تسترضينى به من أنكم
تعتزون بمثل هذا التشجيع الكريم وتودون تكرار الكلمة ، وأن هذا هو الذى
جاءكم على إعادة نشرها بامضائى ، وبمكنتك أن تستعين بذكرة الزميل محمود حسن

اسماعيل « إذ الظاهر يا دكتور أن الصيف وحالة « أبولو » التي بسطتها لمعالى وزير المعارف تؤثر على ذاكرتك وأعصابك فى هذه الأيام .

وبعد هذا يا سيدى الدكتور فاني كنت أود لك . ألا يخونك قلبك فتهدى إلى مثل هذا المستوى ، وأن تظل ما لكأ لأعصابك ، منظاراً بما طالت تتظاهر من النسامح والبعء عن المهارات .

ومهما كان أثر كلمات « معركة النقد » وما خشيت أن تحدثه من تعويق لكم فى مطالبكم أمام معالى وزير المعارف - كما صرحتم لبعض الزملاء - فإنه لم يكن ذلك فى حسابى ولم أرم إليه ، ولم يكن يجعل بكم أن تفعلوا هذا الانفعال ، وأنا لا زلت أتعنى لكم هدوء الأعصاب وانتظام الميزانية لخير الأدب ، ومعونة وزارة المعارف والسلام عليكم ورحمة الله

سهر قطب

(لا يادون كيشوت^(١) نحن لن نحمج عن نشر أدبك البارع فهو فريد فى طرازه وقد ينفخ به سرفانس آخر ، وإن كنا نحمجكم طبعاً عن نشر ما هو أخص لأنه يهنا أن لا تُفسد عليك مظهر البطولة التي فننتك أنت وزميلك اسيد فايد (سانكو بانزا)

حقيقة نحن آثمون فى أن نسب اليك أيها البطل طبيعة انصفاقة ، فانما هي شجاعتك الباهرة فى قلب ما نطنه نحن حقائق ، لأن . نظرك الناقد يرى غير ما نرى وقلمك الجرى يؤمن بمذهبك الحكيم : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » . . . وما الحياة فى مذهبك الحكيم إلا نوع من الرذائل القديمة ، وما الصدق المؤلف فى فلسفتك الجديدة إلا هذر فى هذر ، ولا شك فى أنك مصيب فى كل هذا بدليل انتصارك الباهرة وآخرها معركة الطاحونة الشهيرة ولعلها ما جعلتك ترح فى الأوصاف المقيمة التي تزدان بها رسالتك المهدبة الأصيلة .

(١) تطلب سيرة دون كيشوت بالعربية من المطبعة السلفية بفارغ القبودية بالقاهرة .

إنَّ مجلة « الأسبوع » الغراء ميسورة وكذلك عدد « أبولو » الماضي فليراجعها القراء ليرَوْا إذا كَسَّا نَجَسِيماً عليك في شيء ، أو أنما بعد جُلِّ طويلاً وبعد تنبيه صريح لك دافعنا عن شرفنا فحسب إزاء تفننك المدهش في اختراع الاتهام . ولكن عذراً لغياوتنا ، إذْ كان يجب أن نقدر على أيِّ حال أن اتِّهامك لا مزية فيه ، وأنَّ مجرد تمازلك لاتهامنا بأخسَّ التَّهم هو تشريفٌ أكيدٌ لنا ! أَلستَ دون كيشوت العظيم ١ ؟

نحن لم نطلب منك أيها العزيز أن تكتب شيئاً مطلقاً عن أي مؤلف من مؤلفاتنا فنحن لم نحلم أبداً بمثل هذا الشرف من تنقذ أنفسنا ، ولكك أنت العظيم الذي تفضلتَ بعرض ذلك ، وألححتَ فيه تَكَرَّراً ، ونمَّقتَ لما أحاديثك ما شاء كرمك من تقاريظ كثيرة لدراع نديلة أنت أدري بها ، ولكننا لغياوتنا ومخافتنا لم نعرف كيف نفتنع بهذا الفضل ، كما لم نفتنع بتلك التقاريظ الكثيرة والدراسات التي تحت أيدينا نحن يدعون غروراً أنهم أفضلُ منك . . . كذلك لم نطلب منك أيها العزيز أن تكتب شيئاً عن « الألحان الضائعة » وقد خانتك ذاكرتك تماماً وفقاً لقانونك الأدبي الجديد ! لقد صدر هذا الديوان بعد أن كشفتَ عن شخصيتك النديلة في مجلة « الأسبوع » على أثر اعتقادك بأنَّ كلاماً من « الامام » و « أبولو » قد انتهى أمرها ، وكلُّ ما وقع منا أننا رجونا صديقنا الشاعر عبدالعزيز عتيق أن يوافق « الأهرام » بتصديرقنا للألحان الضائعة من باب التنويه بهذا الديوان الجديد قياماً بالواجب نحو زميل نابه . ولكن لا بدَّ أنما غير صادقين ما دمتَ أنت تقول ذلك أيها البطل !

نحن لا نمنَّ عليك يا دون كيشوت فإلنَّ ليس من خصالتنا ، ونحن نقرُّ بصراحة نك كعملك الشهير من أصحاب الفضل على الجميع وليس لأحدٍ فضلٌ عليك أبداً ! وصحيح أن مجلة « أبولو » نشرت قصيدة لك عن « الأهرام » وعُنيبتَ بالتنويه بها تنويهاً فنياً استأهل ننازلك لشكرنا بعد أن كان شعرك معقلاً في البيئات الأدبية ، ولكن من حُفك طبعاً إلقاء هذا الشكر فقروسيبتك تقضى بذلك الآن بعد أن انقضى الزمن الذي كنَّا نتوسط لك فيه بالخير عند رئيس تحرير « الأهرام » وهذه (أبولو) عرفت بأدباء يقال إنهم أفضلُ منك كثيراً ، ولكن هذا القول هو بلا شك هراء في هراء !

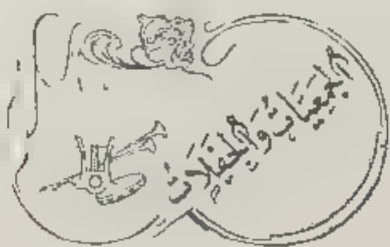
وأما عن ترشيحك في « جمعية أبولو » أيها العزيز فإلنَّ مركز أحد شعراء

الشباب فأمره اعتيادي لم نذكره لك إلا مرة ، وأكبر معناه تسامحاً واحتراماً لشق
البيئات الشعرية ولا نعرف له معنى بعد ذلك ، ومع هذا فتفسر دون كيشوت لا بد
أن يكون هو الأرجح والأصوب . . وإذا بُلِّغ دون كيشوت شيئاً بصفته محرراً
في جريدته محترمة كما يبلِّغ غيره (وجميع محرريها بحمد الله من أصدقائنا) وجب أن
نعتبر احترامه هو الأصل ، وأما الجريدة العظيمة فتابعة له كما يقضى بذلك المرسوم
الكيشوتي ولا بد أن يكون هو المقصود لذاته دائماً فهو ربّ الشأن أولاً وأخيراً !

وأما عن كلمتك في « الأهرام » عن مجلة « أبولو » فصحيح أننا قلنا إننا نعتز
بها مادامت من صديق ، وقلنا ذلك باخلاص أكيد وتقدير لمحتك الظاهرة لنا ،
وؤسفنا أننا كما نخدوعين في ذلك أو على الأقل برهما على أننا لسنا أهلاً لطار
صداقتك العالية وفلسفتك الأخلاقية العالية التي تجعلنا نرى العالم كالجمجمة المنخوبة
على رأى استاذك الحليل الذي تعمل لحسابه ضدنا . ولو أن لنا بعض النفوذ لاقتربنا
على وزارة المعارف التي أصبحت من رجليها الأفاضل أن تسند اليكم تدريس
مذهبكم العفري الجديد في « الأخلاق » في الجامعة فليس أقل من ذلك جديراً
بطلنا دون كيشوت !

وأما عن توجيهنا إلى صاحب المعالي وزير المعارف فلا شأن له بمحملات العبقريّة
ومعاركك الدموية ، فهما أصابنا منها فلا حرج علينا إذا قابلنا معاليه بمجروحين
مظلومين ، فمن نكون نحن بجانبك يا دون كيشوت ؟ ! ولكننا بحمد الله غير
مظلومين ، في شيء وقد تعفّفنا عن الكشف عن جراحاتك - جراحات البطولة طبعاً !

وبعد . فنق أيها العزيز أن كل من خبرك حبرة كافية بل كل عاقل لا يحمل لك
غير الشفقة وحب الخير ، ونرجو من عظمتك أن تقاوم فتعدّنا بين العقلاء وحينئذ
نحمل هذا الردّ آخر ما بيننا وبينك ، فحرام أن نقسو عليك ونشدّ ذلك أكثر من
اللازم أو أن نعمل القراء نصعصع بطولك ومغامراتك بينما يريد اجتذابهم إلى الشعر
والأدب الحى ، وإن كانت شخصية دون كيشوت ومعارك بلا شك أمراً خطيراً في
هذه الدنيا المقلوبة . وما نود أن تتدلى فتشرح حقائق هذه المعارك الوخيمة وعناصر
بطولتك نفسها لما نعتقه بالمادورات ونحوها ، ونيسيراً لشرّاح أدبك في المستقبل ،
وفي مقدمتهم الشاعر الناقد صالح حودت الذي خصصته بإشادتك قال لنا في الأدب
رسالة غير كل هذا ، والسلام - المحرر .



تكریم زكى مبارك

أشرفنا من قبل الى تكريم الدكتور زكى مبارك فى القاهرة تكريمًا باهرًا لا إصداره كتب (النثر الفنى فى القرن الرابع) الذى لا يُعدُّ كتب العام فحسب بل الكتاب الممتاز من طراره منذ أعوام وقد بُت الاسكندرية إلا أن تساهم فى الحياة النبوغ الأدبى فأقامت له (جاعة الأدب المصرى) حفلة شائقة فى مسرح نادى موظفى الحكومة مساء يوم السبت ٨ سبتمبر الماضى ، وانما قامت بهذا الواجب الذى اشترك فيه أكثر من شاعر لثلاثة اعتبارات : أولها أن مؤلف الكتاب أدبى مصرى ممتاز ، وثانيها أنه لم يفته فى كتابه نقد جانب هام من الأدب المصرى فى ذلك العصر ، وثالثها أنه عالج كذلك نقد الشعر والمقارنة بينه وبين النثر الفنى فاستأهل من أجل هذا حقواة الشعراء بفضله .

وقد كان طابعُ الحفلة الاخلاص الشديد والصدق الاكيد والاعجاب الصحيح ، وهى صفاتُ الخالصين من أصدقاء الأدب .

وكان أولُ المتكلمين فى هذه الحفلة الباهرة لأدب عى محمد البحر اوى سكرتير (جاعة الأدب المصرى) فأشار الى أن التكريم هو نوعٌ من النقد وأن المؤلف لا يُكرَّم إلا بعد أن يكون النقدُ الأدبى قد انتهى من تصنيفه والحُكم بوجوب تكريمه . ثم تكلم عن أدب زكى مبارك وشتمائل تصنيفه الجليل والمعبيته الحقة ، واقتطاع (جاعة الأدب المصرى) بليابة عن أدبه لاسكندرية بتظيم هذا الاحتفال .

والقى بعده الشاعر عثمان حلى قصيدةً عصماء جاء فيها :

ما على القائلين أحسنت عيبٌ لمجيدٍ ، والعيبُ عند ملامية
غير أن الحسود آلم قلباً من فؤاد الحسود رغم سقامية

الدكتور دكي مبارك وسط لجنة المحققين به من الادباء في الاسكندرية قبل انذار اللجنة



ما له لا يرسى الضيافة بطرفي أظلم الحق في دُجى إطلامة
دونه لو رأى الضيافة كتاباً تتجلى الجهود في أحكامه
هو ذخرك الأديب لو شاء ذخراً وهو يكتفى لو كان كل خطامة
كرّموا الناعمين في الشرق حتى يتجلى بانيه من هدّامة

ثم ألقى بهذه الأديب على حافظ من أعضاء الجماعة ومن رجال التعليم خطبة قيمة تكلم فيها عن حياة مؤلف (النثر الفنى) في الأزهر وفي الجامعة المصرية وفي جامعة باريس، إلى أن قال: «وقدّم إلى السوربون رسالة لنول الدكتوراه فناها بتقوئى إشهاد له بالنبوغ، وكانت رسالته الأولى من نوعها وهي كتاب (النثر الهى) الذى يحلّ الوصف عن حصر معانيه بل يقرىصر البيان عن تبليان محاسن مراميه... ذلك كتاب سلاح المؤلف سبع سنين فى تأليفه هى من أصر أيام حياته، وكلّ أمل أن بصوغ لعالم الأدب درّة ثمينة فى تاريخه فبذل جهد الجسارة ودأب على مواصلة العمل دون كلل أو ملل حتى وثّق إلى نوال ما كان يصبو إليه».

وتبعه الشاعر عبدالمعطي حجازى سكرتير لجنة الاحتفال فألقى قصيدة متممة طويلة.

ثم ألقى بهذه الشاعر محمد فصل اسماعيل قصيدة رائعة فى تقدير المحتفل به، ثم تمعنه الدكتور أبو شادى باستعراض شامل لمواد الكتاب ومزياه معرفاً بمكانته الأدبية الفذة.

ثم تكلم الأديب كليم أبو سيف سكرتير لجنة القاهرة الذى لم يتمكن سابقاً من حضور حفلة العاصمة بسبب مرضه، فكانت كلمته آية فى الوفاء لصديقه المحتفل به ونفاذاً إلى معاني دبه.

وأخيراً تكلم المؤلف الفاضل فشكر أديباء الاسكندرية وعدّه حفاوتهم الكريمة كما عدّه من قبل حفاوة أديباء القاهرة به مؤساة روحية له فى كفاحه الطويل لخدمة الأدب. ونوّه بفضلة الشعب المصرى الذى لا يفوته تقدير المحاصن العاملين إن عاجلاً أو آجلاً كما يدلّ تاريخ نهضته الوطنية. وما زاده غبطة أنه لا يعرف من الخطباء السكندريين سوى سكرتير الجماعة، فرابطة هذا الاحتفال إذن رابطة أدبية محضة عنوانها الاخاء الأدبى الخالص ولو على غير معرفة شخصية بحضرات الأديباء المحتفلين به. وقبل انتهاء الحفلة قدم سكرتيرها بالسيابة عن أديباء الاسكندرية إلى المحتفل به لوحة

فنية كتب فيها اسم المحتفل بالخط السكوفي الأديب محمد حمدي مدرس الرسم بمدرسة طاهر بك الأميرية بالإسكندرية ، كما قدم اليه الطبعة الفرنسية والطبعة العربية من كتابه مجلدة مجليداً فاحراً ، قائلا إن (جماعة الأدب المصري) لم يجدوا من قبل ولا أكرم منهما هدية لا ثقة بالاهداء اليه . وفي يوم الاحد ٩ سبتمبر 'عدا' الأديب اسماعيل برعي وليمة غداء شهية لأدباء العاصمة عند الشاطئ ، حيث استوحى الدكتور زكي مبارك ذكرياته الشعرية العزيرة في قصيدته « بعد فراق الشاطئ » المنشورة في ديوانه .

٥٣-٥٤



البشيشي الشاعر

فقدت أسرة (أبولو) في هذا الشهر (سبتمبر) عضواً من خيرة أعضائها الشباب ألا وهو الشاعر محمد أبو الفتح البشيشي صاحب قصيدة « في ليلة ... » (أبولو ، م ١ ، ص ٧٧٤) التي كانتا كان يرثي فيها نفسه المتطلعة الطموحة ويرثي معها حظ النبوغ في هذه الدنيا . وهذه النزعة الحزينة منعكسة كذلك في ترجمته لمرفقة عن شكسبير (أبولو ، م ١ ، ص ١٠٠٨) .

وقد كانت لوفاته رنة حزن عميق في (ندوة النقابة) ، ولا عجب ففضل المرء لا يقاس بسره ، وإن الميوع المسكر المقترب بالأحلاق الفاضلة والعكر الرزين لما يحسن فقدانه بالمرحوم عميق .

وفي مجلدي (أبولو) الماضيين نأجج مختلفة من شعر البشيشي تحلى فيها القوة والجرأة ، وهي كافية لأن تدحض ما يقوله جزافاً بعض شيوخ القاد من أن شعر الشباب فجٌّ وبعيدٌ كل البعد عن عناصر الإرضاء ، فالحقيقة أن ما يظهر لشعراء الشباب في هذه المجلة يتسم بالوضوح ، بل كثير منه يتبدى حيثما انتهى شعر فري من شعراء الشيوخ ، وهي حقيقة تعترف بها كل ناقد مستقل نزيه .

بعبارة عن التيارات العدائية الموجَّهة الى (جمعية أبولو) ومجلتها ، وهي تيارات
ما كان يجوز وجودها ، لولا الأنايئة التي منحني على جميع مظاهر الحياة في مصر
وتضحك العالم منا !

ولذلك تجرأ في الوقت الذي أعزني فيه آل الفقيد الكريم بالسببة عن « ندوة
الثقافة » فأشير عليهم بطبع مجموعة شعره نذكراً لهذا الأدب البائع الذي اختطفته
فسوة المنية اختطافاً قبل الأوان ولجئنا فيه ؟

محمد عبد القادر

(مرتبة ندوة الثقافة)



الشعر الفرنسي الحديث

في مقالة شائعة للأديب المافد دافيد جاشكوفين استرعى انتباهي ما ذكره
عن التوجُّه لقوى في الشعر الفرنسي الحديث الى استمداد النبع الشعري من
عناصر اللاعقلي (l'irrationnel) وتحويلها الى «دب» إنشائي . وقد يكون هذا الأدب
أحياناً مدسّساً في نشيد غنائي يختار الألفاظ الموسيقية ، ولكنه غالباً يتابع الأحيالة
الى تفاجيء الشاعر مدفوعة بقوة اللاشعور فيصورها بالالفاظ الشعرية التي توحىها
ارتجالاً في غير تعمُّد الاختيار ، وهكذا تأتي كحلم متوال حتى يبلغ غايته الطبيعية .
وهذا يفسر ما تحتويه هذه القصائد الجديدة المطبوعة من أحيالة الشهوة والموت
والنار ومحورها ، كما يُفسرها نظمها المعطري الحر الذي يجعل الشعر فنّاً طائفاً
لاصناعة مقيدة ؟

عبد القادر فرحات



ذكرى بلاكوود

في السادس عشر من شهر سبتمبر سنة ١٨٣٤ توفّي الأديب المافد ولما أثر
الايقومى الشهير وليم بلاكوود الذي اشتهر بحملاته على الشاعر لوجداني العظيم

ولم كينس في (مجلة بلا كروود) حتى أنه نُسبَ إلى تلك الجملات القاسية الأثر السبى البالغ على صحة كينس فعاجلته المنية في شبابه، وقد أشدَّ إلى ذلك شيلي في قصيدته «أدونيس» .

ولكن بلا كروود - برغم جريته هذه - كان كثير الصحافة في آرائه النقدية، وكان عظيم التشجيع للشعبيين من المؤلفين والشعراء، فكان يبشر لهم الكثير من التصايف والدواوين التي كان يعدّها شيوخ المقاد في لندرة فجأة لاستحقاق النشر ولا الالتفات إليها، والتي كان يبين هو محاسنها، بروحه الفنية الحرة. وبذلك خدم الحركة الأدبية في بريطانيا أعظم الخدمات في القرن التاسع عشر، فتموسيت إسهامه العظيمة إلى كينس بمجانب تلك الحسرات الباهرة التي أخرجت إلى عالم الأدب عشرات من الأدباء الموهوبين المغمورين. ومن أحل هذا كان قدوة صالحة ووجب على محبي الأدب الذين طالما زعموا بحسائنه تلك أن يحبوا الآن ذكره لمناسبة مرور قرن على وفاته.

أحمد محمد مظهر

❦❦❦❦❦❦

رسائل النقد

أخذ على كتاب «رسائل النقد» ما أخذ طفيفة لم تحسّ الصميم ولم يتعرض ناقدٌ لمادته: من ذلك أن ما ورد بالفصل الأول يخالف الوقائع. أقول: ولا إنني لم أمردها ردّ الحقائق ولكن سقنتها سياق الفصحة، وثاناً ذكر في مقدمة الكتاب أنها خيال في حقيقة، وثالثاً كيف تكون هذه الحوادث الطويلة حقيقية؟ فهل يمكن أن يذكرها أحد أصحابها؟ وهل يفهم بالبداهة عنها إلا أنها خيال؟ ورابعاً يفهم الأديب أن هناك جوهرًا وعرضاً فالعرض هو الصبغة القصصية الساذجة للحادثات والوقائع التافهة والتواريخ المتعلقة بالوقائع التافهة، والجوهر هو الحالة النفسية والعلمية التي كانت عليها المقاد في ذلك الوقت وفي شرح نشأته الأدبية. قد يحسب بعض الأدباء أن تاريخ مقابلة شكري والمقاد له خطره إذ يميّط عن العلاقة الأدبية بينهما. وليس للتاريخ ذلك الخطر. والأحدر بالنتائج الباحث الناقد هو «ن» ديوان شكري الأول طبع سنة ١٩٠٨ وديوان المقاد سنة ١٩١٦، فشكري هو السابق والمقاد متأخر خطاه

وبقائه . وأمام ما أخذ العقاد الكثيرة من شكرى التى أوردتها فى كتابى برى الساقد نفسه
حيال أمرين : الأول أن يسلم بسطو لعقاد عليه وهو الواقع ، والثانى أن يتسامح
ويتغاضى فيقول إنه تأثر به وانفعل بفننه وأفاد منه .

وأما أن يقول الساقد إن العقاد ليس بتلميذ شكرى ولم يسرق منه لأنه لم يعرفه
معرفة شخصية إلا بعد صدور ديوانه الأول فذائع مردود بداهة ، فإني أسلم بداهة
بأن العقاد لم يعرف شكرى فى السنة التى عيبتها بل عرفه فى سنة أخرى بل لم يعرفه
مطلقاً ولم تقع بينهما جفوة ... فهل هذا يدفع عن العقاد تهمة السطو ؟

وانه لو اوضح لكل أديب فنان أن الفصل الأول فى محض لم أرد به ذكر ماضى
العقاد الأحرف من حيث يعتمد عن مقصدي تنقصاً له وإفاداً ، وأما أوردته على
سبيل قصة فيها ندوة وهوادة عليه أردت بها تحليل نفسه والمآزى فاقصرت من
حياة العقاد على أقل قدر ، إن لم يكن حدث فى السنة التى عيبتها فقد حدث فى
غيرها ، وانسقت الى ذكر المآزى لارتباطها معاً ، وأطجى القارىء بأن ما ذكرته عن
المآزى قد أخذ من هم العقاد نفسه وبرهاني فى يدي وهو أن العقاد يشفع تنقصه
المآزى ونيله منه (وذلك فى محال سامية يقل اليها حديثها بعض صحابنا) بذكر
أمر لا يعرفها إلا هو والمآزى وحديثها : منها قول لعقاد عنه ما ذكرته فى
« رسائل النقد » ، ومنها ادعاؤه أن المآزى يأخذ حديث العقاد إذا تحدثا فيصوغه
مقالاً يقضيه به ، وأنت صديقاً لهما يبحث عن كل مقال يكتبه المآزى فيجد له
أصلاً فى الكتب الأجنبية وأنهم يسمونه من أجل ذلك « قلم المباحث المآزنية » ،
ونسب اليه مثالب أخرى لا تستصيب ذكرها . فأنا أخذت إذن من هم العقاد صفة
المآزى ، حتى كتب المآزى مقاله واعترف بفصل شكرى عليه واسأته إلى شكرى
وبدم عليها ، وأنه لخلق نبيل وهامة نفس سرية . وأما إنكار شكرى فصله على العقاد
فقد أراد به نبي سعاية الساعين بينها الذين اعتمدوا هذه النهضة لما رآب لهم آخر .
ومما بعض لحدّة الى وردت فى كتابى فكيف لا يصفح عنها كل من استوعب هذه
القصة وفطن إلى حرمان الأدب العصري من آثار شكرى بسبب تلك الحملات
الاثيمة ؟

رمزى مفتاح

عبد الرحمن شكرى

لا يستطيع الأدبُ كتمَّ إعجابه بالشاعر عبد الرحمن شكرى لمناسبة ما كتبه
فى الصحف متبرئاً من أى فضل له على زميليه لعقاد والمائى حتى ولا فضل « عريف
القرية المفعول » ناسباً لها وحدهما خلود الذكر والعلم لسابق والمواهب الأصيلة
الح. الح. معلناً أنه تنحى عن الاشتغال بالأدب نحو سبعة عشر عاماً رهداً فى
الجو الأدبى المنشعب بالسكيد .

ومن الظلم أن توصف هذه الروح بالضعف فانما هى روح متصوفة سامية
وقد لحظت ما بمائلها عند الشاعر خليل مطران : فتقدر ما كان المرحوم شوقى بك
يتحدث لك فى مجالسه عن فضل مطران العظيم على اشهر عصرى وعلى جميع الشعراء
السابقين كان مطران يهزأ من ذلك كل التبرؤ ، وحتى من أى فضل له على تلاميذه ،
حتى ليكاد يجعلك تتخيل أنه هو وحده المدين بالفضل للجميع !

ومها يكن من شئ فمده الروح المتجردة المتصوفة أفضل عندي ألف مرة من
روح الادعاء والكبرياء المصطنعة التى سممت الجو الأدبى ، وخلقت الصغاف
والجزارات ، وعملت على تسخير قوى الشباب للتطيل والتزمير حول هذا الأدب
أو ذاك بدل الأدب الانشائى الجدير بكرامتهم . أمّا نقاد الأدب ومؤرخوه
الأمناء فيعرفون جيداً ما هو فضل شكرى وما هو فضل مطران على الأدب
العصرى وعلى زملائهما وتلاميذهما وما أثرهما البعيد فى تكيف الثقافة الشعرية
الحديثة ، وإن تبرأهما من هذا الفضل وعكسا الآية .

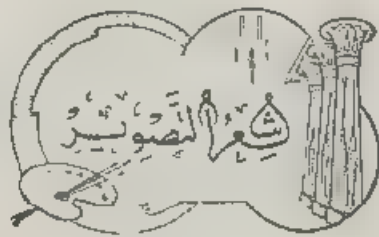
وبعد ، فلا يحسن سا السكوت على ملاحظة بداها شكرى بشأن السكيد فى
الجو الأدبى ، لأننى أعتقد أن هناك من البيئات الأدبية ما يترفع عن ذلك كبيئة
(أبولو) وبيئة (جماعة الأدب المصرى) ، وإن من الخسارة الأدبية العظمى أن
يستمر شكرى على هذا التنحى الذى لم يبق فى اعتقاده أى موجب له ؟

على محمد البهراوى

(لاحظ مع كثير من الضرور أن من نتائج النقاش حول شكرى ولما زنى
والعقاد أن عادت خيراً المودة بينهم الى سابق عهدهما وقد فهمنا أن شكرى ان يحجم

عن نشر شعره الحديث متى وجد أن الظروف مواتية لذلك ، ولعل هذا يتحقق في المستقبل القريب . وهو يلاحظ أنه أولى بالأدباء والنقاد أن يقتلوا شعره القديم دراسةً وتقديراً قبل أن يطالبوه بنشر شعره الحديث ، وهو يرى أن الأديب المحترف أولى بأن يقدم على الأديب الهاوي لأنه أقدر من الثاني على خدمة الأدب . وقد كان شكركى وما يزال محباً للنقاد والمنازى برغم ما حدث بينهم ، فمن الالباقه إذن أن تقفل باب النقاش حولهم مادام قد انتهى إلى هذه النتيجة السارة التي يغتبط لها جميع محبي الأدب والتي يرجو من ورائها الخير للأدب ذاته ، ويسرنا كثيراً أن يكون لنا أثر فعال في بلوغ هذه الغاية الحميدة - المهرر .

— ❦ —



أبولو ودقي

(دَقِي هي الحورية الحسناء التي أحبها أبولو إله الشعر ،
وقد تبعها فلما أدركها امتصحت إلى شجرة الغار (١))

أبولو

يا حياة المُنون يا حُسنُ امهلاً
ها أنا عبدك الذي بُشيد الشعر
أنا لهفان يا جمال ، ولكن
لا تخف يا جمالُ استسوى الحما
لستُ لاصد يا ممتك أهلاً
رَ معانيك ، فامسح الشعر وصلاً
لطفى كالصلاق مغزى وأصلاً
ني على سرك المتصون المعلن

(١) عن ديوان (فرق العباب) الذي طبع الآن .



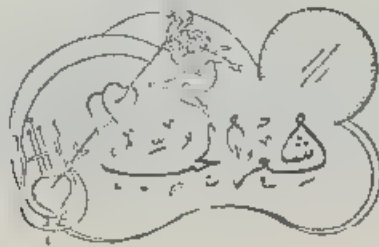
(أبولو ردمي — من تصوير الرسام دي جلن W.G. De Glehn في الأكاديمية الملكية بلندن)

كيف تخشى نهضة؟ كيف تأبى
كل إعجاب الذي أنت تخشاه
قد يراها الجهال معشوقاً سقيماً
كم أباحوا الحرام بامر خلال
لا تبيع يا جمال (دعني) اليهم
هي دنيا النفاق يا حسن لا تر
ما بدأ فيك عبقرية العظم
تدعى لهي إباحية الجاسا
كل شوق إليك يا حسن الحما
كل شوق إليك معني من الفن عزيز
ليس فيه خشونة أو ضلال
بل هو (الدون) ما بى الكون قبلاً

قاصفاً منك الوجودَ نعيماً في لشيدٍ من القداسة يُنتلى
رفنى :

لا تَسَلِّني إلا لتتويجك الفضة هم، ودعني أحولُ كالفارِ شكلاً
نحنُ لقمٌ ، غير أنا نُعادي كمدوِّين أشبعنا الفنَّ قتلاً
نحنُ في عالمٍ الحياءِ غريباً ذرءاً فيا يئسْ أهلها اليومَ أهلاً
أصمركي أبر سادي

﴿١٥٠ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠﴾



الزورق الحالم

(القصيدة الاولى من الديوان الموسوم بهذا الاسم ومراآر تحت الطبع)

إلى الضفاف البعيدة يا زورقي الذهبي
إذهب بروحي السميدة لوكرها الأبدى
على تخوم الوجود ١

سكرتُ من جامِ شعري يرفُ بين شفاهي
وننتُ من فيضِ سحره يهفو كوحى إلأى
بالنور والظل يصفو في حُسهِ المنتاهي

مالت على برأسٍ مكلل بالفتاد

وعربت عند صدري بهمهم الأسرار
تجئن حُبي بقلبي وغاب عني اضطباري

تقبَّلْتُمَا بعيوني في ثغرها الرفاف
وقلت لَمَّا تلاقى أبصارنا في الطواف
هاتي شفاهك هاتي هاتي ، لا تخافي !

الشعر منك دَفُوقُ والشعر قلبي الخفوق
والشعر شعر جيل والشعر وجه طليق
والشعر نذر ندي أذوقه فأفريق

إلى الضفاف البعيدة يا زورق الذهبي
أذهب بروحي السعيدة لوكرها الأبدى
على مخوم الوجود !

يا حُسنَ ليل الوصال - لو أن وصلاً يدوم -
عانقت جسمَ الجمال فيه ، وثمتت النعيم

يا زورق قد تعبنا وما بلغنا الضفاف
والموت أني ذهبنا يرنو ولسنا لخاف !

الموت ؟ هل هو إلا نومٌ هنيءٌ عميق ؟
يُماقُ الروحَ أبداً فلا نبي أو تفريق !

يا موتُ جئنا نَعْتِي إِلَيْكَ فوقَ العُبابِ
وقد أطلنا القنَى فلا نُطِيلُ في الغيابِ

الحُسْنُ والشَّعْرُ عِنْدِي في زورقي والغرامُ
كلُّهُ تقدَّمَ بهِدى أشواقه لِلْجِهامِ

يا موتُ فاهبطْ لِيها جَذْلانَ، وقتَ الأصيلِ
وابسمْ وردُّدُ عليها لحنَ الفناء الجميلِ ا

إلى الضفافِ البعيدةِ يا زورقي الذهبي
أذهب بروحي السعيدةِ لوكرها الأبدى
على تخوم الوجودِ ا

خلعتُ مِنْ ذكرياتي ودعتُ آلامَ حُبِّي
سَيَّانَ عِنْدِي حَيَاتِي والموتُ مادمَ قُرْبِي

زورقنا مِنْ نُصارٍ شراعنا مِنْ شعاعٍ
غرامنا مِنْ نارٍ مشبوبةٍ في بَقاعٍ

الموجُ يَنْشُدُ شمرى في نغمٍ عبقريةٍ
وهو كَيْلَمٌ ثَمَرى في لَهْفٍ أبديّةٍ ا

والشمسُ تَرَاوِ البِنَا مِنْ وَكْرِهَا فِي الْقَسَقِ
فَتَبْرِي ، تَصُبُّ عَلَيْنَا شُعَاعَهَا ، كَالْحُرْقِ ا

يَا شَمْسُ الْاَتَمَحِدِينَا ، إِنَّا سَنَمُضِي هَبَاءَ
وَعَمَّةٍ تَحْتَوِينَا مَصِيرُهَا لِلْعَاءِ ا

هَذَا الضِيَاءُ ، إِذَا مَا هَجَمَتْ يَهْرُبُ مَنَّا
وَزَوْقُ الشَّعْرِ إِمَّا تَهْوِينَ يَفْرُقُ حُزُنَا

إِلَى الضَّفَافَةِ الْبَعِيدَةِ يَا زَوْقُ الذَّهَبِ
أَذْهَبْ بِرُوحِ السَّعِيدَةِ لَوْ كَرِهَا الْآبِدِي
عَلَى تَحْوِمِ الْوُجُودِ ا

يَا زَوْقًا فِي الدُّمُوعِ لَغِيرِ قَصْدٍ يَسِيرُ
سُمْتُ مِنْكَ النُّزُوعِ إِلَى خَفَى الْأُمُورِ

أَرْهَقْتَنِي بِالنَّوْاحِ أَسْقَمْتَنِي بِالْجِيَالِ
أَتَلَهَّنْتَنِي بِالْجِرَاحِ سَلَّمْتَنِي لِلْجِبَالِ

عَلَّمْتَنِي مَا الْفَرَامِ سَلَّمْتَنِي بِالْبِيَانِ
صَبَّرْتَنِي فِي الْأَنَامِ رَبُّ الْهَوَى وَالْحَنَانِ ا

كَفَيْتُ بِالْحَسَنِ ، أَرَعَى أَطْيَافَهُ فَمَا

وهِمْتُ بِالْفَرْ، أَسْعَى إِلَيْهِ آتَا فَأَتَا ١

يَا زورقي لست أدري علام أهوى الشفاة

لَسَيْنُ تَبَيَّبْتُ سِرِّي كَشَفْتُ سِرَّ الْحَيَاةِ ١

إحلم كما شئت ، إني يا زورقي ربُّ أحلم

وَرَبُّ رَقَبُ حَيِّسِي وَخَاطِرِي يَتَرَّم ١

إلى الضفاف البعيدة يا زورقي الذهبي

إِذْهَبْ بِرُوحِي السَّعِيدَةِ لَوَكَّرَهَا الْأَبَدِي

على تخوم الوجود ١

فُتْنَاءُ الْوَكِيلِ

~~~~~

### ملك

يَا مَلِكَ الرَّحْفَةِ فِي الْأَرْضِ مَنْ عِلْمَكَ الْقِسْوَةُ ؟ مَنْ عَلَمَكَ ؟

نَعَمْ حَنَانٍ كُنْتُ بَيْنَ الْوَدَى مَنْ ذَا الَّذِي بِالظُّلْمِ غَدَى دَمَكَ ؟

أَسْمِعْنِي ظُلْمًا بِسَهْمِ الْهَوَى مُعَدْنِي حَنَانًا وَاحِبْنِي بِاسْمِكَ

مُعْهَدَتِ بِالْعَطْفِ ، وَلَوْ لِلْعَدَى فَكَيْفَ تَعْدُو قَانِلًا مَغْرَمَكَ ؟

أَخُوكَ هَارُوتُ مَضَى ، وَالَّذِي أَلْهَمَهُ سَحَرِ الْوَدَى أَلْهَمَكَ

يَلْسَمُ هَارُوتُ دَوَاءَ الْوَدَى وَأَنْتَ لَنَا يَكْشِفُوا يَلْسَمَكَ ١

\*\*\*

بَرَزَتْ فِي الْحَسَنِ لَنَا آيَةٌ بَاهِرَةٌ ، جَلَّ الَّذِي تَهْنَأُ مَكَ

أَفْرَغَكَ الْخَالِقُ فِي قَالِبٍ لِلْحَسَنِ قَدْ مَازَ بِهِ مِيسَمَكَ (١)

صَبَّكَ جَسَماً مِنْ شَمَاعِ الضَّحَى      وَشَقَّ مِنْ إِصْبَاحِهِ مَبْهَمَكَ ١  
وَزَادَ لِلْبَدْرِ سُنَى مُنُورِهِ      وَصَافَهُ وَجْهاً نَهْ تَمَكُّ ٢  
بَهَرْتَ بِالْحُسْنِ ، فَنَ ذَا رَأَى      جَالَلِ الْفَتْحِ ، وَمَا أَعْظَمَكَ ٣  
(فِينُوسُ) لَوْ شِئْتُكَ يَوْمَ هَوْتِ      سَاجِدَةً تَرْغِبُ أَنْ تَخْدُمَكَ ٤

\*\*\*

ظَلَّتْ بِكَ الْأَلْبَابُ فِي حَيْرَةٍ      مَشْدُوهُةً نَجْهَدُ أَنْ تَفْهَمَكَ ١  
هَلْ كُنْتَ فِيهَا مُلْكاً مُتَرَكِّلاً      مِنْ نُورِهِ رَبِّ الْوَرَى جَمْعُكَ ٢  
أَمْ أَنْتَ مِنْ فَرْدُوسِ جَنَّاتِهِ      أَنْوَذَجاً مِنْ حُودِهَا قَدَمُكَ ٣  
أَمْ مِنْ عَذَارَى الْجَنِّ مِنْ عُبُورِ      لِلنَّاسِ شَيْطَانِ الْهُوَى اسْتَقْدَمَكَ ٤  
مَا زِلْتَ مَعْنَى مِنْ مَعَانِي السَّمَا      لَمْ تَلَقِ بَيْنَ النَّاسِ مَنْ تَرْجَمَكَ ٥  
حَيّاً بِكَ الشَّعْرُ فَمَا انْطَوَى      لِلشَّعْرِ وَحْيٌ عَادَ فَاسْتَلْهَمَكَ ٦  
سَنَقَانُورَةُ :      صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَاصِرُ الْعَلَوِيُّ

❦❦❦



## الذروة

(من ديوان «فوق الباب» الذي يطبع الآن)

صَجَرِي زِلْتِي وَزَهْدِي تَمَرُّبَا      وَهَدْيِي أَرْجِيوْ أَوْ أَنْتَفِيَا ١  
يَا إِلَهِي ! دُنْيَايَ حُسْنٌ بِلَا حَا      لَمْ ، إِذَا مَا عَرَفْتُ حُسْنَكَ مَا جَا ٢  
كَمْ تَقَدَّنَا وَلَحْنُ فِي الْجَهْلِ حَيْرِي      لَا تَرَى الْحَقَّ وَهُوَ أَشْنَى وَأَضْوَا ٣

ما اندَجَجْنَا، وما انطَوَيْنَا على الرُّدِّ  
 حُصْنُكَ الحُرِّ مائلٌ لنفوسٍ  
 في انسجامٍ يستقرُّ الحُبُّ في السَّكْوِ  
 ما تسلَّقَ إلا لُحْفُوهُ لِنَجْوَا  
 مُستويّاً من عَقْلِ الباطنِ العِلْمِ  
 تَبَعُ إلهامك الذي يَتَنَاهَى  
 فاداً بي من رُوحك الخالدِ السَّامِ  
 عرفتُ عندها مِنَسَالِي تَتَفَسَّى  
 وحياسة الأبادِ حتى كَأَنِّي  
 حرٌّ، فلم تُذَرِك الخلودَ المهيأ  
 قد تنامت إليك نفوسٌ لتَهْدَا  
 من صمياً وابعاضاً يتسلاّ  
 لك وإفاد زلفٍ تَهَيَّأ  
 بما في الوجود عُنْفَى ومَنَسَا  
 ليطير الأوهامُ المُسْتَمَرّاً  
 قريبٌ ومن فَيَوتِكَ أملاً  
 ومثالَ الإنسانِ رَوْحاً ومَبْدَأ  
 ذروة الكونِ مُشْرِفاً أبوياً  
 اصمّر لكي أبوسادي

\*\*\*

### السعادة

قلْ ما تشاء عن السعادة غابطاً  
 واجتِ عليها في النصابي والهوى  
 أو في اشتهارك بالفضائل ولتُثْقَى  
 أو في اكتفائك بالذي قسم القضا  
 قل ما تشاء عنها، فليست بتقننى  
 إن السعادة لا تسرّ بوصلمــــا  
 فإذا سعدتُ وما عرفتُ بأننى  
 فالجهلُ في حالى التماسه كلها  
 وإذا عرفتُ بأننى قد نلّتها  
 والخوفُ من فقد السعادة خاطرٌ

عاصمة الجمهورية العنقة :

الباسي قنصل



### قيثارة الدمع

قيثارة في جفوني ، لحسها تحجب  
صدأ أحبا الهسم ، لا ينفك يفرسها  
مؤلم بالذبحى إن ذاب فاحم  
إلهامه من جوى قلبي ، وثورته  
إذا براني الأسى يلهو على كبد  
فلا يسبغ من الفينار أغنية  
له ماصب في جفني من نغم  
حسوتها في الذبحى خرا معتقة  
تيفاض لامعة لون الآلى ، و  
كم وسوسنى في ظل الأسى : لحنى  
فقلت : خل أغاريدى منغمة

وجرم أنغامها في العين مضطرب  
بريشة من أمى الأحزان فتعجب  
تفيض من قلبه الألحان والطرب  
من الضلوع .. عليها الوجد يلتهب  
مجروحة مزقت أفلادها الذوب  
إلا وقلبي أدكى نره القطب  
ملوع ماج في أنائه السهب  
في مقلد دثها قد كاد ينشعب  
طبائنها أسود الأطياف مكتتب  
على شبائك قد أودى به السب  
من الدموع ... فال ذوتها أرب

محمود حسن اسماعيل

CHOCOLATE

### حجرتي الأولى

( وهي بالمنزل الذى قضيه فيه أحلى أوقات الصبا وقد عدت إليها بعد عيبة طويلة )

سلاماً حجرتي من قلبي الداوى وإجلالاً  
سلاماً أنت ياميناء وموحر في الدثى جالا

وشاء الله ما شاء فراح يهيم نوحالا  
وما عهد مضي فيك بسحره، آه لو طالا  
أذرى نافذتي حيث إذا اسدل إسدالا  
سيتار الليل فوق الأفق واسترسلت نسالا  
لبدر تاه في طلعه الممحة واختالا  
رفيق الجن والأرواح تدخل في نحيات ١٩

\*\*\*

توف جناحها حولي وأجمع فامض السحر  
كأن حفيف أفنان مري من حاور الشجر  
وأطلق فيك يا حجرتي الغراء من فكري  
تداعب جبهتي النسمات في مثل شذى عطر  
أحدث في منام الكون والأعلام بالبصر  
وطاب لفرقة الضفدع والكروان من ذكره  
نقيق أو نشيد رينا أذن بالفجر  
وأرميل للصباح الغض من أول لحات ٢٠

\*\*\*

أهذا مكنتي حيث لرأى حينما مالا  
حنون ضم مبهوراً من الحب وآمالا  
وما أسطر من شعره بمنج جوائحي سالا  
وما تلفتني « ليلي » بحسن العود ميالا  
بشرفتها، وتبعث لي من الرنات إدلالا  
وقبلات إلى قلبي فعلت فيه إبلا  
وأحلاماً كنود السجم في الظلمة ما والي



بهندي هاتما في التيه من صحراء إمانات ١٢

\*\*\*

سلاماً حُجرتي من قلبي الذّاوي وإجلالا  
سلاماً أنت يا مينااء روح في الشّجى جالا  
وشاء الله ما شاء فراح بهـمـ ترحالا  
وما عهدت مضي فيك بسحر... أو لو طالا

محمد عبد الحكيم الجراحي

~~~~~

تحت صورتي

(بهت يا الشاعر الى صديق تحت صورة أخرى غير هذه)



سالم بن علي الحامد العلوي

هذه صورتي اليك فلا تهـ جب إذا من بشاشتي وابتناسمي
حاربتني أيام دهرى فضحكى حذرته من شمانق الأيام

هذه صورتى لديك ستبقى غصة في شبابها كل عام
سوف تنق ذكرى الشباب اذا غبت ، وذكرى الحياق بعد هامي
واذا ما مموت في عالم الروح ستحيا في عالم الاجسام
صالح بن علي الخاسر العلوي

❦❦❦❦❦❦

الوهم

أين الأشجان آله وصحاب
وكذا الدنيا شجون لا تبي
لا أرى في الروض إلا صادحا
أى وهم لم يزل ينفيرنا
كم سحاب لم يجددنا غيبته
ومن الدمع ندأى وشراب
ودموع لا تبي عنها انسكاب
مزيل الألحان يحدوه انتحاب
فعلى الوهم صراع وغلاب
خطفه الأبصار بالبرق وغاب



احمد محي

وكلام نخته ريشة قتي
والذي نخبه رى المسمى
هو في ظاهره شهد مذاب
هو قها قد روى الصادي قمراب

كَمْ شَكَا الْغُلَّةَ مِنَّا طَامِيَةً فَضَعَتْ مُغْلَتُهُ جِرْعَةً صَابِ ١
وَتَسَمَّى لِلصَّبِيرِ مَشْغُوفَةً بِهِ وَهِيَ شَاةٌ، لَوْ دَرَى، بَيْنَ ذُنَابِ ١
يَجْمَعُ نَحْيَهَا بِالْأَمَانِي خُذْعًا وَالْمَتَايَا آخِذَاتٌ بِالرَّقَابِ ١٢
لَسَجَتْ كَفَّاهُ أَكْفَانُ الْوَرَى نَاسِجٌ ثَوْبَ الْأَمَانِي الْعِذَابِ ١

• • •

أَيْهَذَا الْمُدْجُ السَّارَى إِلَى أَمَلٍ يَحْدُوهُ أَفْعِرٌ فِي أَطْلَابِ
أَبَى الْأَمَالِ كَدْحٌ فَائِلٌ وَإِلَى الْأَمَالِ ظَمَنٌ وَاغْتِرَابِ ١٢
مَا أَرَاهَا بَاعَتِي مِنْ رِبْلِي أَوْ مُعِيدَاتِي إِلَى الشَّيْبِ الشَّابِ
صَاحِبُ الْحَاجَةِ ذُو هِمٍّ بِهَا فَذَا أَذْرَكُهَا هَانَ الْمُصَابِ
ضَيْعَةً لِرَأْيٍ تُذَكِّي نَارَهَا أَفْعُ فِي الْمَرْءِ مُنْذُ شَبٍّ وَشَابِ ١

• • •

شَامِخٌ بِالْأَنْفِ مِنْ أَوْهَامِهِ لَمْ يَزَلْ يَنْشُدُ أَطْبَاقَ السَّحَابِ ١
حَسْبَ الْكَوْنِ وَهَيْسًا بِالَّذِي يَشْتَمِي وَهُوَ رَهِينٌ بِكِتَابِ
أَوْ مِنْ ضَمِيرٍ فَبِرٍّ مُوَحِّشٍ وَثَوَاهُ بَيْنَ دُودٍ وَثَرَابِ
إِنَّمَا التَّرَبُّهُ أَصْلٌ وَلَهَا غَايَةُ الْمَسْمُوعِ وَمَحْتَرَمُ الْمَاءِ ١

أحمد فني
(المهندس)

~~~~~

### ليتنى

ليتنى كنتُ صغيراً      أبدالُ الهمِّ هناءَ  
ليتنى كنتُ كساراً      أملاً الدنيا فناءَ

ليتنى كنتُ غديراً    أهبُ الأزهارَ ماءً  
ليتنى كنتُ صباحاً    أغمرُ الكونَ ضياءً  
ليتنى أصلحَ دنيا    كلُّ ما فيها أساةً ١



### عهد الطفولة

أحنُّ إلى الطفولة وهي حُلْمٌ    وأشهى الذكر للحملم البعيد  
وفي مخناني الوافي وفاءً    لعهدٍ كان تتويجي وعيدي  
أحنُّ كما أبدى يدعو ويدعو :    وددتُك يا طفولة أن تعودى ١  
وددتُك ، إى وربى ، أن تعودى    الى وكرى ، الى قلبي الودود  
إلى دُوحى التى أحييتُ صبهاها    مظلةً بحبك فى الوجود  
فأنعم بالحياة ولا أبالي    بدنيا فى التناحر والوعيد ١  
محمود البير الساهر



### الكبر

كلُّ حولٍ يمرُّ يزعجُ نفسى    بغضونٍ تلوح إثرَ غضونٍ  
وبياض المشيب فى كلِّ رأسٍ    لى مُلحٌ بكُبرٍ تعترينى  
أتمنى لو يجمد النجمُ حتى    ما تحسَّ الحياةُ كرا السنينِ ١  
أتمنى لو يصبح الدهرُ لوناً    واحداً من غضارةِ ثم لينِ  
إنَّ ضعف الشيوخِ عملاً نفسى    هلعاً أو يثيرُ حراً شجونى  
إنَّ فى تلسمِ الخطأِ تنلوئى    لنذيراً يلوح بين جفونى  
مشفقاً من دُبولِ قلبى إذا ما    غاض مائى وأنكرتني عيونى

ورأيتُ الجميلَ غيرَ جميلٍ  
ودعوتُ الصَّبا جنوناً وحمقاً  
وسمعتُ الكفاحَ في غيرِ سلمٍ  
لبسَ برتاقني ولا يزدهيني  
مرضاً في ثيابِ عقله رزينٍ  
مستكيناً لمطمحٍ مُستكينٍ  
ههه الباقي ابراهيم

كأنما الليل قد شابت ذوائبه  
 وعن قليل يَحُلِّي رُفْقَةَ النعقِ  
 اذ الصبح انحلت أنواره شرع الطير المسجع في تغريده النعق  
 لاحت مخائله بين السماء كما  
 لاح النعام على موسومة الحرق  
 واستيقظ الطير في أوكارها وبدت  
 تسرى نسيم الصبأ في كل منخرق  
 وصادت الشعراء الفائقون إذا  
 أوابد الشعر لم تُذكر ولم تنطق  
 ما أطيّب الوقت إذ سار الخدوج بنا  
 بين الأكام تحاكي السفن في الغدق  
 وخلّت الطير أوكاراً لها ومضت  
 إلى المشارب ومحدالاً وفي حلق  
 حتى استوت بعد ما جاءت على نهر  
 تُبَلِّ من فرح أجسامها وبها  
 إذا ارتوت كلها طارت مفردة  
 كأنما الطير في تغريدها يرق  
 إلى رياض بدت تهتر من بلل  
 بها شذاها امتطت ريح الصبا وسرت  
 إن هزت الريح قضباناً لها بلل  
 كأنها راكعات في تحييسها  
 والرجس الغض يرفو نحوها عجباً  
 حره ملائسه صغر ترائبه  
 كأنما قطرات الطل في خضر  
 يارب فضّ ختام النوم إذ نعت  
 يراقدة الليل حتام الرقاد وقد  
 قم واستقم واعبد الله الذي خلق الساجدين من حبة والانس من علق  
 ليس يسجد لله الرياح مع الساجدين فأنسة من أبداع الطرق  
 الممت تسمع ما قال المؤدّن في  
 تأذنيه بكرة للنائم الحيق ١٢

السيد نبي الخير آبادي

(اساذ. أمة العربية بالكلية البديعية بجد آباد)

المد :



( نشكر للاستاذ الشاعر الفاضل ما وجهه مع قصيدته الى «بولو» من اطراء عظيم  
نعتد به عن نشره ، وحسبنا أن نرى من أعلام الأدب في العالم العربي مثل هذا  
التقدير لخدماتنا للمروبة ولغتها الشريفة وهذا الاجماع على المستوى العالي لتحرير  
هذه المجلة وشعرها — المحرر ) .

\*\*\*

### صدى النور

|                        |                     |
|------------------------|---------------------|
| انور ؟ ما النور ؟ وما  | ضلالة ؟ وما الهدى ؟ |
| إن الحياة كلها         | لذلك النور صدى ا    |
| فالمحرج في الأجفان نو  | ر قد سجا واتسدا     |
| والبلبل الشادي سنى     | غناؤه اذا شدا       |
| وظلمة الليل سنى        | لراهب تهجددا        |
| وقبله من وجته          | ك إن ها توردا       |
| أوفيك ا وهو منهل       | يظمي من غد وردا     |
| والما نور ، واذا       | لم يك ما بل الصدى ا |
| والشعر نور في النهى    | من قبل أن يرددا     |
| والنور خمر يسكر        | الروح العميد أبدا   |
| النور ؟ ما النور ؟ وما | ضلالة ؟ وما الهدى ؟ |

المريض الوكيل

\*\*\*

### نور القمر

يا بدر نورك حالم فوق الزدوع الحاملة  
يبدو رقبة ساهما كالروح تبدو ساهمة  
وكأنه إشعاع أحلام النفوس الواجة

« . »

يا بدر أصغر الى الجدا ول بالخير مثرية  
واسمع صلاة النحل والقطن المفتح والذرة  
يُنشدنها زلى لو رك في الليالي المقمرة

« . »

أجل به أنفاس حو      در في الجنان نواعس  
فيه ضريز جداول      وبه عبير فرادس  
وحفيف أجنحة مرفقة      وصيحة حارس

« ٠ »

يا بدر يا قوت المشا      عر والقلوب الجائعة  
أتراك نافذة رنت      منها الغيوب الرائحة  
وسناك أحلام الملا      تلك في الطبيعة شائعة

« ٠ »

كم من طيوف أيها القمر المظلل على الفضاء  
في نورك الوسنان تر      قص أو تثرثر بالفتاة  
من ساقها من عالم لا      أرواح في هذا الضياء

« ٠ »

ما أشبه الجو الذي      في خاطري بجوائكا  
حتى كأنني ناظر      في ضوئه لضياءكا  
يا هل نراه وذيلة<sup>(١)</sup>      عكست جمال فضائكا

« ٠ »

يا للطبيعة ا فهي حا      فيمة المراني والمشي  
وكأنما هي تعلم ال      ند كرا الجميلة والمشي  
والنور ذلك رف في      أحلامها واستوطنا

« ٠ »

يا للطبيعة ا فهي أج      مل ما رأت عينان  
كم أشعر الروح الحر      ين بألفقة وحنان

وتغصمه ضمّ الحبيب بة للحبيب لعمري

\*\*\*

إني لفرط تملّقي بجمالها المتألق  
شعشت فيه تألّمي وأذبت فيه محرّقي  
ورويت روي من ثما له كأسه المتفرق

\*\*\*

وتخذت منه معبداً لتبتلي وتعوّفي  
يقضى به أيامه وحياته القلب الوفي  
في عزلة عن ضجة الدنيا التي لم ترافق

أصغر منبر

~\*~\*~

### على ضفاف الغدير

دُميعة أنت من جمال وفتنة حار في محسنك العباد وتاهوا  
صاغك الله للمحاسن جنة فاستقى الكون من جدارك حلا  
لست كالناس من تراب وما أنت من ريق الخلود خلتا  
فيك ما فيه من طلاء وضياء غير أن الخلود جاد وذوتا

« . »

ها هو الماء باسمك يرنو في حنوّ ونشوة واشتياق  
أسكرته قسامة لك تعنو لبهاها القلوب في الأعماق

« . »

يا إله الجال هيّجت وجدى وقليل على إن ذبت وجداء  
أنت رمز الكمال في الحسن عندي وفؤادي من المشاعر قداء  
ما أداني لوصف حسنك أهلا أنت جاوزت في الفنون الشموسا  
كل قلب رآك يلهو مهلا قد تفرّدت فاستلّبت النفوسا

\*\*\*

أنظري الماء خائفاً يتمنى يا منى القلب أن تنض "إذارك"  
وانظر القوم حائقين عليه عند ما ضم في العباب عذارك  
حولك الناس مطرقين خشوعاً في ذهولٍ وغبطةٍ من جمالك  
يلفطون النفوس وهي تمرات لقلوبٍ تحرفت من دلالك

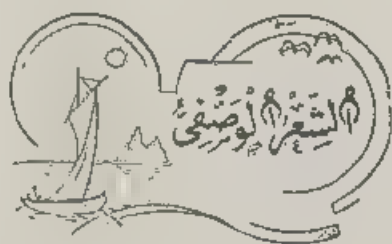
\*\*\*

يا خليلى لا تبيننا ظنى هارداً لبّ للمحاسن سادى  
ودعاني ولا تلوما فعينى لم تمتع بحسنه ، وفؤادى  
أوفسيرا وخليلى انى ألبى داعى الحسن من ضياء جبينه  
واتركانى هنا فقد ذاب قلبى وشجائى بخفقور وحنينه

\*\*\*

خليلى فقد شقيت بقلبي وقبست الشجون من ناظريتا  
ودعاني أذيع في الكون حى وأروى الجمال من شفقتنا  
محمد هجر الفنى بحيت

\*\*\*



### الشيخ النائم في المشرب

( نظمها الشاعر على أثر رؤيته شيخاً نائماً على أنغام الموسيقى في «كافيه رويال» بمدينة ليون بفرنسا )

سمرت في صفاء الخمر آيات أنغام وطارت بنا نفوسى إلى عالم سام  
وقصبت علينا في حديث مسامر دركى حكمة الدنيا أقاصيص أعوام

فكان لها منى فؤادٌ يضمها وينهل منها منها ينهل الظامى ا

\*\*\*



محمد عبد السلام الجراسى

وشبح مهيب في جوارى ورأسه  
ولحيته بيضاء زانت بصدرة  
لقد نام هذا الشيخ تحدوه نعمة  
ألا ما روى ذلك المنام وما القى  
أما هو مثل الطفل أحلام سادى  
أو أن روى حُبَّ أطفاف بقلبه  
وحسن فتاة رطبة العود فتنة  
أو أن روى أخرى إخال سعيده  
وبحلم إذ يغدو بخلد جزيرى  
وليس ليرى ما مضى من سنيه  
بما الدهر منها الشعر في لحوظ لأم  
أغاني أفراس وآهات آلام  
كأن صغير في حسان وإكرام  
تترجى الأنغام في سفر أحلام  
تناجيه في لونه من الطهر بسلام  
وذكرى شباب لا يعود لإضرار  
كباقة زهر أو كلمحة إلهام  
نخامره في مثل سحر وإيهام  
بقيد عباب الدهر والزمن الطامى  
وما برحت تضيق رحله أيام

\*\*\*

فتم هادئاً يأبى الشيخ هاشاً  
لعل صباحاً ضاه في طي إسلام

وَنَمُّ مُسَعِّدًا رَوْحًا إِلَى صَدْرِ أَنْفَامٍ      تَطِيرُ بِهَا نَشْوَى إِلَى عَالَمِ سَامٍ  
وَيَزْهَوُ بِهَا مَنَّا فَرَادُهُ يَضُمُّهَا      وَيَنْهَلُ مِنْهَا مِثْلًا يَنْهَلُ الظَّامَى  
مُحَمَّدٌ عِبْرًا لَكُمْ الْجَرَامَى

~~~~~



مقتطفات من جيتا نجالي

لشاعر الفيلسوف ابندرانات ناجرر

عند ما تأمرني بالغناء ، بخيل إلى أن قلبي بمحطام كبرياء ، وأصعد ناظري في
وجهك ، وتفرورق عيناي بالدموع .
وإن كل ما هو صعب في حياتي ليستحيل سهلاً إثر أغنية رخيمة ، كما أن إعجابي
يصفُ جناحيه كطائر سعيد ، يخفق في الجو ، ويحقق فوق أديم الهر .
وإنني لأعرف أنك تشمر بالسرور حينما أنطلق مغنياً ، وأعلم أنني أقترب منك
حينما أشدو فقط ، كما أن جناح أغنيتي الممتد لمس أطرافه قدميك اللتين أنوق إلى
الوصول إليهما .

يا حياة حياتي :

سأحاول جهدي أن أحفظ جسدي نقياً موقناً بأنك ترعاني وتحوطني ،
وسأكون بمنزل عن لا كاذب فلا تسلط علي ، لأن روحك : الصدق يصي
لي سبيل الحياة .

وسأبقى قلبي من أوضار الشرور ، وأحفظ حي في الزهرة ، لأنني أعلم أنك تترجم
في صميم القواد وفي أقدس بقعة فيه .
وسأحاول بجهودي أن أكشف عنك في حركاتي لأنني أعلم أن روحك تنهى
قوة أعمل بها .

• • •

لقد تجردت أغنيقي من البهرج الزائف ،
وإن الزخرف المموه ليفصم عرى مودتنا ، ويقف حائلًا بيني وبينك ، إذ تلامي
أنداك في طنينه

وإن تنهى كشاعر لينبذ خجلًا أمام مرآك ، آه يا مولاي اشاعرا
إنني أجلس تحت قدميك ، وكل ما أبتغيه منك أن تنهى لي المدسود والطائفة ،
وأن تجعلني كعود الناي تنفخ فيه أنغامك الموسيقية .

• • •

أيها الأحق

يا من تحاول أن تحمل نفسك عبء الحياة .

أيها السائل يا من تحاول أن تسأل الناس عند باب دارك : ألقى أمهاتك كلها
على ساعيتي من في استطاعته أن يحمل الجميع . ولا تأسف على ما مضى
إن أدهاس شهوتك لتطيق ضوه المصباح حين تنبئ عابيه . فلا تأخذ مطالبك
من أيدي دنسة ، ولا تقبل إلا ما يقدمه إليك الحبيب المقدس .

• • •

إن الأعباء التي جئت لأنشدتها ، لا تزال حبيسة في صدري إلى يوم .
وها أنذا أمضيت أيامي أهيء لها الأوتار وأصاحبها ،
واكن مبعادها المنشود لم يمن بعد ، وإنني لأحس بزعم قصدي إلى الشادها
وبرغبة تتردد في صميم القواد .

ها هي ذي الوردية لم تتفتح من أكلها بعد ، ولكن الريح تصفر حولها هدمسة ؟

• • •

إنني لم أرَ قط وجه من أحبُّ ، ولم أسمع صوته أبداً ، وإنما يتردد في أذني صدى
وقع أقدامه الجميلة في الطريق الممتدة أمام منزلي .
إنني أعيش في الحياة أملاً في لقائه ولكن حين اللقاء لم يحسن بعداً !

يا إلهي !
ها هي ذي صلاتي التي أتوجّه بها إليك :
هبنى قوة من لدنك لاثمحل سروري وآلامي
امسحني القوة ليبقى حُبِّي لك زاهراً إلى الأبد
مدّني بالقوة التي تمنعني من أن أزدري المقرء أو أجمعهم يركعون عند قدمي
أمام جبروتي الطاغى
هبنى يا إلهي قوة أستطيع بها أن أرتفع بتفكيري فوق مستوى وشاب الحياة .

أنا لا أدري كنه غنائك ، وإنما أستمع إليه في سكون ودهشة
وإن إشعاع موسيقاك ليضيء العالم
وأنفاس الحانك تخفق من ممالي إلى أخرى
وجداول أنغامك المقدسة يندفع متخطياً كل عقبة في سبيله ، وينساب في جريانه
وقلبي تواق لأن يشاركك الغناء ، ولكن هبناً ما يحاوله من رفع صوته ،
ومهما حاولت الكلام فلن يصير غناء ، وإذا ذلك أغضب على امرئ
آه ! . . . لقد جعلت فؤادي أسير أنغام موسيقاك السرمديّة !

هبناً لا تتردد في قطف هذه الزهرة الصغيرة وأخذها فاني أخاف عليها أن
تذبل وتسقط في الطين ، ولربّما لم تجدها مكاناً في اكطيك .
ولكن أذوقها السعادة في ألم تحدّث لها يدك بقطفك إياها ، واني لأخشى أن
يعفى النهار قبل أن أصحو فأرى أنه لات حين تقديمها !
ولذا فلونها ساذج ، ورانحتها ضعيفة ، نخذها إليك واقطفها حين يحىء وقت
الحصاد !

عبد محمد محمود

١٩٤٠

نقد وتعليقات

روح الفقيه وروح الشاعر

قرأنا نقداً بقلم أحد مشايخ الفقهاء لدبوران من الشعر المصري فقال فيما قال إن الشاعر أخطأ خطأ فاحشاً لأنه قال « نجمة » في حين لا توجد هذه الكلمة في اللغة بمعنى « نجم » . أما الشاعر فقال إنه في الموقف الشعري الذي استعمل فيه هذه الكلمة تخيل في ذلك الجسم الورداني الساحر روح الأنوثة فلم يرَ إلا أن يسميه « نجمة » وما يحسب أنه أخطأ في أماتة الفن ، وقد أنصف بذلك لغة الشعر وأحسن إلى أدبها .

وجاء هذا الفقيه ثانية وقال إن الشعراء المعاصرين مفتونون بالوثنية اليونانية والرومانية ، إذ كثيراً ما يستعملون تعابير ثائية مثل « روح الألوهة » في الجبال و « حلم الآله » ونحو ذلك . أما الشاعر فقال إنه لا يؤمن بشيء من هذه الوثنية وإن زملاءه في الأهم الراقية لا يؤمنون كذلك بها ، ومعظمهم يعيش في أوساط دنيئة تأبى هذه الوثنية كل الإباء ، ومع ذلك فهم يستعملون مثل تعابير التي لا يفهمها سيدنا الفقيه ، ذلك لأنها تعابير رمزية صوفية في معظمها ، وفي بقيتها لا تغفل أكثر من العقل الباطن الطفل الذي أبدع ما أبدع في الأدب الأوروبي بطلاق الخيال له في الأساطير وغيرها ، بينما عجز وتقهقر في الأدب العربي بسبب حذقة أمثال سيدنا الفقيه تلك الحذقة التي عاشت دائماً نكأة للذسائس على نوال الأجيال ، ومعاذ الله أن يمكن لها في هذا الجيل التنوير .

وجاء هذا الفقيه ثالثة وادّعى أن المجددين يحتقرون الشعر العربي والأدب العربي وتمنّى على أصحابه الفقهاء أن يشدوا أزره في دفع هذه العادية فقال لسان الحال : بل لم يعرف قيمة الأدب العربي الفتي ولم ينصف الشعر العربي أحدٌ مثل أولئك المجددين يا سيدنا الشيخ ! فكلمهم من دراسات وشروح وتوايف رادت من ثروة هذا الأدب وأنصفت عبقریات السابقين والإحقيق ، بينما سادت الفقهاء يهرقون بما لا يعرفون ويلقون بالهم جزافاً تمجيداً لأذهانهم السكلية وأهوالهم المليقة

غرور الشباب

قالوا إنما أسأنا الى شباب إسائة عظمى فقد صحبت موجة التكليف الجديدة موجة من الغرور الذي لا يعرف حدوداً ... ومع أننا نأبى هذا الاتهام الشامل للشباب فمن مؤثره ألف مرق على روح التبعية والاستكانة التي كانت تجعل من كثيرين من الناشئين خولاً وغوات لبعض المتزعمين وسنستمر على خطتنا في بث روح الاستقلال والاعتزاز بالذاتية والاعتماد على النفس في الشباب النابه مع الوفاء لفضل السابقين والمعلمين ، ولو صحب ذلك بعض الغرور أو بعض الجحود من هذا أو ذاك . فأنما ننظر نظرة عامة الى اطراد الحركة الأدبية ونهضتها دون أن نتأثر بالحوادث الفردية السيئة ما دام للانسانية ضعفها على أى حال . وما كل جيل إلا قنطرة لمن يليه في اطراد الفكر الانساني ، وهبات أن تغلب أى أنانية على هذا التقدم الطبيعي وإن عاقته أحياناً . وحسبنا أن نشيد بهذا المبدأ الحق وأن نعمل على تحقيقه وإعززه ولو جوربنا أحياناً جراء سنهار حتى من بعض تلاميذنا ومن تأثروا طويلاً بأدبنا .

رواد الشعر الحديث

إنار هذا الكتاب الصغير وما زال ينير اهتماماً كبيراً ما بين مدح وقدر فيه وفي مؤلفه وفينا وفي (جمعية أبولو) ! وبلغت لوقاحة بأحد المنتسبين ظاهراً الى الصحافه أن ينسب اليها ألفاظاً مهينة لمؤلفه مختار الوكيل وينسب اليه ألفاظاً مهينة لنا ، وهذا كله محض اختلاق ... ومختار الوكيل نفسه يعتز بكتابه ويتحمل مسؤولية كل حرف فيه ، فكل حرف فيه وليد تفكيره وإرادته وإذنه ، ولو شاء أن يبدل أى رأى فيه الآن أو بعد الآن لما ترددنا في نشر ذلك في هذه المجلة حتى ولو تضمن نقضاً تاماً ، هو مكتوب عنا فيه ، ونحن لا نحجر على آراء الناس ولا نستجدي الأمداح ولا التقدير من أى مخلوق ، ولم يأت مختار الوكيل في هذا الكتاب بشيء جديد عنا لم يقله هو أو لم يقله غيره من قبل . وأما عن استعفاء مختار الوكيل من (جمعية أبولو) فقد افترقنا بأحسن التمنيات للجمعية وبالتقدير لخدماتها ، ولم نفهم إلا أنه وليد رغبته في اعتزال الجمعيات على أثر اغتلال صحته

الطويل الذى أثر على أعصابه ، وهو لا يريد أن يكون عضواً غير عامل بكل معنى الكلمة ، وهذا مما قد يضطره الى السفر الى أوروبا مراعاة لصحته من جهة وللتخصص فى الصحافة التى له شغف خاص بها من جهة أخرى . ونحن كذلك نتمنى له حسن التحيات فى مستقبله الصحفى مما يتفق ومواهبه الأدبية .

أدب شكرى

فى كلمة كريهة للشاعر الماضل عبد الرحمن شكرى بجريدة (البلاغ) المؤرخة ٦ سبتمبر الفاتت نجد يذكّر فى صراحة أنه لم يقل لأحد إنه أنشأ مذهباً جديداً فى الأدب ولا أن العقاد أو المازنى من تلاميذه ، ويؤكد أنه ليس بدمه وبين العقاد أو المازنى تنافس على شهرة أو حرفة أو رزق ولا يحمل لأحدهما ضغينة ، كما أنه لم يجرّض أحداً على نقد العقاد أو على اتهمه بالأخذ به بل كان دائماً يبنى ذلك كإشهاد خصوم العقاد أنفسهم ، الى آخر هذا الكلام الطيب الذى يدل على نفس ركية طيبة يعنىها أدب المس قبل أدب الكتبة . وهو بهذه الروح الوديمة وضع العقاد بلطف فى محله حينما ذكره فى آخر كلمته بثقافته فى المجترة المأمّنة فى ذلك الوقت فضلاً عن وقتنا هذا . والخلاصة أن كلمة شكرى لم تنم عن أدبه فقط بل عن محبته كذلك للعقاد والمازنى بالرغم مما صدر منها ضده سواء بالفعل أو بالتواطؤ .

ولكن فأتت شكرى نقطة هامّة ، ولا فائدة له ولا للأدب من تجاهلها ، كما أنه لا فائدة من احتجاجه على من يشتركون مع العقاد بسببه : تلك أن محبته للكثيرين يعتبرون العقاد مسؤولاً عن تواريه وعزوفه عن الأدب والأدباء ، فلا عجب اذا لجأ بعضهم الى الحدة الشديدة فى نقد العقاد . وإذن فيجدر بشكرى أن يترجم محبته لصاحبيه القديمين (بعد ما أعاد المازنى من الأسف الشديد لتجامله عليه سابقاً) بترك عزلة الأدبية الطويلة والمودة الى نشر آثاره الشعرية والنقدية التى تقرّ بها عيون محبيه ، وهكذا يضع حدّاً لهذه المأساة . وبقينا أن أمر ذلك بيده وحده لا بيد أحد سواه ، وأملنا أن يصحّ عزمه بعد الآن على تلبية هذا الرجا المعقول الذى يُصنّف به نفسه ويُصنّف سواه فى آن .

نعم ، لقد انتهت الى غير عودة ظروف عزلة الأدبية ، ومن حقّ الشعراء والأدباء عليه التطلّع الى ظهور أدبه الناضج الذى يُعَدّ فى طبيعة ما تعزّله به الثقافة الشعرية فى هذا العصر ومن مفاخر الأدب العربى على الإطلاق .

السباب والطرب

تُعنى وزارة المعارف عنايةً جديةً بأن يضع الطلبة دروسهم في الموضوع الأول من اعتبارهم ، ولهم بعد ذلك أن يُعموا بالأدب كهواية صالحة لهم إذا شاؤوا ، نظراً لما تقتضى بين بعض الطلبة من إهمال الدراسة متخيلين أن روح الأدب تتمشى مع هذا الإهمال وهذه القوضى ، وبمقدور تشجيعنا لأدب الشباب قد عملنا دائماً جهداً نالتهز به الثقافة واحترامها ، فالثقافة العالية من أقوى أدوات الشباب سواء عُنِيَ في حياته العملية بالأدب أم بغير الأدب . ولا حير في ذلك الشباب الذي يمرض نفسه لإهمال دروسه قائماً بأن يكون حاشية من حواشى المترجمين الذين يريدون أن ينزلوا بالأدب الى مستوى السياسة ، وأن يمتخروا الشباب في هذا التفضيل كما سُخِّروا من قبل في أهواء السياسة وهم الخامسون في كلنا الحالتين دروسهم ومستقبلهم . فالى دروسكم أولاً أيتها الأعزاء وقد بدأ الآن الموسم الدراسى ، ثم الى الشعر أو غيره من فنون الأدب في غير أوقات دراستكم اذا ما وُجدت عندكم رغبة صحيحة فيه . وأما الاضطراب والإهمال والقوضى باسم التحرير القى فليس من ورائها غير القشل وأنى قشل !

شعر الصيرفى

من أظهر الدواوين الشائقة التى غنمها الأدبُ المصرىُّ في هذا العام ديوان (الألحان الضائعة) للشاعر حمدن كامل الصيرفى ، فان أصالة الشاعر تتجلى في كل صفحة من صفحاته . وقد انتقد عليه ما فيه من كآبة ورمزية كثيرة ، ومع أن شيئاً من هذا لا يجوز أن ينعقد من قدر هذا الشعر فالمعروف أن ديوان (الألحان الضائعة) يمثل فترة من حياة الصيرفى قد انتهت ، إذ ليس فيه شيء من نظم الحديث بل ان شعره متداول منذ سنين ما بين مطبوع ومخطوط ، ونفس الديوان بحالته الحاضرة كان مهماً للنشر منذ سنة ، ولقد تأثر به غير واحد من شعرائنا النابهين وفي مقدمتهم الشاعر الوصفى على محمود طه صاحب (الملاح النائه) . ولعل التقدير الذى لاقاه الصيرفى يشجعه على المبادرة بإخراج بقية دواوينه الممتعة .

عنر وزير المعارف

كتب الدكتور طه حسين في صحيفة (الوادى) مقالاً طويلاً عن فوضى الثقافة في مصر نقرته على معظم ما ورد فيه ونعزته ، وقد ألعنا نحن من قبل في شتى المناسبات الى شئ من ذلك ، فعن من خصوم الزعامات المصطنعة وما يتبعها من معاسد ، وقد قاومنا دائماً فكرة استغلال الأدب للسياسة ونسخير الشباب في ركاب المتزعمين وتضييع مستقبلهم ، وفي الوقت ذاته لم نقصر في بث روح الشخصية والكرامة في نفوسهم ، كما يعلم ذلك كل من له صلة وثيقة بماوتتبع جهودنا الثقافية ، فلا حاجة بنا لشرح ذلك في هذا المقام .

أما الذى يعيننا بصفة خاصة فهو أن الدكتور الفاضل قد شطّ به قلمه في حماسه فتطرق الى تقديرنا لصاحب المعالي وزير المعارف للتشاور معه في معاونة محامتها الفنية هذه . واذا لم يكن وزير المعارف المهيم على التعليم والثقافة في مصر هو الذى يُقصد لذلك فمن ذا الذى يُقصد ؟ نحن نعرف أن هناك جفاءً شديداً بين الدكتور طه ووزارة المعارف ، ولكن هذا الجفاء لا يجوز أن يبرّر له بحال من الأحوال اساءة الظن بالأداء واساءة التفسير لأعمالهم الطبيعية في شدة وإصرار منه ، خصوصاً والدكتور طه يعلم علم اليقين أننا حبيدها وقدّرناه في جميع الظروف التى تقلّب فيها ، فهل له على الأقل أن يحترم أخلاقنا واستقلالنا ؟ ... ليسكن للدكتور طه حسين رأيه في معالي وزير المعارف وهو حرّ في هذا الرأى ولن يخطر ببالنا تجريحه ، ولكن ليدكر أيضاً أننا أحرار في فهم شخصية معالي الوزير وفي تقديرها وفي عرفان فضله على الثقافة المصرية ، وأننا لسنا من يجعل شيئاً من هذا تحت رحمة الأهواء والظروف سواء كانت سياسية أم غير سياسية ، فإن مركز وزير المعارف يجب أن يكون دائماً فوق الحزبية والسياسة . والدكتور الفاضل يعلم جيداً أن المجالات الفنية الصميحة بمصر في حاجة ماسة دائماً الى معاونة الحكومة لها خصوصاً ومتعهدو الصحف والمجلات لن يساعدوها على الرواج ، فهل حرام أن تتجه هذه المجالات المصرية الى الدولة لمؤازرتها بينما تقتصر المساعدات على الأجانب وأعمالهم ؟ اكان أكبر طئنا أن الدكتور الفاضل يحاسب قلمه ولا يشط هذا الشطط خصوصاً ونحن لم نلق منه درة واحدة من المساعدة ولا نريد أن نشير الى عكسها ، ولذلك نعتب عليه أشدّ العتب .

كبير « الدرباء »

كتب اليينا صديقنا الشاعر عبدالرحمن شكرى رسالة طريقة يشير علينا فيها بدل مطالبته بالخروج من عزلته أن نمتنع نحن عن نشر شعرنا سنين طويلة فنزداد شهرة على شهرة ، لأن الناس محولون على الخلاف « وأحب شيء الى الانسان ما ممنوعاً » كما أن في هذا الامتناع تنجياً عن الجو الأدبي الموبوء بالسكيد والاثوم ... وفى نفس هذا الموضوع كتب رسالته الشائقة « الشهرة والخلود » التى نشرتها صحيفة (المقطم) يوم ١٤ سبتمبر الماضى .

وقد يرى انفراد مثلاً من هذا السكيد والاثوم في تهافت غير واحد من طلاب الشهرة على الاشتراك في أعمالنا الأدبية تقدماً أو تفسيراً ، في حين أننا لا نعهد بذلك الا الى خاصة صدقاتنا أو من تربطنا بهم روابط الاعجاب المتبادل ، ثم اذا ببعض ورائك المنهاتين ينظاهر بأنه المطلوب لا الطالب إمعاناً في السكيد لنا وخدمة خصوصنا الذين يتأمر معهم على حساب سمعتنا الأدبية ولكن هيهات ... ولعل أغرب الأمثلة من هذا القبيل أن يلج أحد المتأدبين إلحاحاً في وضع كتاب عما وما نصرفه عن ذلك بلطف ليشتغل بما هو أجدى ينقلب ضدنا ويلجأ للتأمر مع من لا يهدأ له بال الا في ! السكيد لنا وهذه الحادثة معروفة مشهورة .

ونحن الآن نعى باخراج ديواننا (فوق العباب) ومع تقديرنا لحنية مريدنا الأفاضل الذين ودوا الاشتراك الأدبي والمالى في اخراج هذا الديوان كما تفضل بعضهم بمثل ذلك من قبل ، نعلن أننا دفعاً لسكيد الكائدين - وتصرفاتهم في البيئات الصحفية التى يخالطون فيها بين الأدب والسياسة معروفة - سنكتفى باخراج هذا الديوان مجرداً عن كل دراسة سوى تصديرنا الوجيز ، كما أننا سنكتفى باهداء بعض النسخ الى المكاتب العامة ، وباصدار طبعة خاصة محدودة النسخ ، ولن تقدمه الى الصحف للكتابة عنه ، وسنتبع مثل هذه مع الخطة اراء جميع مؤلفائنا المستقبلة ما بقى الجو الأدبي في مصر على هذه الحالة . ولا نحسب أننا نخسر بذلك شيئاً ، ولعلنا في الوقت ذاته نساعد على تنمية الجو الأدبي ورد كيد الكائدين الذين يعادون كل من يقاوم أنانيتهم وعيبتهم ، ولعل هذا يكفيهم لأن يفهموا أن آثارنا الأدبية هى لا نهمسا وحلصائنا أولاً وأخيراً وليست لبيئة المسمومة .

شعراء أبولو

نضم « مدرسة أبولو » كثيرين من الشعراء في العالم العربي ما بين محترفين وهواة على اختلاف في السن والمكانة ، وقد ربطتهم رابطة متينة من الرغبة الحارة في الحرية الفنية الصحيحة وإنصاف اللغة العربية الشريفة بأثبات مساهمتها للزمن وقدرتها الثامة على شتى التعابير العاطفية والفكرية بما لا تبرزها فيه أية لغة حية . وقد أشار الى هذه الغاية الهامة أسناذنا خليل مطران في تصديره لسنننا الثالثة .

وبهذه الروح شجعت (أبولو) إخراج الآثار الشعرية فكان لمجهود هذه المجلة وما صحبها من الدواوين الجديدة في السنتين الأخيرتين أثرٌ بليغٌ جداً في خدمة النهضة الشعرية وإبراز مواهب جديدة كانت خافية ضائعة .

من أجل هذا نقرأ أحياناً من النقد الموجّه إلينا ما يُشير دهشنا أو انقسامنا ، وقد تورّط في ذلك غير واحد من أقاصد الأدباء إما تسرعاً أو استمراءً منهم بحسن نية الى عبث الهازلين بينما هم لا يتصلون بنا على الإطلاق ، واحتراماً لحسن ظننا فيهم نكتفي بهذه الإشارة الآن وثوقاً من أن مثل هذه الآراء المرجحلة لا يمكن أن يتعلقوا بها أمام الحقائق الناصعة .

ومما قرأناه من النقد لمناسبة صدور ديوان (الألبان الضائعة) أننا باستنكارنا نهأنا على المسائل النحوية وما شاكلها نعاذى سلامة اللغة العربية والحق أننا من أحرص الأدباء على سلامة لغتنا الشريفة وإنما نلاحظ فقط أن نقد الشعر في مصر هو غالباً نقدٌ غير فني يُعسنى بالعرض ويُحفظ الجوهر ولا يتفهّم الروح الشعرية .

كذلك أخذ علينا أديبٌ فاضلٌ استعملنا كلمة « أصيل » بمعنى original وادّعى سامحه الله أننا لم نستطع تفسيرها له مع أننا لم نذكر له المقابل الفرنسي إلا من باب الاكتفاء لعمنا أنه يعرف الأدب الفرنسي ، فعاد الآن يقول إن الكلمة العربية اللاتقة هي « مطبوع » لا « أصيل » ، وشجّمه هذا على اتهام شعراء أبولو (وبينهم أعلام في الأدب واللغة) بالمعجز اللغوي والتفرّج الخ . . وهذا في الواقع عكس حالهم : فإن شعراء أبولو يخدمون اللغة القسية الأدبية

عن طريق الشعر أجل خدمة ، وهم يابون تقليد سواء للأدب العربي أو للأدب الفرنجى
ويعززون الطلاقة الفنية والتعبير عن ثقافة العصر بما تحتويه من عناصر مختلفة عربية
وفرنجية على السواء . فن الخطأ إذن مثل هذا التصرع فى الأحكام على قوم يعرفون
من أدب لغتهم الكثير ، ويعرفون هذا الأدب ، ويعملون على تطويع اللغة للتعبير عن
شئ الخواطر والمواجيس والآراء والمباحث المصرية ، بدل أن يقيموا بحظ البيئات ...
مثل هؤلاء أيها الصديق يستحقون الاحترام ولا يجوز أن يوصف أديهم المتعذر
الماضج بأنه فحش قاصر لمجرد أنه مخالف للتقاليد ، فنل هذا الحكم المتعسف ثولى
بأن يطبق على النثر المصرى قبل النظم المصرى .

أما عن وصفنا الشاعر بأنه « أصيل » فمعناه أنه واضح الأدب بجيد لا يعتمد
على غيره (وهو ما يمتد من مادة أصل أصالة) .

أما لشاعر « المطبوع » فهو الذى يأتى بالشعر من دون تكلف . فالأول شاعر
مبتكر له شخصية مستقلة ولا يقلد أحداً ، وهو غالباً شاعر مطبوع ، إذ يوجد أحياناً
الشاعر الأصيل الذى لا يستطيع أن ينظم بسهولة ولكن شعره فى نهاية يستحق
الاحترام لأصالته الممتازة ، كما يوجد الشاعر المطبوع الذى ينظم بسهولة مذهشة
ومع ذلك لا يكون أصيلاً نظراً لتأثره بشاعر يحتذيه ، فلا يمكننا أن نضع شعره فى
المستوى العالى الذى يصح فيه شعر الشاعر الأصيل ولو لم يكن مطبوعاً . فن هذا
البيان يرى الناقد المصنف أننا خدمنا اللغة باستعمال كلمة « أصيل » منذ زمن بعيد فى
هذا المعنى ولم نسميها أبداً اسامه ، ولم يجئ هذا الاستعمال مظهرأ لى بل مظهرأ
للتأمل الدقيق فى لغة ، فان لم نذكر عليه فنحن على الأقل لا نستحق من أجله اللوم

وأما تصديرنا لديوان لصيرفى فلا يدعو الى ما ذهب اليه « اقدنا الفاضل ونحن
ندع للصيرفى نفسه واجب الدفاع عن شعره كما تركنا ذلك من قبل لغيره من أعضاءنا .
ومع هذا فواجب أن نقول إن صاحب ديوان (الألحان الضائعة) كان يريد أن
يسقط مقطوعة « عقب الصيجارة » فأبيننا عليه ذلك ، فسنا إذن من يصغر هذا
اللون من الشعر كما يقال ، خصوصاً ولنا شعر من هذا القبيل فى ديوان (الشفق
الباكى) وغيره . كذلك لم يكن من الختم أن نشير الى جميع شعره الرائع فهو كثير ،
وحسبنا أن نمر ب بعض الأمثلة وفى مقدمة ما ذكرناه منها ملحده عن « الشاعر » .
واذا كان الناقد الفاضل لا يشعر بالفصول فى مصر فالشعراء يحسون بها تمام الاحساس
وخصوصاً بالربيع ، ولا يفوتهم ما يصدده هو من التوافه أو النوادر كموت البلبل

وجفاء الطبيعة ، فهذه الحوادث العرضية للرجل الاجتماعي هي حوادث كبرى للشاعر الحماس وقنما يفوته التعبير عنها اذا ما التفت اليها . ونحن لا يرضينا من شعرائنا صدى الطبع أو الحول ، فلا نقبل أن نقول لهم دعوا هذه الطوارئ المؤثرة على فرض أنها تاددة الحوادث لمن يعيش بين أحضان الطبيعة أو يلتفت اليها الالتفات الكافي . ولعل نظرة من حضرة الأديب السافد الى ما كتبه السافد المعروف صديق شيبوب عن الحياة الأدبية وديوان صالح جودت والألحان الضائعة في جريدة « البصير » يوم الجمعة ١٤ سبتمبر أعمت أشعره باليون الشاسع بين ما خطر له في عجلة أحكامه وبين ما خطر لنا قد قديم أكثر صلة بالنهضة الشعرية والحركة الأدبية في مصر مثل صديق شيبوب .

انتهاف الشباب

أشرنا في العدد الماضي (ص ٧٢) الى المؤازرة الموجهة الى أعضاءنا الشباب لإخراج مؤلفاتهم تباعاً ، وكان في مقدمة هذه المؤلفات (رواد الشعر الحديث) للشاعر الناقد مختار الوكيل . وقد تلقينا تشجيعاً وثماً على ذلك ، ولهذا نأسفنا غاية الأسف لأن تسمح زميلتنا مجلة (الأسبوع) بنشر ما ينتقص ذلك ، وأن يند قلم الأديب المماويل كامل بهذا الانتقاص والتشويه لغاياتنا الثقافية ، وقد كان يشافها من قبل بحسن ظنه فينا وفي أعمالنا ... وما قيمة الأدب الذي ينتمى شأنه الى مثل هذه التخريصات الفارغة والقال والقبيل محاربة الجمعية تبذل جهدها لخدمة الشعر العربي خدمة خالصة بعيدة عن التحيزات والشخصيات ؟ وكل ذلك لأنها تأتي أن تسير في ركاب هذا أو ذاك !

وليس مراً مكتوماً أن بين مختار الوكيل وبين صاحب « الأسبوع » وبعض محريه سوء تفاهم شديد لمسألة شخصية محضة لا شأن لها بتأناً ولا شأن لها بالأدب ، كما أننا لا نتحمل مسؤولية الآراء في كتابه الجديد بل تحالفه في جانب منها ، فما يؤسف له جداً أن تتورط هذه الرميّة في مثل هذا الطعن القبيح في ذمة مختار الوكيل وفي ذمتنا وهي التي كانت الى وقت قريب تعدّه غاية المدح ، وأن تجعل صفحاتها مسرحاً لهذا الكيد لنا ولأعضائنا وأصدقائنا بقلم لا نعرف الصديق ولا الخجل اعلاناً عن أصحابها وبراً بأصحاب « الامارات » المصطنعة على حساب الأدب والأدباء ...

ولو تدبر هؤلاء السكائدون رأوا أن جميع مناوراتهم مكشوفة ، فنحن لن نتخلى
بأى حال من الأحوال عن رسالتنا الأدبية في هذه المجلة وغيرها ، كما أننا نستطيع
أن نستغنى استغناء تاماً عن كل تنويه بتأليفنا الشخصية ، فلا نحن نعمل للريح المادى
ولا نحن في حاجة الى التصفيق والتهليل ، وإنما لذتنا الأدبية لذة الهواية الصرفة قبل
كل اعتبار آخر ، فمن أراد ثمار أدبنا فعليه أن يسعى لها فمن نكون نحن الساعير اليه ،
وان دخن هذا الأدب لأهون علينا من تصنع الأخلاق السكرية والمن السقيم الذى
تضج به تلك النفوس المريضة المفسدة للجو الأدبى فى مصر . وقد ضج الأدباء
المخلصون من جمل الأدب مطية للسياسة ومن تشويه سمعة الأدباء المقاد باسم
السياسة كلما قالوا كلمة الصراحة والاخلاص ، والأذى من هذا أن يدس هذا المنزعم
أو ذاك سفيراً له فى معظم المجالات والجرائد السيارة لمحاربة خصومه وعرقلة النشر
لكل ما لا يرضيه ولو كان أدباً فاضحاً ، فلا عجب بعد ذلك إذا تألم معالى وزير
المعارف وجميع الفيورين على حرمة الأدب من هذا الاضطراب المسى الى سمعة مصر
الأدبية فى العالم العربى .

الركن ناجى

شق عينا كثيراً ما بلغنا فى الشهر الماضى عن إصابة صديقنا الدكتور ابراهيم
ناجى وكيل (جمعية أبولو) فى حادث اصطدام بمدينة لندن إصابة خطيرة سئل
من أجلها للعلاج فى مستشفى سانت جورج . ولكن يدرنا أن نعلن الآن تماثله
للشفاء وأنه سيعود الى مصر فى أواخر هذا الشهر . وهذه بشرى نرف الى محبيه
الكثيرين فى العالم العربى الذين يحلون أدبه ويمشقون لطفه .

وبهذه المناسبة نأسف لما قرأناه من تحامل على الدكتور ناجى حتى فى غيبته
وأثناء مرضه ، بينما ناجى لم يدافع عن نفسه إلا الدفاع المعقول المشروع . وعندنا أنه
ما كان يجوز له الاستيلاء من الدكتور طه حسين بعقبة حاسمة ، ففضل الدكتور طه
على النقد الأدبى قديم معروف ، ولكنه فى ظروفه السياسية الحاضرة التى غرق
فيها الى أذنيه لا يملك الوقت الكافى للدراسة العميقة ، كما أنه لا يملك الاستقلال
الذى يفرض له أن يكون ناقد أدبياً جريئاً ، أى قاضياً عادلاً بعيداً عن الحباثة .
فأحكام الدكتور طه الأدبية فى الوقت الحاضر تقبل لما فيها من معالم الذكاء لا غير ،

لأنها أحكام عادلة ، إذ كثيراً ما تكون بعيدة عن ذلك . ولكن الدكتور طه
ساحر المبارة حتى ليقفنا بحجتيات حكم الاعداء علينا أو على واحد من أصحابنا وهو
يبعث في الشعر المنقود لساجي جاهداً عن كلمة خرجت من الأزرار الشريف حينما
يتفاضل عن عبارات الحشو الثقيل في شعر العقاد التي لا نعرف ولا يعرف الشيطان
من أين خرجت !

ضجة مفتعلة

كتب الشاعر عباس محمود العقاد بامضاء أحد أتباعه مقالة من مقالاته المستورة
في جريدة (الوادي) المؤرخة ٢١ سبتمبر الماضي بعنوان « ضجة مفتعلة » كلها تهجم
عنيف علينا . وقد خطر في بالنا أولاً أن نعمل التعليق عليها — خصوصاً وقد ظهرت
ونحن على وشك إصدار هذا العدد — ثم رأى فريق من زملائنا غير ذلك حتى يرى
الأدباء النقاد من أين يأتي حب الانقسام والاساءة إلى الأدب والأدباء حتى بأقلام
من ينسبون إلى مهنة التعليم وهم أبعد الناس عن رؤوسها وأخلاقيها . وقد رأى
القراء كيف أننا دائماً نقف موقف الدفاع الشريف ، وحتى هذا الموقف لا نقفه إلا
اضطراراً بعد استفاد كل ما لدينا من حيل ، وأتينا نقفه دفعاً للتزوير على التواريخ
الأدبية ودفعاً للاساءة إلى النهضة الشعرية الحديثة . بيد أن صفحات هذه المجلة الشعرية
لا تقسع لمثل هذا الأخذ والرد ، ولذلك فقد اضطرر في المستقبل إلى الكتابة في
زميلتنا (الإمام) التي ستستأنف ظهورها في القاهرة ابتداء من منتصف هذا الشهر .
وقد كان بوجدنا أن في نسبة هذا المقال إلى العقاد كما ننفي نحن نسبة كل ما يظن أنه
من قلمنا اساءة لأحد ، وكلنا فعلاً بعض مريدي العقاد في ذلك ليتوصل من هذا
العبث ، ولكن سمعنا في ذلك كان على غير جدوى .

اهتم العقاد كعادته في مستهل هذا المقال الذي شغل نهري من (الوادي)
— وهو واحد من سلسلة المقالات المنتظمة لمحاولة النيل من الأدب ما كان يتبع
صديق عبد الرحمن شكرى منذ عشرين سنة — اهتم بالتهوين من شأننا والتعظيم من
شأن نفسه ، وهي طريقة مبتذلة في الكبرياء المصطنعة أصبحت تمنحها حتى بيئات
التهريج ... ولو أراد العقاد راحة نفسه لترك التقدير الذي ينهات عليه للتاريخ
والقدرة التي الخالص ، ولتخلي في سنة الحاضرة عن أمثال هذه الاعلانات الرخيصة

المضحكة ولكن هي الغيرة الحقاء من كل أديب نابيه لا يسير في ركابه وله رسالته الخاصة ، وآخر غرائها الحلة التي نظمها على الكاتب الاجتماعي النابيه أحمد الصاوي محمد في أكثر من صحيفة .

ونقرأ بعد ذلك كلاماً عن رجولته المكتملة ، وأنه رجل صراع وطني وأدى تحاربه قوات محتمة ومتفرقة فيصمد لها جميعاً ، وأما نحن ففي هدوء من البال وطراوة النعيم ، الخ ... وهذه الكلمات آية في التشجّع لقلب الحقائق ، ونحن لا نزكي جهودنا المتنوعة وكفاحنا المتواصل في ميادين شتى منذ أكثر من عشرين سنة فهي لا تحتاج الى تزكية ، وما نحياه من حياة البضال المستمر والنقشف والتعب المتواصل أشهر من أن يُعرف به لسكل ذي منطق سليم ، وأما رجولة صاحبنا العزيز المكتملة ومثله الأعلى في الصراع الذي يصح أن يقال فيه « مكره أخاك لا تطل » فوقفه الخزي أثناء محامته ، وهروبه من ميدان الأدب الى ميدان السياسة ليحارب زملاءه بأسلحتهم الخفية . ولا نعرف أن هناك قوى تحاربه فهذا تهويل في تهويل وجمجمة فارغة ، بل انما يترغض له من متاعب ترجع الى دعوته وسلطة لسانه أقل بكثير مما ترغض له زملاؤه الصحفيون المجاهدون الذين لا يضجون منل هذا الضجيج لغناً للأنظار وتظاهراً بالبطولة . وأما الصرع الوطني الذي يتحدث عنه فاننا لا نفهمه كما لا نفهم هذا الكفاح الذي يتشدد به ، وانما نفهم منه فقط أنه ضحك على الذقون ! فهذا كاتب يتناول مرتباً حسناً من (الجهاد) ومكافأة مالية من (الوفد) وكل جهوده مقصورة على مقالة سياسية يومية - هي غالباً عريضة شتائم فارغة لتأثير على الدهاء - ومقالة أدبية أسبوعية ، وله الكثير من الوقت لمرجه ومتعه ، بينما نعانى نحن ما نعانى من المشقات والتضحيات المتنوعة والمسؤوليات الكثيرة وصنوف المحاربات عاماً بعد عام . وما زال صاحبنا يتوهم أن في ظهوره بمظهر الصنم وفي لطمه ذوى الفضل عليه وفي تشبيهه زأويه ومجتمعههم بحديقة الحيوانات وتسجيله ذلك في شعره ما يكسبه الرجولة والعظمة والاحترام ، فيعيرنا بوداعتنا وهو ادتنا ويحول أن ينتقص رجولتنا ، ولكن كل من عاش في البيئات المثقفة في أوروبا وخالف رجال الأدب والعلم فيها يعرف أن أخلاق الاجالاف ليست من العظمة أو الرجولة ولا من احترام النفس في شيء ! وبحمد الله لم يمن الشباب الذي امتزج بها الا الشعور التام بالرجولة والاستقلال والاباء وشيم النفس وأمثال هذه الصفات التي نبشها فيه ولو فار بعضهم علينا - وقد نشرنا الى ذلك من قبل - وليس مثل هذا ما يستطيع أن يباهي به العقاد نحو

من عاشروه من لشبان . وما يتردد علينا منهم إلا أبناء البيوتات الطيبة ، فما بقوله ذنب آخر من أننا نعول هذا أو ذاك هذر في هذر ، فان إنفاقنا على العلم والأدب لا على الأشخاص وليس لغايات شخصية ، والعكس كل العكس حال خصومنا .

وأما من آرائنا الفلسفية ونأمل أننا الفكرية فتغلغل في دواويننا ومؤلفاتنا وهي من صميم خواطرننا لا من آفكار مطالعائنا وحدها . فلا تدفع بصاحبك المسكين الى العيب في شعرنا قبل أن نحرم عليه اتهامه ، اذا كنت أنت تريد التظاهر بالتعفف عن مثل ذلك ، وهذه احدى قصائد الأخرى : النفس الضائعة « المنشورة في مجلة (الرسالة) المؤرخة ١٧ سبتمبر الماضى منهوبة الخواطر والمهني من قصيدتنا « أفصى الظنون » (ديوان الشفق الباكي - ص ٣٠٠) وذا غفرنا لك ما انتهبه أنت بجانب ما لك من حسنة فلنحسن على الأقل اختيار من توكل اليهم مسؤولية مهاجمتنا بهذا الاسلوب الرقيق . وإنما عن شعرنا الذى يتمثل فيه تقديس المرأة روحاً وجسماً ومعنى فهو أبعد ما يكون عن الإباحية لدى من يفهمه ، وإنما هو صورة التسامى والطبيعة النقية ، ولم يقل أحد عن ذلك مجرد وصفنا شتى الاحوال النفسية ، بل نحن نغار على قدسية المرأة أشد الغيرة ، وتفسيركم هو صورة تقوسكم المريضة . وإنما هذه الإباحية بل الشذوذ البغيض هو مما يُطعن من ثنايا شعرك ، ونحن لا نعرف الاتفاق الذى نعرفونه . تتم فيها المهالقة المتصنعون وأنصار الفضائل الموهومة .

وأما الحقد العظيم فشئ لا نعرفه أيضاً ، لأن أشهى ما عندنا أن نعيش للجمال بما فيه من حربة وسلام وقد تقدمنا أدبك وقد رناه فوجدناك لا تقنع بأقل من التأليه فرائنا من الخير بعد ذلك أن نتركك وشأنك إذ لا خير في مثل هذا الغرور والأتانية . ولولا تعرضك لنا بالسوء وطعنك في شرفنا وأخلاقنا ، ولولا المناسبات الأدبية التى تقضى الأمارة بدورك فيها ، لأغفلناك اغفالا تاماً . ونحن نتحدى أى انسان يقول إننا أصغرناك عند من قسوا في نقدك ولم تكن منصفاً لك من وجوه شتى .

ونحن لا نعرف أحداً يختلط بنا إلا من دوى الفضل والمكانة والشباب المثقف ، ومن عداهم فلا صلة لهم بنا ، وقد تكون لهم بك هذه الصلة بالمعنى الذى تذكره . وقد يساعد بعض البائسين أحياناً على قدر طاقتنا كما ساعدنا صاحبك الشتام الجاحد ، وهو آخر من ينبغى له التحدث في هذا المعنى ، ولينقدم أولئك تقدم أدب نيابة عنه بسداد ما اقترضه وما يقترضه بمنة ويمرة من الكثيرين ثم يدعى بعد ذلك أنه من تعرض عليه النقود في حين أنه لا يعطى لأحد فرصة لمثل هذا العرض . . . ولكن هي

الصفافة المتساهية وطبيعة الاختلاق التي تسترها الليونة والابتسام الى أن ينفضح أمره وتظهر خديعته وريؤه، وحينئذ يشور ويتكلم عن « القاذورات » وأشباهاها كأنما هذا من لغة معلمي المدارس التي ينسب إليها !

ولم يجعل ذلك القلم السليط من الخط من أدب مطران وشكري وتصور التنويه بها ضجة مفتعلة ، وأما سخافة « امارة الشعر » التي تورط فيها الدكتور طه حسين (كما يتورط الآن عن حسن نية في مقالات كثيرة مغرضة بتأثير من حوله من الموسوسين) فليست من الضجة المفتعلة في شيء !

إن مطران يا هذا ملأ الأسماع والأبصار بأدبه الناضج منذ نصف قرن ، وهو في عيني تام عن كل ضجة مفتعلة ، فلا توهوا القراء بأنه مجرد شاعر صادفته الشهرة ، وخطبتا في هذه المجلة كانت دائماً معارضة الرطامات المفتعلة حتى رفضنا تنقيب مطران بأمر الشعراء وشاعر الأقطار العربية كما رفضنا أن ننشر الأمداح الموجهة اليما قبل أن يخطر في بالك التمسق بهذا الصغار . . . ولا نود أن نقول إنك عدت الى ذكر شكري مضطراً في الوقت الذي نريد أن نختم بسلام هذه المسألة ، فنطير أن لا نعود الى الغمز في أدب شكري وأخلاقه وننتعلم محبة القديعة له التي لا شأن لها بك ، ولا الى الطعن فينا وفي وزارة المعارف لمثل هذا التظاهر الرخيص بالبطولة الذي تقوم به من وقت الى آخر ، وما أرخص هذه البطولة العرجاء في بلادنا المسكينة !



وتظهر الامضاء الشريفة ورمزها مرة أخرى في مجلة (الأسبوع) الغراء بعددها المؤرخ ٢٦ سبتمبر الماضي كأنما لم يبق غير هذا الاسفاف ضامناً لرواجها . ونعود فنقول إننا لا نعرف التهجم على أحد ، فكيف نلام بعد هذا إذا وقعنا موقف الدفاع الصريح عن شرفنا وأدبنا ازاء الكاتب المتحامل وازاء المجلة التي تقضى خطتها التجارية بما لانه ؟ قال صَلَّى : الدنيا جيفة وطلأها كلاب ، فن أراد منها شيئاً فليصبر على معاشره الكلاب ! ونحن لا نريد شيئاً من دنيا هؤلاء ، ولكنهم يتخيلون دائماً ذلك فينغضون أنفسهم ويشنون من الغارات ويندءون من الاختلاقات ما ينأى أبسط مبادئ الأخلاق والانسانية ، ولكن ما لهم وللأخلاق والانسانية ودنياهم من غير هذا الطراز ؟ يحاولون الإيقاع بيننا

وبين ناجي وهو مَنْ هو بيننا في المسكانة والإعزاز . ويحولون دوت نشر رسالة مختار الوكيل ردّاً على مزاعمهم الكاذبة وافتئاتهم وقد سلمَ اليَنا نصّها بخطه وسننشرها في مجلة (الامام) الصادرة يوم ١٥ أكتوبر ليرى القراء مبلغ افتتان هؤلاء الأفاضل في التزوير على الأحياء . ويدّعون أنّنا كتبنا الى (البلاغ) مقالة عن « النور في شعر أبي شادي » بامضاء مختار الوكيل بينما نحن نرهد في نشر ما تناولوه من أمداح وتقاريط من أدباء معروفين ، ومختار الوكيل حسن الخطّ ولذلك نجزم بأن مقالتهم ذهبت إلى (البلاغ) بخطه هو ، فليُسال عنها (البلاغ) . وأما وجود « دار ذي القرنين » في الاسكندرية فأمرٌ جائز ، وهذا لا ينفي الشعر الاباحي المستكر ، وما هو بالفريد من نوعه في شعر العقاد ، ولذلك لم يأتهم لا رمزي مفتاح ولا صالح جودت في استنكاره ولم تأثم مجلة (أبولو) في نشر ذلك الاستنكار ، فإنّ تقدير الجمال وتحليله الدقيق شيء لا والاباحية شيء آخر . وأمّا عن آراء اسماعيل مظهر فليُسال عنها هو فشواهدا عنده . وأمّا عن عزيزنا كامل كيلاني فعليه أن يداوى اللطمة التي أخذها أحيراً من الممار في لثقتنه في اصطلياد مواد مؤلفاته من الأدباء البائسين ، وبكفيه أن يطوف على المقاهي بأهاجيه لنا ، وبمقالات تقرّبه على الصحف سواء مباشرة أو بالواسطة . ونحن لا نعمل سرّاً في أي مجال بل حولنا من حولنا من أدباء شهود يعرفون إذا كنا نعمل لأنفسنا أم نعمل لغيرنا ، ومختار الأمداح أم تهفّف عنها ونشد البقد الصريح النزيه . وعدد (الأسبوع) الأخير كله هوسٌ وجنونٌ في مهاجمتنا في صفحات متوالية الى درجة الإشارة الى ماضينا ، كأننا كنا من مقلّدي القلمة وقهوة اشيشة وغيرها أو من مهرّجي قلمة أبي جبل أو من صهاليك الصحافة الأوغاد . . . وهكذا يكون السيل وسادننا النبلاء ١

هيمت

كما كتبنا في العدد الماضي كلمة مؤاخذه صريحة للأديب عبد المتاح حمودة على نقده لشعرنا الذي جعله في الواقع طعماً في ذمتنا وأخلاقنا قبل أن يكون نقداً فنيّاً ، وهذه عادة سيئة ذائعة بين النقاد لأنقلّ عنها سوءاً أن يعتبر الناقد المنقود أقلّ منه أدباً وفكراً فيتورط في أبجديات نقدية لا معنى لها . وما النقد الأدبي الخالص فمادتنا الترحيب به ومنافسته في هدوء ، والشواهد الماضية كثيرة على إخلاصنا في ذلك ، بل نحن نشكر الناقد الأدبي الصريح ولو تحامل علينا مادام يكتب بحسن نية .

وقد جاء الأديب الناقد في جريدة (الوادي) المؤرخة ٢٨ سبتمبر الماضي برؤية
ليس فيه ذرة من الانصاف والاعترااف بالخطأ والاستقلال الذي يدعيه، بل فيه ما فيه
من زيادة التهم علينا، وحسبنا انصافاً له ولا نفساً أن نوجه اليه نظار القراء
ليتبينوا بأنفسهم روح الكاتب الفاضل ومراميه، ثم ليحكموا له أو عليه وعلى غيره
من ينفضون بتجريحنا في جريدة (الوادي) رعاية من هذه الجريدة المحترمة لصديقتها
العزیز عباس محمود العقاد ومن يلوذون به، بعد أن أصبح الدكتور طه حسين لا يتحرز
من التأثيرات الشخصية والعصبية السياسية حتى ولو كانت ضد رجل مایزال يحترمه
ويحسّن الظن به ولا شأن له بالمعصيات السياسية كمحرر هذه المجلة .

أینا المتمرر بالشباب ؟

لقد دفع سخط العقاد وأذنبه علينا (لأننا أینا إلهة التفریر بالشباب ودفن
مواهب الرجال المبررین الذين حاربهم) الى الالتجاء الى راية السياسة كما أشرنا من
قبل، واستغلال الصحف التي تجاهله لما وأننا بكل وسيلة ومنها اتخاذ الشباب للاختلاق
ضدنا واساءة تفسير جميع أعمالنا وبين هؤلاء من لم يبرحوا أول سلم الأدب ... من ذلك
أننا اذا ضنا بفراعسا في (أبولو) لدراسات تخصصت ونشرناها مستقلة لم نكن
مشكورين على هذا الايثار بل كان ذلك جريمة وأی جريمة، ووجب شتيمة من يقدروا
ولو كان مثل خليل مطران أو أحمد محرم الذين ترجع علاقتنا الأدبية بهما الى سنين
بعيدة ! ومن ذلك أن يقال إننا نستجدي التقريظ ونحن الذين نأبى نشره في هذه
المجلة وغيرها، وبينه ما ينشر غيرنا بذاعته كما يفعل العقاد في « الجهاد » وسواه،
بينما نحن الذين كنا ولا تزال القدوة المثلى في نشر النقد الصارم كما فعلنا في نشر
مقال صديقنا الفاضل محمد سعيد ابراهيم في ديوان (الشفق الباكي) في حين يولول
غيرنا لأى معنى من معانى النقد ! ومن ذلك أن أتباعنا نسق النشر الذى أثره
صديقنا الأديب الصحفي المطبوع حسن الجداوى أو تعاوننا الأدبي مع مريدنا
من جميات وأراد معناه انعدام شخصياتهم في كل هذه الآثار الأدبية التي تخصصت
وبكى عندهم دليلاً على ذلك ارتباطا بمطبعة واحدة مشهورة خدمتها وخدمت
أصدقاءنا سنين طويلة فمائل الحروف والنسق في اعتبارهم الحكيم معناه انعدام الشخصية !

والاظرف بعد كل هذا أن من بوكّل بنقدنا من الناشئين هم من أنصَح لهم أشعارهم وأدبهم ، ومع ذلك يدّعى خصوصاً أن هؤلاء نقاداً فاضحون مستقلون ! ها هي مجلة (أبولو) في سذنتها انثالمة مزدحمة بانتاج العشرات من الشعراء والنقاد ومع ذلك فنصيبنا الشعري فيها قليل ، ولم يُعرف عنا أننا استغللنا جهود أحد منهم للإعلان عن أنفسنا ، بل كان ولا يزال كلُّهم أن نكون عاملين في المؤخرة وأن ندعِ الصدارة كلَّ الصدارة للشباب المنجمين ، نُشغلهم بالخيير المحض بينما يُشغلهم سوانا بالتعزّيات الشخصية والمنازعات ... ولقد أراد الدكتور رمزي مفتاح أن يضع كتاباً عنّا فصرفناه عن هذا الجهد الكريم ، وأراد مثل ذلك العوضي الوكيل فأبينا عليه هذا الفضل ، وأراد مخنار الوكيل أن يكتب دراسة طويلة لديوان « فوق العباب » فشكرناه معذرين ، وقد تطول بنا القائمة إذا سردنا الأسماء الكثيرة . فأبينا بعد هذا يغور بالشباب أيها العابثون !

أدب أم فلة أدب ؟

قد تمرّ بنا أشياء كثيرة لا أهمية لها في ذاتها ، ولكن لها أهميتها في تاريخ التيارات الأدبية في وقتنا الحاضر ، وهذا ما دفعنا إلى كتابة هذه التعليقات المختلفة . مثال ذلك أن تعلن صحيفة تحترمها عن قرب اشتراك أحد مریدنا في تحرير صفحتها الأدبية ، ثم إذا بكل هذا يُعدّل سريعاً فيحال حتى دون نشر أدبه ويحل محله آخر لا صلة له بالأدب ، ويكفي أنه موظف تجاري لا أكثر ولا أقل ولا ثقافة أدبية خاصة له ولا مراعاة كتابية قوية عنده ، وكل ميزاته أنه أحد أذئاب العقاد المنزلقين يحمل له في كل يوم جمعة صينية الكيبية ، وينضم إلى من يسميهم أحقاد أعضاء « جنينة الحيوانات » ، مقسلياً العقاد بهم ومستهباً بشأنهم ، وهو المقدّس المشكور منهم على أي حال ! وهذا الإبدال له النشاء الواجب حتماً ، والنشاء الواجب يتشكّل طبعاً بمهاجرتنا لمهاجرة فنية ولكن مهاجرة من قلة الأدب لحمتها وسداها الطمرن في الذمم بقم أسير يتصنع الصدق والحرية . وبعد هذا ندع الكلام للشاعر الناقد صالح جودت في صحيفة « الامام » التي ستصدر في منتصف هذا الشهر ، فإن له خبرة خاصة بهذا الصنف من المتطفلين .

ويتحدث ذنب آخر عن تعفقه عن ذكر ماضينا الذي تقهر به كل المعسر ، والاولى

به أن يذكر القراء بماضيه هو في الصعلة والتسكع، وبما كتبه المهيباوى في «الآخبار»
وعبد القادر حمزه في «البلاغ» عن ماضى العقاد من جهتي السياسة وغيرها، حتى
يحذر قليلاً في ما يريد خلقه من عصبية سياسية موهومة ضدنا، بينما نحن نحترق
هذا الانحياز بالسياسة كل الاحتقار ونجده في أي مخلوق يدعى ما يدعيه العقاد من
أننا نعمل بايعاز أي سلطة أو بكافة أي سلطة لناواته الزعومة كما أوهم أحد أذنا به
في كتاباته، وكما ذكر العقاد نفسه تكرر أ في مجالسه إيهاماً بعظمته وطعنات في شرفنا
بهذا السلاح الخسيس، بينما شرفنا الوطني وشرفنا الشخصي كلاهما أسمى من أن ينال منه
أي إنسان على الإطلاق فضلاً عن مثل العقاد وأذنا به.

إلى أصرقنا أبولو

وبعد هذا، نعلن صدقنا (أبولو) بأننا تلقينا ردوداً شتى على ما وجهنا إليها
من حملات، ولكننا آثرنا أن نكتفي بملاحظاتنا المتقدمة التي لجعلها الأخيرة من
بوعها في هذه المجلة وأن ننزه صفحاتها تنزيهاً مطلقاً عما يجوز أحياناً في الصحف
اليومية، فإن في تأييد وزارة المعارف المصرية ووزارة المعارف العراقية والمعاهد
العربية في الشرق والغرب هذه المجلة معني سامية لا ينبغي تسكينه بالدخول في
المنازعات التي لا تسلم غالباً من أضرار الأحقاد.

١٩٣٤-١٩٣٥



ذكرى المتنبي

أذاعت طهران إقامة تذكّار للفردوسي شاعر الشاهنامه كما سبق لقول، والان
تذيع الأفطار العربية الاحتفال المرتقب بذكرى المتنبي، فأقول في ذلك:

تمهيد

إن المتنبي الشاعر المشهور الكندي ترك لنا آثاراً شعرية ليست بأقل مما تركه

غيره من شعراء الأعاجم ، فإذا لم يكن قد نظم ملاحم كاليادة أو ميروس وشاهنامة
الفردوسي وكستان السعدى وفردوس ملتون وروايات شكسبير وتأملات لامرتين
وقصائد هيكو وكوميدية دنتي ومنظومات مرفنتس وغيرها فقد ترك لنا ديوان
شعر ملاء بالحكم والحكمة والأوصاف البليغة والأفكار الرائعة في وصف الحروب
والأسد وغيرها مما حلله الذكر وحمل كثيراً من العلماء على شرح ديوانه حتى كان
شراحه أكثر من أربعين وآخرهم الشيخ ناصيف اليازجى في (العرف الطيب) مما
طبعه ولده الشيخ إبراهيم ، إلى غير ذلك مما يدل على مكانته الكبيرة في عيون العلماء
قديماً وحديثاً ، وفي السنة الثانية عشر على وفاته ألف سنة وهو رفيع القدر ذائع الذكر .

من هو المتنبي ؟

سمى بذلك لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة وأمر وحبس . وهو الشاعر العربي
الفرغوى الجميل الطراز في أساليبه والفيلسوف المبدع في حكمه فقد ملأ حلب الشهباء
بمدائح سيف الدولة بن حمدان حاكمها وسار إلى مصر فلم يقصر في أوصافها وأجاء
في كل ما نسجته يراعتة وابتدعته فسكرته وأنتجته مخيلته ومنلته بلاغته مما تناقلته
الرواة في كل عصر وأكبرته العلماء في كل مصر حتى في الأندلس والمغرب فلقبوا
بعض شعرائهم باسمه تيمناً مثل ابن هاني (متنبى المغرب) ، فهو أبو الطيب أحمد بن
الحسين الكندي الذي طار ذكره بين الشعراء وكان مولده في الكوفة سنة ٣٠٣ هـ
(٩١٥ م) وتوفي قتيلاً سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) فلو عمر أكثر من ذلك لما ترك
مقالاً لقاتل ولا مجالاً لجائل ، وكان سبب قتله قوله مفتخراً :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلاني من به صمم
الغيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

آراء الكتاب فيه

ومما يروى عن الشيخ ناصيف اليازجى شارح ديوانه كما سبق أنه رأى أحدهم
وقد كتب على نسخة من ديوان المتنبي هذين البيتين :

أسأل الله إله العرب من ذا الأفضال دني
حسن لفظ الأرجاء في حفظ المتنبي

فمكتب لحنهما من نظمه :

قد تمنى حسنَ حظِّه فأرانا حسنَ لبِّه
طلب الممكنَ إذ لم يرجُ نظمَ المتنبي

وكان اليازجي مولعاً بالمتنبي وشعره حتى تعداه عنظومه وكان يحفظ أشعاره ،
ومن آثار ذلك أنه لما وقف على طبع معجم (محيط المحيط) لبطرس البستاني وكان
بمدرسته الوطنية ملاً للمعجم شواهد من المتنبي مما وعاء في حافظة النادرة ، وكثيراً
ما كان يقول : المتنبي يمشي في السماء والشعراء على الأرض !

ومع ذلك فقد انتقد المتنبي بعضهم وهجوم حسداً من ابن لمكك البصري
النحوي وشاعر آخر غيره بأنه كان سقاه بالكوفة بقوله :

أى فضلٍ لشاعرٍ بطلب الفضلِ من الناس بكرةً وعشياً
عاش حيناً يبيع في الكوفة الماءَ وحيناً يبيع ماء الحيا ١٢

وكتب بعضهم في مدحه وهجائه وتقدمه ، وردَّ آخرون عليهم أقوالهم ، وذلك
مما لم يسبق لغير المتنبي من هذه العناية الفائقة بشعره .

وقال ابن الأثير في محاسن المتنبي بمثله السائر :

« وأحسن من هذا قوله في قصيدته التي مطلعها (عقي البمين على عقي الوغى
ندم) :

فاتركن بها خلدأ له بعصره تحت التراب ولا بازأ له قدمُ
ولا هزبرأ له من درعه ليدت ولا مهاة لها من شبهها حشمُ

وهذا من المثلج النادر فالخلد استعاره لمن احتفى تحت التراب خائفاً ، والياز
استعاره لمن طار هارباً ، والهزبر والمهاة استعارتان لرجال المقاتلة والنساء من
السياف » (١٥) .

وعقد باباً للمفاضلة بين المتنبي والبحتري في وصف الأسد وأورد أبياتاً من
القصيدتين البائية للبحتري واللامية للمتنبي ثم عقب على ذلك بقوله :

« وسأحكم بين هاتين القصيدتين والذي يشهد به الحق وتفتيه العصبية أذكرو ،
وهو أن ممانى أبي الطيب أكثر عدداً وأسند مقصداً . ألا نرى أن البحتري قد

قصر مجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح في تشبيهه بالأسد سره وتفضيله عليه أخرى ولم تأت بشيء سوى ذلك ؟ وما أبو الطيب فانه أتى بذلك في بيت واحد وهو قوله :

أمعقّرَ الليث الهزبر بسوطه لمن ادّخرت الصارم المصفولا ؟

ثم إنه تفنن في ذكر الأسد فوصف صورته وهيبته ، ووصف أحواله في انفراده وفي حبسه ، وفي هيئة مشيه واختياله ، ووصف خلق بخله مع شجاعته وشبه الممدوح به في الشجاعة وفصله عليه بالسقاء . ثم انه عطف بمد ذلك على ذكر الأنفة والحمية التي بعثت الأسد على قتل نفسه بقاء الممدوح ، وأخرج ذلك في حسن مخرج وأبرزه في أشرف معنى .

والبحترى وإن كان أفضل من المتنبي في صوغ الالفاظ وطلاوة السبك فالتنبي أفضل منه في الفوص على المعاني ، ومما يدل على ذلك أنه لم يعرض لما ذكره في أبيانه الرائية لعلمه أن بشرا (١) قد ملك رقاب تلك المعاني واستحوذ عليها ولم يترك لغيره شيئاً يقوله فيها ، وانعطاة أبي الطيب لم يقع في ما وقع فيه البحترى من الانسحاب على ذبل بشر لانه قصر عنه تقصيراً كثيراً . ولما كان الأمر كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك الطريق وسلك غيرها فجاء في ما أورد مبرزاً .

واعلم أن من أبين البيان في المفاضلة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد اثنتان منهما على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معان كتوارد البحترى والتنبي هاهنا على وصف الأسد . وهذا أبين في المفاضلة من التوارد على معنى واحد يصوغه هذا في بيت من الشعر وفي بيتين ويصوغه الآخر في مثل ذلك ، فان بعد المدي يظهر ما في السوابق من الجواهر وعنده يقين ربح الرابع وخسر الخامس هـ .

وأنشد المعتمد بن عباد الأحمى صاحب قرطبة واشبيلية في الاندلس يوماً ما في مجلسه بيت المتنبي من قصيدة :

إذا ظفرت منك العيونُ بنظرة أتاب بها معي المطى ورازمة

(١) يريد بشر بن أبي عوانة في قصيدة قتله للأسد التي مطلعها :

أظلم لو شهدت بيطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

وقد شطرها محمود قبادو التونسي تشطيلاً زادها سلامة ومماني وحسن وصف .

وجمل يردده استحساناً وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسي
فأنشد ارنجبالاً :

لئن جاد شعرُ ابن الحسين فأنما تحييد العطايا والآلهي تفتح اللهيا
تنبأ عجباً بالقريض ولو درى بأنك تروى شعره لتألفها
ومن بلاغات المتنبي الفائقة انه وصف بيتين ما وصفه أومبروس كبير شعراء
اليونان في إلياذته بأبيات ، وكان لعتفي براعة بديعة فيها ، وهما :
صدمتهم بخميس أنت غرته ومعه ريته في وجهه غمهم
فكان أثبت ما فيهم جسومهم يستقطن حولك والأرواح تنهزم
وهذان البيتان مما قال سليمان البستاني ذكرهما حاشيته على قول أومبروس كمعادته
في الإلياذة العربية .

ومن أولى ما نختتم به كلمتنا عن المتنبي علمه باللغة وإطلاعه على غريبها وحوشها
حتى كان يستشهد بكلام العرب نظاماً ونثراً في كل ما يسأل عنه ، وسأله الفارسي عن
الجموع على وزن فعل فقل له في الحال : ليس عندنا إلا جعان ومما حجبني وظربي ،
فبحث الفارسي ثلاث ليال في كتب اللغة فلم يجد لهما مثلاً !

ومن نثره قوله في رسالة موجزة : وصلتني وملكك الله معتلاً وقطعتني مبيلاً ،
فان رأيت أن لا تحبب العلة الي ولا تكدر العبحة علي فعلت إن شاء الله تعالى (اه)
الى غير ذلك ما

رحلة (لبنان)

عيسى اكندر المعارف





تربية الذوق

دعنا نتيح لنا أن نضع كتاباً فنياً مصوراً عن جمال المرأة وتحليل عناصر ذلك الجمال ، لأننا نعتقد أن كتاباً من هذا الطراز مما يساعد على تربية الذوق الفني والنظر إلى المرأة نظرة فنية . وقد لاحظ أصدقاؤنا كيف أن جمع الشعر الذي تناول المرأة ونشرناه في هذه المجلة أو في ديوبنا الخاصة كان يحوم حول تقديمها وحول تربية الذوق الفني المتطلع إليها ، كيفما كان الموضوع الذي تناوله ذلك الشعر خاصاً بها . وبعبارة أخرى أننا كنا نحارب بهذا الشعر الخشونة المتوحشة وشعور الاحتقار للمرأة والشذوذ والشهوة السقيمة ، كما كنا نربي الذوق الفني العام . فإذا لم يقطع بعد ذلك من لا يفهمون شيئاً من أصول الفن ، أو من يعميهم الحسد والغرض بتفاسير يمجسها كل أديب مذهب « كالأباجية » ونحوها ، فيجب أن ترتد تفاسيرهم إلى موسمهم ، فأنتم نحن نعتمد على أرقى النماذج الفنية ومنها ما اعتزت به الأكاديمية الملكية في لندن وصولون باريس وما تعتز بأمناله المعارض الفنية المصرية نفسها التي زعاها هيئت محترمة . فابعدوا عن الأذهان أيها السادة تفاسيركم المريضة ، واحتفظوا بها لأنفسكم إذا شئتم ، فأنتم وحدكم أهل لها !

ذكرى الفردوسى

في الثاني عشر من شهر أكتوبر الجارى يقام في مدينة (مشهد) بایران - حيث مرقد الشاعر المشهور الحكيم أبو القاسم الفردوسى صاحب كتاب « الشاهامة » الاحتفال الرسمى العظيم بمرور ألف سنة على ميلاد الفردوسى . وقد دعت إليه الحكومتان الإيرانية كثيرين من أهل العلم والأدب من أنحاء العالم ، كما دعت ثمانين مستشرقاً من مختلف الأمم الغربية . ويمثل مصر في هذا الاحتفال الفخيم الاستاذ عبد الوهاب

عزّام ناشر ترجمة «الشاهنامة» إلى العربية ، وهو في مقدمة المصريين المتضامين من الأدب الفارسي ، وسبقه احتفالات أخرى أولها بمدينة طهران في الرابع من أكتوبر . وتعني الحكومة الإيرانية بترميم قبر الشاعر على مثال أبنية ملوك الإيرانيين القدماء قبل البدء بالاحتفال .

وفي الوقت نفسه تشترك الحكومة الروسية بذكرى هذا الشاعر العظيم ، فحيد لو استطاعت الجامعة المصرية — على ما بين مصر وإيران من صلات قديمة — أن تقوم من جانبها باحتفال مستقل توطيداً لما بين الأمتين من الروابط الثقافية القديمة وتكريماً للمعبرة الأدبية .

الطلبة والجماعات

كثيراً ما شكّا رجالُ التعليم من استغلال رجال السياسة — على اختلاف أحزابهم — لشباب الأمة ، وعلى الأخص لطلبة المدارس ، في تنفيذ برامجهم السياسية ، لأن نتيجة هذا الاستغلال كانت النفوس على كثير منهم دراساتهم والاساءة إلى مستقبلهم ، فأن السياسة أول ما تُترك للزعماء السياسيين ولرجال الوطن الذين حنكهم التجارب وأنضجهم الحوادث ، لا أن تكون العوبة في أيدي الناشئين الذين يصيرون حتماً ضحايا الأحزاب السياسية .

وقد انقل هذا المرض — للأسف الوافر — من ميدان السياسة إلى ميدان الأدب ، أو على الأصح إلى شيعته منه تؤمن تجاراً بعبادة الأصنام وبالخاط بين الأدب والسياسة ، وإذا بهذا الشباب يُختَر لهتاف لهذا المنزع أو ذاك هتاف الحناجر السيرة وهتاف الأفلام الدلّيلة .

ولحظنا ذلك منذ سنين فأبينا هذه المذلة والامتهان لشباب الأمة ، وأفسحنا صمحاتنا لمختار من آثار الشباب الموهوبين ، إذ ليست المواهب الأدبية بما يقاس حتماً بالسن ، وفي الوقت ذاته جعلنا شعار ندوتنا أمامهم تقديم الدرس على الإنتاج الأدبي ، وجعلنا محفلنا صيانة لهم من المقامى وأمثالها ومن التذبذب بين الأحزاب ، فن خاب منهم بعد ذلك لم ترجع حييتنا إلينا وإنما إلى دورانه حول أمثالهم وإلى إضاعته الوقت في عبثهم . وقد استعقت خطتنا هذه تقدير معالي وزير المعارف عند ما تشرف وفد (جمعية أبولو) بمقابلة معاليه في الصيف الماضي .

ولما عرّف خصوصاً هذه الحقيقة أخذوا يضلّلون فوق أضيالهم ويتظاهرون بالغيرة على الشباب ، وتناسوا كيف غرّروا به ، وكيف ما زالوا يغرون ، ما بين إسماره بروح التبعية بدل روح الشمم ، وما بين قتل مواهب الأدبية بدل إظهارها ، وما بين تقسيمه إلى فرق يُحارب بعضها بعضاً ، إلى آخر هذه المهالز المشجية ، في حين أن (ندوة الثقافة) وجمعياتها ليست لها صلة خاصة بالشباب ، وإنما صلتها أدبية وثقافية عامة بجميع أهل الأدب على اختلاف طبقاتهم ، وغايتها إبراز المواهب الأدبية وتشجيعها أينما كانت في غير إصراف ولا تغرير بأحد . فلا غرو إذا حمد لها العقلاء جهودها النزيهة ، وحاربها المفرضون فحاولوا اتهامها بحمايلاتهم المشهودة وتشويه غاياتها الشريفة ، ولكن المغالطات لا تدوم ولا بد أن تكشف كما انكشفت مناوراتهم المفضوحة .

في الشعر الجدير

تقرأ حواراً عجيباً عن ابتداع شعر الأوبرا في اللغة العربية وشعر التصوير والميتولوجيا بألوانه الجديدة التي عرفها القراء عن آثارنا ، ويُستحب أحدُ أفاضل الأدباء نفسه في نفي ذلك عنا ، والأمر لا يحتاج إلى كل هذا الحوار فُسبقيّة آثارنا هذه لا تحتاج إلى تدليل وتأثيرها في أدباء العربية مشهود لمن يطلع على المجلات السورية وغيرها ، والذين يريدون أن يعطوا غيرهم دروساً في القدر النزيه أوّل بهم أن يفهموا معنى ضبط النفس وضبط موازينهم كيفما كانت الظروف ، وبذلك يحترموا أنفسهم ويستحقّون احترامنا لهم دائماً .

ويُقال إنّه ليس لنا ولا قصيدة واحدة في الشعر العلمي تشرّفنا بينما ترخر دواويننا بهذا الشعر وعلى الأخصّ ديوان « الشفق الباكي » وبينها قصيدة « جنة السحل » التي كان يُعجب بها المرحوم شوقي بك كما يُعجب بها إلى الآن رئيس تحرير (المقتطف) وغيرهما من كبار رجال الأدب . ومثل هذا الحكم هو نتيجة عدم الاطلاع الشامل على آثارنا المختلفة . وأمّا عن شعر الميتولوجيا فحسبنا أنّ في جُعبهم بين الأساطير والخيال والعاطفة وتفسير الحياة والتعبير عن الحوادث المصوّرة ما يجعله إلى الآن فريداً مستقلاً ، ولم يستطع منتقوننا مجاراته فضلاً عن التبريز علينا فيه . ومع ذلك فنفس هؤلاء المنتقنين كثيراً ما نفّوا بسكس

هذه الاغنية من قبل ، ولكن يظهر أن الخريف تيارات خاصة ، وأما عن الحكم على شعرنا الفاسي فالأولى به رجل كالذكور على العناني أستاذ الفاسفة في دار العلوم ، فليس هذا اللون من الشعر في متناول كل ناقدٍ وخصوصاً من ليست لديهم ثقافة فلسفية ولا روح فلسفية .

وعيب علينا استعمال محور الزجل مع أنها تكسبه روحاً مصريةً رشيقةً ، وقد قلّدنا في ذلك غير واحد من الشعراء المشهورين بعد أن كانوا يتمكون علينا في البداية كما يقع كثيراً ازاء كل جديد غريب .

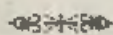
الشعر والسياسة

كثيراً ما نادينا بترفع الشعر عن السياسة ، وأن الوطنية غير الحزبية ، وأن من العيب تمخير الشعر لأهواء السياسة بدل خدمة القومية الخالصة . وهذا المبدأ ظاهر في جميع شعرنا قديمه وحديثه على السواء ، وحديثه ديواننا (فوق العباب) الذي يعرف أصدقائنا الكثيرين من شعره الوطني الذي تنتصر به للديمقراطية وحقوق الشعب وبعضه شائع في الأندية .

لذلك نأسف جداً للأسف لادعاء محرره في (الوادي) اشتهر بمغالطته واشتغاله بالدسائس ضدنا أننا نظمنا شعراً ضد (الوفد المصري) مستشهداً بأبيات منصّبة على مشاحنات الأحزاب ولا تعبّر إلا عن الحسرة على هذا الشقاق المصدع لوحدة الأمة، وأنّ فائدة من الصعود بالبلاء إذا جاء مصداً مهتداً بالدمار ؟ ومثل هذا الشعر حري على ألسنة الكثيرين من شعراء الوطنية فلا معنى لاساءة تفسيره . ولكن لا عجب في ذلك مادام القائم بهذا الدسّ ضدنا من زور قصيدة على المرحوم شوقي بك طعننا في (جمعية أبولو) بما دعا سكرتير الفقيد (بالنسبة عن أسرته) الى توبيخه أشدّ التوبيخ ، ومع ذلك عاد صاحبنا يكرر هذه القرية في (الوادي) مستغلاً رؤساءه !

ولم يكتف بذلك بل راح يصف قصيدة وجهها الى دولة اسماعيل صدقي باشا بصفتها رئيس الوزارة السابقة وصفاً لا يتفق مع الواقع فعلافتما بدولته علاقة صداقة عائلية ترجع الى الخال والوالد لاشأنها بالسياسة بتاتاً ، وقصيدتنا الدولته لم يسكن لها أي علاقة بالسياسة بل كانت بث ظلامه بماعانيه في عهده من محاربات واساءات لأعمالها الثقافية التي كان دولته شخصياً يقدرها ، ومع ذلك وقد شغلت دولته السياسة عن انصافها .

وأما عن المرحوم شوقي بك فقد كان يحتفى بجمعية أبولو الى قبيل وفاته وبرّ
الاعضاء بذكره كل البرّ، وكان الفقيه يقدر روح التسامح والمودة عندنا وهو في
حياته لم ينظم هجواً في أحدٍ مطلقاً .



سرّ الفصاحة

تأليف الأمير أبي محمد عبدالله بن محمد سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي
٣٢٠ صفحة بحجم ٢٤ ٢/٢ × ١٦ ١/٢ سم — طبع بالمطبعة الرحمانية
على نفقة مكتبة الخانجي بالقاهرة

هذا الكتاب ذخيرة من ذخائر تلك اللغة الشريفة ، ودرّة بتيمة من كنوزها
الغالية ، يمتزج فيه العلم بالأدب ويدلّ على ثقافة واسعة وعقل مفسر راجح التفكير
مدقق عميق البحث والاستقصاء ، فيه من روح الأدب خفّة ومن عمق العلم
واتساع دقّة ورزاقته . يبدأ المؤلف ببحث علمي دقيق عن الأصوات وماهيّتها
يخيل اليك وأنت تقرأ أنه عصرى التّأليف فتتمسكك الدهشة ويستفزك الإعجاب الى
تجديد ذلك الكنز الغالي من أدبنا العظيم ، يثبت فيه أن الصوت معقول لأنّه يدرك
بحاسة السمع ولذلك فهو عرض وليس بجسم لأنّ الأجسام متنازلة والإدراك انما
يتعاقب بأخصّ صفات اللّذات والاّ كانت الأجسام جميعها مدركة بحاسة السمع ، وإن
الأصوات تدرك في محالها ولا تحتاج الى انتقال محالها وانتقالها وكونها اعراضاً مُنْجَع
من انتقالها .

ومن هذا البحث الدقيق ينقل في دفقة الى الحروف ، فالكلام ، فاللغة ، ويعمل الاستقراء
الذي يبيّن من بحثه في الصوت يبحث في مواضع الكتاب المختلفة . ولننقل للقارى .

قطعة من الفصل الذي عقده عن الاستعارة في الكلام على شروط النصيحة التي تستوجب وضع الألفاظ موضعها ، ومن هذه الشروط أن لا يكون في الكلام تقديم وتأخير كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملوكاً أبو أمه حتى أبوه يقاربته
أو كقوله أيضاً :

فليست خراسان التي كان خالدٌ بها أسدٌ إذ كان سيفاً أميرها
أو مقلوباً كقوله أيضاً :

وأطلس عسّال وما كان صاحباً رفعت لناري موهناً فأناني

وفي هذا الفصل يقول : « ومن وَضَعَ الألفاظ موضعها حسن الاستعارة وقد حدّثها أبو الحسن علي بن عيسى الرماني فقال : هي تعليق العبارة على غير ما وضعت في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة ، وتفسير هذه الجملة أن قوله عزّ وجلّ : « واشتعل الرأس شيباً » استعارة لأن الاشتعال للنار ولم يوضع في أصل اللغة للشيب ، فلما نقل اليه بأن المعنى لما اكتسبه من التشبيه لأن الشيب لما كان يأخذ في الرأس ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يحمله إلى غير لونه الأول كان بمنزلة النار التي تشتعل في الخشب وتسرى حتى تحمله إلى غير حاله المتقدمة . فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان ولا بدّ من أن تكون أوضح من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها لأنّ الحقيقة لو قامت مقامها كانت أولى لأنها الأصل والاستعارة الفرع ، وليس يخفى على المتأمل أن قوله عزّ اسمه « واشتعل الرأس شيباً » أبلغ من « كثر شيب الرأس » وهو حقيقة هذا المعنى . وقول امرئ القيس « قيد الأوابد » أبلغ من « مائع الأوابد عن جريها » والأصل في ذلك ما أفاده التشبيه في الاستعارة من البيان . فإن قال قائل : فما الفرق بين الاستعارة والتشبيه إذا كانت الأمر على ما ذكرتم ؟ قيل : الفرق بينهما ما ذكره أبو الحسن وهو أن التشبيه على أصله لم يغير عنه في الاستعمال وليس كذلك الاستعارة لأن مخرج الاستعارة مخرج ليست العبارة له في أصل اللغة ، على أن الرماني قال : إن التشبيه في الكلام بأداة التشبيه وهو يعني كأن والكاف وما جرى مجراها ، وليس يقع الفرق عندي بين التشبيه والاستعارة بأداة التشبيه فقط ، لأن التشبيه قد يرد بغير الألفاظ الموضوعه له ويكون حسناً مخفياً ولا يعمده أحد في جملة الاستعارة لخلوّه من آلة التشبيه . ومن هذا قول الشاعر :

سفرن بدوراً ، وانتقبن أهيلةً وميحن غصوناً ، والتفتن جاذراً
وقول الآخر :

وأسبلت لؤلؤاً من زجسر فسق ورداً ، وعضت على العناب بالبرد
وكلاماً تشبيه محض وليس باستعارة وإن لم يكن فيها لفظ من ألفاظ التشبيه ،
وانما الفرق بين الاستعارة والتشبيه ما حكيناه أولاً .

هذا الفصل أتمدج لما وضع عليه هذا الكتاب النفيس الذي يجب أن يطالعه الجليل
الحديث فيجد ثروة طائلة لم يكن يظن لها وجوداً .

وقد ذيل هذا الكتاب باستدراكات فيمة قام بها صديقنا الفاضل الباحث
المدقق محمود محمد شاكر الذي أشار أيضاً بالحق اعتراضات ابن الأثير في كتابه
« المثل السائر » عن كتاب « سر الفصاحة » به .

مسه لامل الصبر في



تنبيه هام

يتشرف مراقب « ندوة الثقافة » باعلان جمهور الأدباء أنه فيما عدا
المبادلات الصحفية الضرورية وأعضاء مجلس (جمعية أبولو) لا يستطيع
الموافقة على إهداء هذه المجلة الى أحد ما حرصاً على حياتها المادية . وهو
من أجل ذلك يدعو جميع أنصارها الى شرائها أو المبادرة الى الاشتراك
فيها . ولا يمكن مخالفة هذه القاعدة بحال من الأحوال .

محمد عبد القفور

(مراقب ندوة الثقافة)

تصويبات

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|--------|-------|----------------|----------------|
| ٣ | ١٣ | كلتي الخطتين | كلتا الخطتين |
| ١١ | ٨ | الأموال | الأموات |
| ١٧ | ٧ | الاستمتاع | الاستماع |
| ٦٥ | ١٤ | من حب | من هوى |
| ٩٥ | ٢٠ | المهوى غير بال | المهوى غير بال |
| ١٠٣ | ٨ | مروعة | مروعة |
| ١٠٣ | ٢٣ | نخذ | نخذ |
| ١٠٧ | ٨ | لقد دت | لقد دت |
| ١٠٧ | ١٧ | تؤيد | تؤيدني |
| ١٢١ | ١٢ | تربكم | تربكم |
| ١٢٤ | ٩ | فان ذلك | فان ذلك |
| ١٢٧ | ٢٢ | المهلب | المهلب |
| ١٣٧ | ٢٣ | الفرينة | الفرينة |
| ١٤٢ | ٩ | يغلق | يغلق |
| ١٤٧ | ١٣ | صحفته | صحفته |
| ١٤٧ | ١٣ | رهو | وهو |
| ١٤٧ | ١٥ | بوس | بوس |
| ١٥١ | ٨ | القاسم | القاسم |
| ١٥١ | ١٥ | هذ | هذا |
| ١٥٢ | ٦ | خات | خاب |
| ١٥٢ | ١٩ | تجلسي | تجلسي |
| ١٥٣ | ٢٣ | أن لا يبقى | أن يبقى |
| ١٥٨ | ٤ | فطمعن | فطمعن |
| ١٦٣ | ٢٠ | دوى | ذوى |
| ٢١٥ | ١٣ | نحجم | نحجم |
| ٢١٦ | ٢٦ | خصصته | خصصته |
| ٣٢٣ | ١ | وليم كينس | جون كينس |